

مُولُود قَاسِم نَايت بِلِقَاسِم



شَخْصِيَّةُ الْجَزَائِرِ الدَّوْلِيَّةِ

وَهَيْبَتُهَا الْعَالَمِيَّةُ

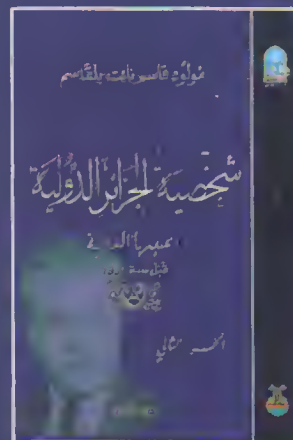
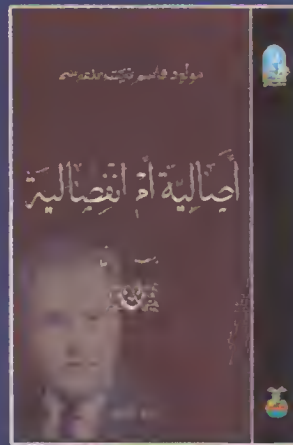
قَبْلَ سَنَةِ 1830



الْجُزْءُ الثَّانِي

دَرَسَاتُهَا





مُولُود قَاسِمِ نَايتِ بِلِقَاسِمِ

شَخْصِيَّةُ الْجَزَائِرِ الدَّوْلِيَّةِ

وَهَيْبَتُهَا الْعَالَمِيَّةِ

قَبْلَ سَنَةِ 1830

الْجُزْءُ الثَّانِي

مَنْتَدَى سَوْرِ الْأَرْبَكَةِ

www.books4all.net



جميع الحقوق محفوظة

شركة دار الأمة

للطباعة والنشر والتوزيع

ص. ب 109 برج الكينان 16120 الجزائر

E-Mail: OummaBooks@yahoo.fr

الطبعة الأولى، دار البعث – فسنطينة 1985 م.

الطبعة الثانية، دار الأمة – الجزائر 2007 م.

إبداع قانوني: 3541 / 2007

ردمك: 978 9961 67 230 3

العلاقات مع فرنسا

الآن بلغنا المقصود بالذات ، ووصلنا إلى بيت القصيد ، أى إلى أم البلايا ، التى غزا سمها الخلايا ، والتى منها جاءت جميع الرزايا ، وكان غزوها لنا قضية القضايا ، رغم مساعدة أجدادنا لها عن سداجة وصدق النوايا ، ثم أرادت وكادت أن تقرب إلينا المنايا !

وصلنا إلى العلاقات مع فرنسا !

هناك كتاب للمؤلف المصرى خالد محمد خالد عنوانه : « من هنا نبدأ » ! ولكنى : هنا ، لا أدرى ، حقا ، من أين أبدأ ! وكيف أبدأ ؟ هل أبدأ بغاراتها المتعددة علينا ؟ أم بمؤامراتها ومناوراتها التى لم تكن إحداها تفشل إلا لتبدأ أخرى ؟ أم بالمعاهدات التى عقدناها معها ، والتى تجاوز عددها مجموع ما عقدناه مع بقية الدنيا ؟ أم أبدأ بمساعيها الملحة لدينا لمساعدتها ، وباستنجاتها العديدة بأسطولنا وبحارتنا ، لإنقاذ مصيرها من التفتت والذوبان ، وحمايتها من أعدائها ؟ أم بطلباتها حبوبا وقروضا نقدية ؟ نعم : من أين أبدأ ؟

بدأت علاقاتنا مع فرنسا طيبة جدا ، ومنذ عهد سحيقة ... ثم سرعان ما أخذت تتقلب ، بين عشية وضحاها ... ما إن تمد

إحدى يديها لطلب المساعدة والمون منا ، إلا لتخفى أخرى وراء ظهرها ، وهى ممسكة بخنجر مسموم ! هكذا كان الأمر معها منذ القرن الثانى عشر (م) حتى سنة 1830 !

نعم ، فلنبداً ، إذن ، منذ البداية ، ولنرج للجميع خير الهداية ! بدأت العلاقات الجزائرية الفرنسية فعلا طيبة . حقا ، لم تكن نجنى منها فائدة ذات قيمة استراتيجية ، مثلما هو الأمر بالنسبة لعلاقتنا الأولى مع بريطانيا (التى كنا نستورد منها الأسلحة الضرورية للدفاع أمام الهجمات الصليبية) ؛ ولكنها كانت ، على كل ، علاقات تجارية خصبة كان أجدادنا وأجدادها يتبادلون بها المنافع .

فلئن كان المؤرخ الفرنسى دوفول Devoulx يقول عن نشأة العلاقات بين الجزائر وفرنسا :

« لقد كانت لمرسيليا منذ القرن الثالث عشر (الميلادى) علاقات تجارية بالسواحل المغاربية (1) ، متنافسة فى ذلك مع الجنويين (les Génois) والبيشيين (les Pisans) والقطلونيين (les Catalans).

» وهكذا عقد حكام مرسيليا فى بداية القرن الرابع عشر (الميلادى) معاهدة تجارة وملاحة مع ملك بجاية ، خالد ابن زكرياء « (2) ؛ على أن المؤرخ الأمريكى سبنسر يقول: إن هذه المعاهدة عقدت فى القرن الثانى عشر (3) ، وليس فى الرابع عشر .

(1) لقد سبق لى أن كتبت أن جمع « المغارب » ، والصفات المشتقة منه ، اصطلاحات عابرة ظرفية مؤقتة للدلالة على البلدان المغربية ، لا على المغرب الأقصى وحده ، للبيان ، والشرح ، والتوضيح ، ريثما يعود هناك مغرب واحد ، ومشرق واحد ، وأمة واحدة تجمعهما !

(2) A. Devoulx : Archives du Consulat Général de France à Alger, p. 1.

(3) Spencer : ibid, p. 148.

ويضيف دوفو :

« وكان المرسلون يأتون إلى بجاية بمعادن ، وأقمشة ، وآلات حديدية ، ويأخذون منها خيولا ، وأصوافا ، وزيتا ، وشموعا ، وجلودا ، وهذه الأخيرة كانوا يعيدون بيعها بأثمان غالية فى اسبانيا وإيطاليا .

« والقنصل الفرنسى فى بجاية إذ ذاك اسمه Peyre Jordans ، ورسائله موجودة فى محفوظات الوثائق بمرسيليا » . (4)

ثم أخذت العلاقات الجزائرية الفرنسية شكلا جديدا ، إذ تطورت كثيرا ، وازدادت وثوقا ، وذلك ببادرة من فرنسا ، التى كانت حريصة على اكتساب ود الجزائر ، وذلك ابتداء من سنة 1534 ، حيث حل مبعوث خير الدين ، رئيس دولة الجزائريين ، - كما كانت تسمى - بفرنسا بدعوة من ملكها ، فرانسوا الأول ، وعقدت بينهما ومبعوث السلطان العثمانى ، سليمان القانونى ، « المعاهدة الثلاثية » (le Traité tripartite) أو : معاهدة شاتيلرو (le Traité de Châtellerault) ، باسم المدينة التى تم فيها اللقاء وعقد المعاهدة . وإثرها توجه السفير الفرنسى الأول إلى الجزائر ، جان دى لافورى Jean de Laforêt ، ثم فيما بعد فقط إلى اسطنبول ، وأصبح الحلف الثلاثى رسميا سنة 1536 (حسب التقويم الأوروبى الحالى) . (5)

ثم عين قنصل فرنسى آخر ، هذه المرة فى العاصمة الحالية ، الجزائر ، « سنة 1538 م ، وكان أول قنصل أوروبى . وكان فى البدء ممثلا لجميع الأوروبيين » . (6) « وكان الثانى هو الانكليزى يوهان تيبتون Johan Tipton سنة 1580 ، والثالث هو

(4) Devoulx : ibid, p. 1.

(5) A. Dufour in : France-Pays Arabes, avril 1975.

وانظر أيضا : إنية وأصالة ، ص 273 .

(6) Reftelius : ibid, t. 2, p. 577.

الهولاندى أندريسن فان ديربورغ Andressen van der Burg ،
سنة 1668 ، أما الرابع فكان السويدى الذى لم يصل الا سنة
1730 م . « (7) (وهو صاحب هذا النص ، ريفتيلوس) .

وبالتوازى مع بدء العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وفرنسا ،
ببادرة من هذه الأخيرة ، أخذت التجارة الفرنسية مع الجزائر
طابعا قارا ، إذ أنشأت فرنسا ، انطلاقا من معاهدة 1534 ، مركزا
تجاريا فى مدينة القالة ، لتصدير الحبوب ، وخاصة القمح ،
ولصيد المرجان ، وتصديره إلى فرنسا أيضا ، وذلك سنة
1561 م . (8)

« ونظرا لأهمية المصالح التجارية الفرنسية فى الجزائر
وحجمها ، فقد قررت الحكومة الفرنسية إقامة العلاقات
الدبلوماسية معها سنة 1564 » . (9)

وهذا ليس صحيحا كل الصحة من حيث الترتيب الزمنى ،
حيث إن العلاقات الدبلوماسية أقيمت بالمعاهدة الثلاثية (1534)
وحلول السفير الفرنسى لافورى Jean Laforêt بالجزائر ، كما
سبق أن قلنا ، فى السنة التى بعدها ، هذا إذا لم نرد العودة
بها إلى عهد علاقات مرسيليا ببجاية فى الثانى عشر الميلادى .

« وقد تتابع المبعوثون الفرنسيون إلى الجزائر كقناصل أو
كسفراء ، وإن كانت الوثائق الفرنسية فى القنصلية الفرنسية
العامة فى الجزائر قبل 1682 قد أحرقها الجزائريون لدى الغارة
التي قادها الأميرال دوكين ضد الجزائر فى هذه السنة » . (10)

(7) Reftelius : ibid, t. 2, p. 578.

وانظر فى هذا « إنية وأصالة » أيضا ، ص 271 .

(8) Devoulx : ibid, p. 2.

(9) Devoulx : ibid, p. 2.

(10) Devoulx : ibid, p. 3.

بل نجد فرنسا غير مقتنعة بتينك المعاهدتين ، المعاهدة مع ملك بجاية فى القرن الثانى عشر ، والمعاهدة الثلاثية مع خير الدين سنة 1534 ؛ ولا بعملية الإنقاذ العسكرى لفرنسا ، التى قامت بها الجزائر لصالح فرنسا ، كما سنذكره بعد حين ، فنها تلح على عقد معاهدة جديدة للتحالف العسكرى ... خاصة بعد ما ذاقته من لذة النصر على أعدائها ، أو على الأقل النجاة منهم ، بفضل الجزائر !

وهكذا يكتب سفير فرنسا فى اسطنبول ، بيتريمول ، Petrémol ، إلى كاترين دى ميديسيس ، Catherine de Médicis ، (الوصية على عرش فرنسا فى طفولة ابنها الذى أصبح فيما بعد شارل التاسع) ، فى رسالة منه بتاريخ 15 يوليو 1561 يقول لها فيها :
إنه رجا « الصدر الأعظم (رئيس الوزراء فى اسطنبول) فى أن يوصى سلطان الجزائر ، البايلىرباى (II) الجديد أحمد باشا ، خيرا بفرنسا ، لتقبل الجزائر بالتحالف مع فرنسا » . (12)
كما نجد ملوك فرنسا إذ ذاك يخطبون ود الجزائر ، ويحاولون أن يقدموا لها خدمات .

« وهكذا أخبر شارل التاسع ، ملك فرنسا ، ملك الجزائر ، أحمد أعراب ، بواسطة حاكم مرسيليا ، بنوايا اسبانيا العدوانية ضد الجزائر سنة 1572 » . (13)

(ويعلق دو غرامون على هذا فيقول : « إن أحمد أعراب هذا هو من الجزائريين القليلين غير الأتراك والعليج (الأوروبيين

(11) أى باى البايات ، وبهذه الصفة كان مشرفا على باى تونس وباشا طرابلس ، ومستولا عنهما .

(Plantet : Les Consuls de France à Alger, p. 73)

(12) De Grammont : ibid, p. 153.

(13) De Grammont : ibid, p. 154.

الذين أسلموا) ممن تولوا الملك فى الجزائر فى العهد
العثمانى « . (14)

ويضيف دو غرامون :

« وذلك أن العلاقات بين الدولتين (الجزائرية والفرنسية)
كانت وثيقة . وهكذا كانت الجزائر منذ نشأتها (ونحن نقول :
انبعاثها فى بداية القرن السادس عشر) سندا قويا للموكنة فى
الحروب التى عانوها من عدوهم القوى (شارلكان) .

« ثم توثقت العلاقات أكثر بين الدولتين ، واستقبلت فرنسا
خير الدين (رئيس دولة الجزائريين) فى مرسيليا بحفاوة بالغة ،
وأغدقت عليه الهدايا » . (15)

مساعدات الجزائر لفرنسا

مساعدات الجزائر لفرنسا خمسة أنواع : نوع قبل الثورة
الفرنسية ، وأربعة بعدها :

- 1) المساعدات العسكرية البحرية ، قبل الثورة وبعدها .
- 2) المساعدات الدبلوماسية للثورة .
- 3) المساعدات الاقتصادية للثورة .
- 4) المساعدات المالية للثورة .
- 5) المساعدات الاستراتيجية للثورة .

(14) De Grammont : ibid, p. 156.

(15) De Grammont : ibid, Introduction, p. VI.

البحرية أو العسكرية :

(1) - خير الدين ينجذ فرانسوة الأول :

وقد اكتسبت العلاقات الجزائرية الفرنسية طابعها الدولي البارز ، كحدث عالمي ، وانطلاقها العملي المباشر ، بحلول خير الدين بربروس (16) ، رئيس دولة الجزائريين ، على رأس جزء كبير من بحريته ، بمرسيليا ، يوم 5 يوليو 1543 ، حيث استقبل استقبالا فاخرا .

وقد كان ذلك بطلب من ملك فرنسا ، فرانسوة الأول (17) ، المستنجد بالجزائر ضد الإمبراطور الألماني ، ملك اسبانيا ، وهولاندا ، وأمريكا اللاتينية ، وغيرها ... شارلكان (18) ؛ وملك انكلترا ، هنري الثامن (19) ، اللذين كانا يهددان فرنسا . (20)

وقد حرصت فرنسا على توطيد علاقاتها برؤساء دولة الجزائر إذ ذاك ، والاستنجد بهم ، من خير الدين إلى الداي شعبان ، بل وحتى فيما بعد بكثير .

ويقول دي غرامون :

« وقد استقبل ملوك الجزائر (les rois d'Alger) مرارا عديدة مبعوثين خاصين من ملوك فرنسا :

« وهكذا استقبل خير الدين مرارا بالجزائر مبعوثين من طراز المبعوث الخاص المشهور بولان دي لا غارد (le célèbre Paulin de la Garde) ،

(16) انظر الشكل السابق رقم : 13 .

(17) انظر الشكل رقم : 82 .

(18) انظر الشكل رقم : 83 .

(19) انظر الشكل رقم : 84 .

(20) Léon Galibert : L'Algérie, p. 185.



49. — FRANÇOIS I^{er}, PAR FRANÇOIS CLOUET

فرانسوة الاول



23 CHARLES QUINT, par CHRISTOPHE AMBERGER

شارلکان

الشکر، رقم : (83)



هائري الثامن، ملك انكلترا

الشكل رقم : (84)

وجان لا فوري (Jean Laforêt) والفارس ألبيس (le Chevalier d'Albisse) ،
وآخرين كثيرين غيرهم » . (21)

ويقول مؤرخ فرنسي آخر ، غارو :

« كانت الجزائر تمارس ، بفضل قادتها البحريين ، ضغطا على
أوروبا كان في صالح فرنسا ، خاصة أن ذلك حدث في وقت
كانت فيه الأمة الفرنسية مهددة ، من شارلكان وهانري الثامن ،
بالخطر .

« وبفضل تلك العلاقات مع الجزائر أنقذ فرانسوة الأول
عرشه ، وحفظ شعبه من الخراب » . (22)

(2) صالح رايس ينجد هانري الثاني :

وكما استنجد فرانسوة الأول François 1^{er} بخير الدين سنة
1543 ، وأنجده ، استنجد ابنه بعده ، هانري الثاني Henri II ،
بأحد خلفاء خير الدين ، البايلرباي صالح رايس ، سنة 1552 ،
وأنجده أيضا ، ضد نفس العدو دائما : فيليب الثاني ، ابن
شارلكان :

يقول ذي غرامون :

« وفي سنة 1552 ، أرسل الملك هانري الثاني مبعوثه الخاص ،
الفارس دالبيس (le Chevalier d'Albisse) ، لدعوة صالح رايس إلى
معاصرة الشطوط الإسبانية .

« وقد أجاب صالح رايس ، بايلرباي الجزائر (رئيسها) ،
طلب ملك فرنسا (هانري الثاني) ، وحل بميورقة في يونيو

(21) De Grammont : ibid, p. 76 ; voir : Négociations de la France au Levant, t. 2,
p. 204-261.

(22) Garrot : ibid, p. 403.

1553 ، على رأس أربعين سفينة حربية وأرسى بها ، وفي هذه الأثناء أرسل بأسطوله لمساعدة الفرنسيين » . (23)

ويعززه مواطنه غارو اذ يقول ان هانرى الثانى قد أعاد طلب المساعدة ، وكان للأسطول الجزائرى دوره الكبير فى ذلك . (24)

ثم يعود فيقول :

« إن ذلك التحالف بين فرانسوة الأول وخير الدين ضد شارلكان قد تواصل فى عهد صالح رايس ، أحد خلفاء خير الدين ، وهانرى الثانى ، ابن فرانسوة الأول ، ضد فيليب الثانى ، ابن شارلكان ، مضعفين بذلك إمبراطورية شارلكان وخلفه بعده ، ابنه فيليب الثانى ، مما حفظ فرنسا من الغزو (الاسبانى) والتمزق » . (25)

أما المؤرخ السويدى ريفتيلىوس ، فيعطينا صورة دقيقة تكاد تمثل أماننا نابضة بالحياة ، فيقول :

« بينما كان صالح رايس فى طريقه من العاصمة الى بجاية فى إحدى محاولاته لطرد الإسبان (26) منها ، إذا بسفن مسرعة وراءه تلحق به ... وعلى رأسها رئيس قساوسة دير كابوا (Capua) ، حاملا رسالة فيها طلب نجدة ملك فرنسا ، الذى كان غارقا فى حرب شعواء ، شنها عليه فيليب الثانى ، ملك اسبانيا » . (27)

(23) De Grammont : ibid, p. 79-80.

(24) Garrot : ibid, p. 416.

(25) Garrot : ibid, p. 417.

(26) وقد طردهم منها فعلا نهائيا سنة 1555 ، كما طردهم حسن بن خير الدين من مستغانم سنة 1558 .

(27) Reftelius : ibid, t. 1, p. 62.

(3) استنجد الملك الفرنسي هانرى الرابع بحيدر ، رئيس دولة الجزائريين :

وكذلك استنجد الملك الفرنسي هانرى الرابع سنة 1591 بحيدر ، رئيس دولة الجزائر ، « طالبا منه مساعدته على تحرير مرسيليا من « العصبة المقدسة (La Sainte Ligue) » (28) ، التى انضوت تحتها ، فى الأصل ، مجموعة من الدول أقل ما يقال فيها إنها لا يستهان بها ، وهى : البابا ، يوليوس الثانى ، والبندقية (Venise) ، وسويسرا ، وفرناندو الكاثولىكى (زوج إيسابيل ، ملكة اسبانيا) ، وهانرى الثامن (ملك أنكلترا) ، كلها ضد فرنسا ، منذ عهد لويس الثانى عشر سنة 1511 . واستمرت فى عهد فرانسوة الأول وأبنائه وأحفاده ، الى ما بعد ، حتى هانرى الرابع (29) ، الذى نحن بصدده .

(4) استنجد لويس الرابع عشر ، ملك فرنسا ، بالداى شعبان :

وكذلك استنجد « الملك الشمس » (Le Roi-Soleil) ، أى لويس الرابع عشر ، ملك فرنسا ، برئيس دولة الجزائريين : الداى شعبان ، فى آخر سنة 1689 ، ضد كل من أنكلترا وهولاندا مجتمعتين ، فطلب منه أن يعلن حربا على كل من الدولتين اللتين كانتا تهددان فرنسا .

ويقول غالير :

« وفى تلك الظروف المضطربة ، التى ساد فيها الهرج فى أوروبا ، بحثت فرنسا عن سند لها فى الجزائر ، وطلبت من الداى شعبان أن يشن حربا على هولاندا وأنكلترا » . (30)

(28) Marcel Egretaud : Réalité de la Nation algérienne, p. 41-42.

(29) Garrot : ibid, p. 388.

(30) L. Galibert : ibid, p. 233.

ولكن يبدو أن جواب الداي شعبان عن هذا الاستنجد الأخير
من فرنسا في المجال العسكري كان : « فاقوا ! » (31)

نقف هنا بخصوص مساعدة الجزائر لفرنسا عسكريا ،
وسنعود الى هذه المساعدة في المجال الاقتصادي والمالي ، فيما بعد ،
بل وحتى العسكري أيضا فضلا عن الدبلوماسية .

النوايا العدوانية الفرنسية

ضد الجزائر منذ القرن الثالث عشر (م) :

رغم كل هذه المساعي الفرنسية المتتابة الملحة لدى الجزائر ،
طلبا لمساعدتها ضد التفتت والتمزق حينها ، وضد المجاعة
والمسغبة والمتربة حينها آخر ، كما سنرى ، فلم تتورع فرنسا
أبدا عن الكيد للجزائر ؛ ولم تتحرج إطلاقا من إضمار نوايا
عدوانية ، وحبك مناورات ، وتدبير مؤامرات ، بل وقيام
بغارات تخريبية ضدها !

ولنبداً بالنوايا :

النوايا : كانت قديمة جدا ، ومبكرة ، إذ لم تنتظر القرن
الرابع عشر (الميلادي) لتبدأ ، خلافا لما يقوله المؤرخ الألماني
سميونوف ، الذي كتب سنة 1937 :

« كانت فرنسا تحاول منذ القرن الرابع عشر غزو الجزائر ،
حيث أقامت متاجر ومراكز لصيد المرجان منذ القرن
الخامس عشر ، وحيث كان فيما بعد آلاف من الأسرى الفرنسيين
يثنون » (32) ، نقول : لم تنتظر فرنسا حتى القرن الرابع عشر

(31) تعبير جزائري معناه : كفى ! أو على الأصح : افاقوا ، أي استيقظوا
(فعل ماض) ٠٠٠ بمعنى : « استيقظنا ! لقد أفاقنا ، وفهمنا ، وأدركنا ،
وانتبهنا ! لقد استيقظنا ! »

(32) Dr Juri Semjonow : Glanz und Elend des franzoesischen Kolonialreiches, p. 169.

لتفكر فى غزو الجزائر ، خلافا لما كتبه هذا المؤرخ الألمانى ، بل بدأت تفكر فى ذلك ، وشرعت تعمل لتحقيقه ، منذ الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (الميلادى) ، حيث قام ملكها لويس التاسع (أو القديس لويس Saint-Louis) بصليبية على تونس سنة 1270 م ، حيث مات بالوباء ، بعد عملية صليبية سابقة كان قد قام بها إلى المنصورة فى مصر ، حيث أسر ، ولم يطلق سراحه إلا بفدية باهضة .

فلقد كان لويس التاسع هذا ، إذن ، يفكر فى غزو واحتلال بلدان المغرب – ومنها الجزائر ، التى هى قلبها – ، منذ ما قبل 1270 م ، وتقول كثير من المراجع إنه كان يقصد الجزائر بالذات ! ومما يؤكد هذا ، ما ينسبه ، ولو فى أسلوب خيالى ، مؤلف فرنسى إلى شارل العاشر ، الذى شن علينا حملة الاحتلال سنة 1830 ، من أنه أراد أن يحقق حلما راود جده لويس التاسع ، الذى مات دون إنجازه .

وقد أورد هذا المؤلف ، واسمه مارتين راجى Martin-Raget ، على صفحة الغلاف الخارجية لكتابه المنسوج نسجا خياليا (33) ، الذى هو مفاضلة بين الأديان الثلاثة : اليهودى ، والنصرانى ، والإسلامى ، ويلح فيه « على تكامل الديانتين الأوليين ، وعلى تفوقهما على الإسلام من الوجهة الحضارية ، وتحالفهما ضده » ، – أورد ، تحت العنوان مباشرة ، هذه الفقرة من كتاب لمؤلف فرنسى آخر ، اسمه بوشى ، عنوانه : « تاريخ تكون الأمة الفرنسية » وهى :

« هدف نشاطها كان دوما خدمة المسيحية تحت صورتها الدينية المحضة ؛ ومبدأ نشاطها هو أيضا المسيحية ؛ ولكن فى

(33) Martin-Raget : L'Algérie Conquise : les religions juive, chrétienne et musulmane comparées entre elles au point de vue civilisateur. (Paris, Victor Sarlit Editeur).

استنتاجات سياسية واجتماعية » :

(« Son but d'activité (de la France) a été le Christianisme sous sa forme purement religieuse ; son principe d'activité est encore le Christianisme, mais dans ses conclusions politiques et sociales ») (34).

وفي الصفحة الأولى من هذا الكتاب ، بعد المقدمة ، ينسب مارتين راجي هذا ، في أسلوب خيالي ، إلى ملك فرنسا شارل العاشر ، منفذ العدوان الذي كان مبيتا ، وكان يفكر فيه الفرنسيون منذ القرن الثالث عشر ضدنا ، كما رأينا ، أنه سمع في حلم يقظة ، وهو واقف في الكنيسة ، مناديا يناديه من السماء قائلا :

« إيه ، يا شارل ، إن لك دورا عليك أن تؤديه في هذه الأرض لنصرة المسيحية ، واستحقاق مكانك قرب العرش السماوي : وهو أن تواصل العمل الذي كان قد بدأه سلفك لويس القديس (لويس التاسع) في افريقيا » (35) ، بغزوه مصر ثم تونس ، كمنطلق نحو الجزائر ، والمغرب ، وافريقيا كلها ، ربما ، ثم إعادة الكرة ، فيما بعد ، على المشرق ، نحو بيت المقدس ...

ومن هنا نجد التعبير الآتي عن هذه النقطة للمؤرخ الفرنسي أجرون أوفق وأقرب إلى الحقيقة ، إذ لم يحدد تاريخ بدء التفكير الفرنسي في غزو الجزائر بالقرن الرابع عشر ، إذ يقول :

« إن الفكرة التي أثرت دوما طيلة القرون العديدة والرامية إلى غزو الجزائر قد تجددت سنة 1827 » . (36) و (37)

(34) J.-B. Buchet : Histoire de la formation de la nationalité française.

(35) Martin-Raget : ibid, p. 1.

(36) Charles-Robert Ageron : Histoire de l'Algérie contemporaine, p. 6 : (« L'idée souvent émise au cours des siècles d'une intervention française en Algérie se trouva relancée en 1827 »).

(37) انظر الشكل رقم 84 مكرر .

وهو نفس ما يقوله مؤرخ فرنسي آخر ، أكثر « اختصاصا » من أجرون ، وأكبر سلطة ، ومرجعية ، إذ أنه أستاذ تاريخ استعمار شمال إفريقيا بجامعة السربون ، ألا وهو أوغستين برنار ، اذ يقول ، فى كتابه « الجزائر » ، ما يلى :

« ان احتلال الجزائر هو ثمرة ثلاثة قرون من جهود متواصلة باستمرارية جديرة بالتقدير » . (38)

ونحن إذ نأخذ بالاعتبار مرجعية أستاذ تاريخ الاستعمار ، ونثق بمصداقيته ، نفضل مع ذلك صيغة أجرون ، الذى لم يحدد تاريخ انطلاق هذه النوايا بثلاثة قرون ، وإنما استعمل كلمتى « قرون عديدة » ، وهى الأصح ، إذ سبق لنا أن رأينا ملك فرنسا لويس التاسع ، أو القديس لويس ، قد ابتدأ لا على مستوى النوايا فقط ، بل شرع فى العمل لتحقيقها منذ 1270 م ، أى بما يقرب من ستة قرون قبل 1830 !

ولنستعرض الآن أهم تلك « النوايا » بإيجاز :

(1) بعد مشروع لويس التاسع 1270 م :

(2) نجد شارل الثامن (1483 - 1498 م) ، ابن لويس الحادى عشر ، يفكر فى غزو العثمانيين وبلدان المغرب أيضا ، ويقول غارو إنه « كان يريد تخريب الدولة العثمانية سنة 1495 م ، وطرد العثمانيين من اسطنبول ، وتقلد التاج الأمبريالى فى كنيسة أيا صوفيا » . (39)

ونفس الشيء ، تقريبا ، يقوله حتى صاحب قاموس الأعلام ، روبر ، إذ يكتب عن شارل الثامن هذا وخلفه مباشرة :

(38) Augustin Bernard, professeur de l'Histoire de colonisation de l'Afrique du Nord en Sorbonne : L'Algérie, p. 167.

(39) Garrot : ibid, p. 388.

nobles d'origine guerrière : les *djoudd* et les *doudouida* (1) et pour arbitres leurs *marabouts*. La réputation d'« Alger la guerrière » n'en restait pas moins considérable. Pour neutraliser ses corsaires sept états payaient un tribut régulier au dey, huit états (dont l'Angleterre) lui offraient des présents en espèces ou en nature. L'idée souvent émise au cours des siècles d'une intervention française à Alger se trouva relancée en 1827 moins par la décadence de l'Etat algérien que pour dénouer un conflit diplomatique embarrassant.

III. — L'expédition d'Alger

Cette expédition ne se rattache pas à la politique coloniale de la Restauration : elle fut à la fois un expédient improvisé et un geste de politique intérieure, accompli par un gouvernement en difficultés qui recherchait une opération de prestige.

Une histoire embrouillée de créances entre la France, le dey et deux négociants juifs d'Alger, dont la liquidation traînait depuis 1798, avait abouti en avril 1827 à une rupture diplomatique lorsque le dey Hussein eût frappé le consul de France et refusé toute excuse à cet affairiste douteux. La France reagit en soumettant Alger à un blocus maritime qui fut maintenu pendant trois ans ; le dey riposta par la destruction des comptoirs français de Bône et de La Calle et demanda à son suzerain l'envoi de troupes turques. Mais le grand vizir ne dépêcha qu'un diplomate, Taher Pacha. Après la canonnade d'un vaisseau parlementaire français en août 1829, le gouvernement de Polignac fut tenté par un projet de conquête du Maghreb qu'aurait menée le pacha d'Egypte Mehmet 'Ali. Mais l'affaire ayant échoué du fait du Sultan et de l'Angleterre, le gouvernement français se résolut sans enthousiasme à « changer de plan » : fin janvier 1830 fut décidée une intervention militaire. Comme l'avait écrit, dès 1827, le ministre de la Guerre « elle ferait une utile diversion à la fermentation politique de l'intérieur » et permettrait « de demander ensuite des députés à la France, les clés d'Alger à la main ».

Le 14 juin, une armée de 37 000 hommes débarquait dans la baie de Sidi-Ferruch. Le 19, les troupes turques renforcées de

(1) Le nom de *djoudd* désigne l'ensemble des nobles d'origine militaire, celui de *doudouida* une noblesse supérieure prétendument issue de la tribu de Qoraleh. Les *djoudd* se désignaient encore sous le nom de *Mahall* (des *Bent Mahall* : descendants des colonnes expéditionnaires [de la conquête arabe]).

contingents kabyles et arabes (1) passaient à l'offensive, mais défaits se repliaient. Dix jours plus tard, l'armée française attaqua le fort l'Empereur qui couvrait Alger. La prise du fort decida du sort de la ville. Le 5 juillet, le dey apposa son sceau sur la convention qui livrait Alger et la Qaça. Le général français garantissait aux « habitants de toutes les classes » le respect de leur liberté, de leur religion, de leurs propriétés, de leur commerce, de leurs femmes. La prise d'Alger n'eut qu'un faible retentissement en France — en dehors des milieux d'affaires marseillais — mais fut largement commentée à l'étranger.

Avant comme après le succès de l'expédition, le gouvernement Polignac ne songeait guère à conserver Alger. Parmi d'autres hypothèses, il envisageait de reconduire la milice turque en Asie et « d'installer à la place du dey un prince maure ou arabe avec un gouvernement national ». Puis, conformément aux Instructions remises à de Bourmont, le 18 avril, Polignac se décida le 26 juin à traiter avec le gouvernement ottoman « de nos intérêts particuliers » : Alger et son territoire seraient remis au Sultan qui céderait à la France une portion de territoire algérien depuis le cap Bougaroun jusqu'à la frontière de la Régence de Tunis. Il s'agissait d'élargir la zone de nos Concessions d'Afrique et d'occuper Bône. D'autre part, une conférence internationale réglerait « les intérêts généraux de l'Europe » (suppression de la piraterie et des tributs). La prise d'Alger ne changea rien à ces plans : le 15 juillet, de Bourmont recevait l'ordre de « s'emparer de Bône où l'armateur génois Schiaffino chargeait pour le compte du dey ». Les 17 et 19 juillet, Polignac transmettait à notre ambassadeur à Constantinople des instructions nuancées pour entamer des négociations sur la base de la remise d'Alger contre « un léger accroissement du territoire dont la France était souveraine depuis plusieurs siècles », mais il ne devait rien signer, le gouvernement « se réservant d'accepter ou de rejeter le traité ». Notre ambassadeur en Russie fut chargé de communiquer ce projet de traité au tzar et d'obtenir de lui une pression diplomatique sur Constantinople.

Toutefois le général de Bourmont qui avait fait proclamer « aux Koulourlis, aux Arabes et aux habitants d'Alger », que
 ✕ l'armée française venait « chasser les Turcs, vos tyrans » et ✕

(1) Les généraux français évaluèrent à 50 000 h. les troupes qu'ils eurent à combattre : selon Si Hamdân ben 'Othmân que le dey appela auprès de lui dès après le débarquement, il n'y aurait eu que « 30 000 combattants ». (Les troupes régulières atteignaient environ 15 000 hommes.)

(3) لويس الثانى عشر (1498 - 1515 م) : « أن فكرة حرب صليبية واسعة ضد العثمانيين لم تكن غائبة عن مشاريعهما » (40)

ومن الواضح أن هذه « الصليبية الواسعة » لم تكن لتقتصر على الدولة العثمانية بالمعنى الضيق ، بل كانت تشمل فى ذهنهما العالم الإسلامى كله ، وبالدرجة الأولى ، إلى جانب بيت المقدس ، بلدان المغرب ، ومنها الجزائر ، التى هى الوسط والقلب ، فى سياق وبروح الصليبية التى كان بدأها قبلهما ملك آخر ، هو لويس التاسع ، وهذا ما يشير إليه ، بدون شك ، المؤرخ أجرون إذ قال : « دوما وطيلة قرون عديدة » .

(4) ثم شارل التاسع ، الذى أضمر نية غزو الجزائر وتعيين أخيه دوق دانجو le duc d'Anjou ، (الذى خلفه على العرش وأصبح فيما بعد هانرى الثالث) ملكا على الجزائر (roi d'Alger) ! يقول غارو :

« وبعد كارثة ليبانت (Lépante) ، المعركة البحرية التى هزم فيها الأسطول العثمانى يوم 9 أكتوبر 1571 م ، وألحقت أضرارا كبيرة بالأسطول الجزائرى (« وإن أدى حقا دورا مشرفا ») ، بدا للملك فرنسا شارل التاسع أن الفرصة مواتية ، نظرا لضعف الأسطول الجزائرى (المؤقت) ، فراوده الأمل فى شهر مايو 1572 فى أن يتوج أخاه دوق دانجو ملكا على الجزائر .

« ولكن مدة ملك شارل التاسع كانت قصيرة جدا ومضطربة بسبب الحروب الدينية (بين الكاثوليك والبروتستانت) ، بحيث لم يسمح له كل ذلك بتحقيق هذا المشروع الذى هو من الأهمية بمكان : مملكة فرنسية على الشاطئ البربروسى (المغاربى) » . (41)

(40) Robert : Dictionnaire des noms propres 3 au mot : France.

(41) Garrot : ibid, p. 434.

وصدق المثل العربي القائل : « اتق شر من أحسنت إليه » !
فكل من شارل التاسع هذا وأخيه دوق دانجو (هانرى الثالث)
هما ابنا هانرى الثانى ، الذى كان قد استنجد بصالح راييس
فأنجده سنة 1553 ، وحفيدا فرنسوة الأول ، الذى كان قد
استغاث بغير الدين فأغاثه سنة 1543 !

(5) هانرى الرابع ، الذى حاول سنة 1604 ، بأسطول ضخم ،
على رأسه أحد نبلاء قصره ، الفارس دى بريف (de Brèves)،
مهددا متوعدا ، « ولولا حرصه ، من جهة أخرى ، على التحالف
مع الجزائر ، رغم كل شيء ، ضد اسبانيا ... بإثارة بقايا
الأندلسيين ضدها » ، لفعل ما فعل فى الجزائر ... (42)

(6) فى عهد لويس الخامس عشر : تمت دراسة كيفية
تنفيذ خطة وضعها لوفور Lefort سنة 1763 تحت عنوان :
« مذكرة لتخريب الجزائر » (« Mémoire pour détruire Alger »)، (43)

(7) فى عهد لويس السادس عشر : تمت دراسة خطة لغزو
الجزائر ، أعدها القنصل الفرنسى العام بالجزائر دو كيرسى De Kersey
سنة 1782 . (44) و(45) .

(8) فى عهد لويس السادس عشر : تم مرة أخرى : إعداد
خطة سنة 1785 لغزو الجزائر . (46)

(9) فى عهد نابليون بونابارت : دراسة خطة لغزو الجزائر
سنة 1802 وضعها القنصل الفرنسى العام سانت أندرى
Jean Bon Saint-André (47).

(42) De Grammont : ibid, p. VIII, l'Introduction.

(43) E. Plantet : Les consuls de France à Alger avant la conquête (1579-1830), p. 34.

(44) Semjonow : ibid, p. 172.

(45) انظر الشكل رقم 85 .

(46) Dupuy : ibid, p. 56.

(47) Plantet : ibid, p. 34.

erweiterte diese Frage sogar zu internationalen Ausmaßen, indem er sich vornahm, auch England, Österreich und Rußland hinzuzuziehen. Natürlich lehnten sich die Engländer gegen dieses Vorhaben auf: es entsprach nicht ihren Gewohnheiten, Frankreich bei der Lösung seiner imperialen Probleme zu helfen. Zar Alexander aber antwortete zustimmend, und wenn er auch nicht beabsichtigte, seine Soldaten nach Algerien zu schicken, so hatte er doch nichts dagegen, wenn Napoleon dies tat. Im Jahre 1807 war der türkische Sultan auf die bevorstehende französische Expedition nach Algerien gefaßt — nur die neuerlichen europäischen Wirren retteten den Dei.

Aber es blieb eine Spur der französischen Vorbereitungen zurück. Der Genie-Offizier Boutin wurde 1808 mit geheimer Weisung nach Algerien abkommandiert. Wie bezeichnend für Napoleon klingt ein Satz aus seiner Instruktion: „Bei der ersten Gelegenheit sofort Notizen machen, um mir nachher nicht aus dem Gedächtnis etwas vorzufabeln.“ Boutin streifte einen ganzen Monat lang verkleidet um Algier herum und machte nicht nur Notizen, sondern zeichnete auch Kartenskizzen. Auf der Rückreise fiel sein Schiff in die Hände der Engländer. Er hatte gerade noch Zeit, die Skizzen zu vernichten; die Notizen jedoch bewahrte er auf — selbst in der Gefangenschaft auf der Insel Malta. Er entfloh von dort, als Matrose verkleidet, nach Konstantinopel, von wo aus er sich nach Paris durchhalf; seine Notizen brachte er mit. In seinem Bericht erläuterte er klar und deutlich, wie der Dei in kürzester Frist mit dem Mindestmaß an Verlusten aus seiner Hauptstadt vertrieben werden könne. Vor allem — schrieb er — darf man nicht versuchen, sie vom Meere aus anzugreifen. Man muß auf Kap Sidi-Ferruch, westlich von Algier, landen und von da aus von hinten auf die Forts marschieren, die währenddessen, so viel sie wollen, ihre Geschosse ins Meer verpuffen können.

// Den gleichen Gedanken hatte schon unter Ludwig XVI., sechsundzwanzig Jahre vor Boutin, der französische Konsul in Algier, Kersey, geäußert. Aber Boutin hatte den Gedanken zu Ende gedacht und in militärisch-technischer Beziehung ausgearbeitet. Nach weiteren zweiundzwanzig Jahren wurde sein Plan aufs genaueste verwirklicht. Die Revolution übergab das Vermächtnis des alten Frankreich der Regierung der Restauration. Staatsformen sterben ab, nationale Aufgaben aber dauern.

(10) في عهد نابليون مرة أخرى : خطة بوتان : في الوقت الذي كان يتراسل فيه نابليون مع داي الجزائر ، ويعبر له عن رغبته في التعاون والمودة ... كان يعد خطة ، هو أيضا ، لغزو الجزائر ، وأعطاهها صيغة سرية جدا تتمثل في خطوتين :

i) الأولى هي الحصول على موافقة قيصر روسيا ، ألكسندر الأول ، في معاهدة تيلسيت le Traité de Tilsitt الفرنسية الروسية بتاريخ 7 يوليو 1807 :

تحت عنوان :

Traité d'Alliance offensive et défensive conclu à Tilsitt le 07 juillet 1807 entre la France et la Russie, signé par Louis Bonaparte, Empereur de France, et Alexandre 1^{er}, Empereur de toutes les Russies (48).

ويتسامل المؤرخ الفرنسي دوكليرك في نفس السياق :

« هل هناك مادة أخرى سرية جدا (artículus secretissimus) ، كما قيل مرارا ، وكتبه كثير من الكتاب الفرنسيين والأجانب (أي غيرهم) ، أم هل هي فقط المادة الثامنة والخاصة بإطلاق اليد ضد الدولة العثمانية وحدها ، ولم تلحق بها مواد سرية أخرى ؟ » (49)

ويجيبه المؤرخ الأمريكي سبنسر ، مؤكدا :

« نعم ، هناك تلك المادة السرية جدا ، وهي الخامسة ، في المعاهدة » . (50)

وكتاب سبنسر صدر سنة 1976 ، والمؤرخ متخصص في التاريخ الحديث ، فلا شك إذن أنه اطلع على النص الكامل للمعاهدة .

(48) De Clercq : ibid, t. 2, p. 214.

(49) De Clercq : ibid, t. 2, p. 214.

(50) Spencer : ibid, p. 183.

ويذهب دو غرامون الى عدم قصر هذه « المادة السرية جدا » من المعاهدة على الجزائر ، بل يقول إنها تشمل بلدان المغرب كلها :

« وقد قرر الأمبراطور نابليون أن يضع حدا نهائيا لمشاكله مع بلدان المغرب ، وأن يلحق بفرنسا شمال افريقيا كله .

« وقد كان هذا الإلحاق موضوع مادة من مواد المعاهدة الفرنسية الروسية » . (51)

أما المؤرخ الألماني سميونوف ، فيضيف :

« بل وقد وسع بونابارت من هذا « الحوار » (أى النزاع) بين الجزائر وفرنسا ، فلراد أن يجعله دوليا ، بأن يشرك فى قراره غزو الجزائر كلا من أنكلترا ، والنمسا ، وروسيا .

« ولكن أنكلترا رفضت ، إذ ليس من عاداتها أن تساعد فرنسا على حل مشاكلها الأمبريالية . أما القيصر الكسندر الأول (روسيا) فقد وافق وإن لم ينو إرسال جنوده إلى الجزائر .

« ... ولكن الاضطرابات الطارئة فى أوروبا حالت دون تحقيق مشروع نابليون » . (52)

2) والخطوة الثانية التى اتخذها نابليون بونابارت فى هذا الاتجاه ، لتحقيق مشروعه فى غزو الجزائر ، مزدوجة ، تتمثل من جهة فى :

أ) « كتابة رسالة سرية يوم 18 أبريل 1808 إلى وزير بحريته ، ديكريس (Decrès) ، يقول له فيها ، فيما يقول :

(51) De Grammont : ibid, p. 371.

(52) Semjonow : ibid, p. 172.

« فكروا فى إعداد غزوة إلى الجزائر ، وذلك على كلا المستويين : البحرى والبرى » . (53)

(ب) « ومن جهة أخرى أرسل الرائد بوتان ، رئيس فرقة الهندسة العسكرية (Vincent - Ives Boutin) إلى الجزائر سريا بتعليمات صارمة :

« إياك أن تحكى قصصا عند العودة ، وتطلق العنان لخيالك ! بل عليك أن تسجل أدنى جزئية فى حينها ، وأن تقدم تقريرا كتابيا » .

ويضيف سميونوف :

« وفعلًا ، فقد أقام فى الجزائر شهرا كاملا ، وهو متقنع بحيث لا يتعرف عليه ، ولم يكتف عند العودة بالتقرير الكتابى ، بل دعمه بخرائط ، وأوصى ، بإلحاح ، ألا تجابه العاصمة من البحر ، كالعادة ، بل من الخلفية الأرضية ، غربها ، من سیدی فرج ، ومن هناك تقتحم القلاع ؛ وعلى أبراج الجزائر وحصونها أن تقذف بما شاءت على البحر ، فى الفراغ ، عبثا وسدى » . (54)

ويدقق جوليان أكثر فيقول :

« قال بونا بارت لبوتان :

« أريد تفاصيل دقيقة بحيث لا تشتمل على : « لكن ، إذا ، لأن » الخ :

« des matériaux tels qu'il n'y ait pas de mais, de si, de car ».

« وأقام بوتان فى الجزائر من 24 مايو إلى 17 يوليو ، 1808 ، متقنعا ، حيث وفر له القنصل العام دوبوة تانفيل Dubois-Thainville

(53) Bardon : Histoire Nationale de l'Algérie, p. 315.

(54) Semjonow : ibid, p. 172.

كل التسهيلات والمساعدات ، ورجع بتقرير - حسب المرغوب -
وكان الأساس لحملة غزو الجزائر سنة 1830 » . (55) و (56)

ولئن لم يتمكن بونابارت من تحقيق مشروعه الفادر ، نظرا
للظروف في أوروبا إذ ذاك ، وفي فرنسا نفسها ، فقد تحقق
فيما بعد ، كما نعلم ، بخطة مدبرة ونية مبيتة نفذت ، باستعمال
التصميم الذى وضعه بوتان بمباغطة العاصمة من الغرب ، أى
من الخلف ، حيث إن جميع الفارات السابقة ، من فرنسية وغيرها،
فشلت لأنها كانت تضرب فى الوجه ، من البحر ، فكانت مدفيعتنا
تدحرها من أعلى القلاع المرتفعة .

(11) **ففى عهد شارل العاشر ، الذى أشرنا إلى حلمه فى**
اليقظة فى بدم هذا الفصل ، كانت هناك نية مبيتة وخطة مدبرة
بتنفيذ محكم قام على ثلاثة عناصر متوازية :

(1 عزم مستمر ، 2) وإعداد متواصل ، وقد ذكرنا أمثلة على
ذلك متسلسلة تاريخيا .

(3) واستفزاز الداي حسين :

لقد أحكمت الخطوة : ففرنسا تطورت فى هذه المدة الطويلة :
ثلاثة قرون متواصلة ، تطورا كبيرا ، علميا ، وتقنيا ، وصناعيا،
وعسكريا ... والدايات عندنا ظلوا مكتفين بشجاعتهم ،
وبطولة الجند ، وروح التضحية والفداء لدى الشعب ، وظنوا أن
ذلك سيكفى فى المستقبل أيضا !

وبعد أن تأكدت فرنسا من التفاوت الحضارى والتقنى ،
ورجح لديها احتمال انتصارها ، أخذت تبحث عن سبب إعلان

(55) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine, p. 23.

(56) انظر الشكل رقم 86 .

Dans la situation générale, les relations avec le dey n'eurent qu'un caractère épisodique. Le capitaine-chef de bataillon du génie, Vincent-Yves Boutin, prescrit à la destruction de l'émir, eut une importance exceptionnelle, c'est qu'il fut la source principale à partir de laquelle la commission chargée de préparer l'expédition d'Alger, en 1830, donna son plan à Alger du 24 mai au 17 juillet 1808 où Dubois-Thainville favorisa, par tous les moyens, sa mission d'espionnage qui présentait de réels dangers. Le consul redouta, par moments, les conséquences d'une audace dont le dey s'irritait. L'enquête fut des plus fructueuses. L'officier repartit avec une ample moisson de notes et de croquis. D'où il tira un rapport dont la richesse et l'exactitude dépassent l'entendement. L'empereur, qui voulait qu'on lui fournisse des renseignements sûrs concernant les possibilités d'attaque d'Alger et de Tunis, avec « des matériaux tels qu'il n'y ait pas de mais, de si, de car », trouva dans la *Reconnaissance* de Boutin toutes les précisions qu'il exigeait. L'officier portait son choix sur l'une des deux baies de Sidi Ferruch, à 27 km à l'Ouest d'Alger, pour un débarquement des troupes, car « on n'aurait ni batteries à contrebalancer, ni probablement d'ennemis en présence, ni de hauteurs à gravir ». Il décrivait les fortifications et indiquait la technique à adopter pour les réduire, en recommandant d'attaquer en premier lieu « le château de l'Empereur » d'où l'on pourrait « battre la ville ». Le corps expéditionnaire comprendrait 25 à 40 000 hommes, surtout fantassins, appuyés par « une bonne artillerie de campagne et de la plus légère » et dotés d'un matériel de siège. Bien menée, la campagne aboutirait en un mois. Le respect des mosquées, des femmes et des maisons ainsi que le paiement strict des acquisitions seraient de rigueur. La pénétration dans l'intérieur devrait être pacifique. Elle irait de soi en se « faisant amir sur le littoral » et en évitant d'user de violence. Napoléon témoigna son estime à Boutin à qui il confia, en 1811, une nouvelle mission de reconnaissance en Egypte et en Syrie mais, à aucun moment, il n'envisagea de tirer parti du rapport pour organiser une expédition que la destruction de la flotte française à Trafalgar rendit, au surplus, impossible. Durant les dernières années de son règne, il cessa de s'intéresser aux Barbaresques qui comptaient peu au prix de l'Angleterre et de ses ennemis continentaux.

*Le consul Deval
et la liquidation des créances*

La Restauration ramena Talleyrand aux Relations extérieures (20 mars-12 juin 1815) et le plaça même à la tête du gouvernement (9 juillet-26 septembre 1815). Jacob Barri, qui avait pris la tête de la maison d'Alger, put avoir, à nouveau, recours à ses bons offices. C'est durant la courte période où le prince de Bénévent fut président du Conseil qu'il désigna comme consul général à Alger, Pierre Deval, officiellement chargé de donner tous apaisements au dey notamment pour le règlement des créances Barri. C'était reprendre la politique équivoque qui ne jouait qu'au profit des juifs et, subsidiairement, de leurs protecteurs français. Qu'un conflit opposât les Barri au dey, en la matière, il n'était pas douteux que la France soutiendrait les intérêts des hommes d'affaires contre le souverain. En ce sens, le consul Deval

حرب (« Casus belli ») ، فأوعزت إلى قنصلها العام فى الجزائر ،
دوفال Deval ، بأن يستفز الداي بطريقة ما حتى يقوم
بتصرف تتخذه هى تعلقة لإعلان الحرب على الجزائر . (57)

وكان ذلك من السهولة بمكان على دوفال ، الذى لم تجب
حكومته على رسائل الداي حسين التى يطالبها فيها بتسديد
الديون التى عليها للجزائر ... فأمرته بأن يجيب الداي شفويا
بأن طلبه تستحيل الاستجابة له ، « رغم الاتفاقيات المعقودة
بهذا الشأن بين الداي حسين ولويس الثامن عشر يوم 28 أكتوبر
1819 ، وصادق عليها مجلس النواب الفرنسى يوم 24 يوليو
1820 » . (58)

وكان الأمر كذلك : ففى يوم عيد الفطر 1242 هـ (30 أبريل
1827) جاء دوفال (59) و (60) ، مع غيره من القناصل الأجانب ،
لتهنئة الداي حسين . وكان سؤال الداي ، وكان الجواب المذكور ،
وكانت « الضربة بالمروحة (le coup d'éventail) » الشهيرة (61)
... على الأقل حسب التقارير الفرنسية الرسمية ، كما يقول
غالير : (62) « Tel est le récit officiel de notre chancellerie ! »

وكان غالير يستنكر هذا التصرف الفرنسى الرسمى ، فنراه
يكتب فى نفس الصفحة :

(57) Garrot : ibid, p. 646.

(58) De Grammont : ibid, p. 389.

(59) انظر الشكل رقم : 87 .

(60) انظر الشكل رقم : 88 .

(61) انظر الشكل رقم : 89 .

(62) Galibert : ibid, p. 251.

Alger, 30 avril 1827.

MONSIEUR LE,

Je m'empresse de rendre compte à Votre Excellence d'une scène déplorable qui eut lieu hier entre le Dey d'Alger et moi.

Le privilège accordé aux Consuls de France en cette ville de complimenter en audience particulière le Dey la veille des fêtes mahométanes me fit demander au château l'heure où Son Altesse voulait me recevoir. Le Dey me fit dire qu'il me recevrait à une heure après midi, mais qu'il voulait voir la dernière dépêche que la goëlette du Roi destinée à la station de pêche m'avait apportée.

Je lui répondre aussitôt par le drogman ture du Consulat que je n'avais reçu aucune lettre de Votre Excellence par cette occasion, mais une seule de S. E. le ministre de la Marine et des Colonies qui avait rapport à la station de la pêche. Je ne fus pourtant pas peu surpris de la prétention du Dey de connaître par lui-même les dépêches que Votre Excellence me fait l'honneur de m'adresser. Je ne pouvais concevoir quel en était le but.

Je me rendis néanmoins au château à l'heure indiquée; introduit à l'audience, le Dey me demanda s'il était vrai que l'Angleterre eût déclaré la guerre à la France. Je lui dis que ce n'était qu'un faux bruit provenant des troubles de Portugal dans lesquels le gouvernement du Roi n'avait pas voulu s'immiscer.

— Ainsi, donc, dit le Dey, le gouvernement de France accorde à l'Angleterre tout ce qu'elle veut, et à moi rien du tout ?

— Il me semble, Seigneur, que le gouvernement de Sa Majesté vous a toujours accordé tout ce qu'elle a pu.

— Pourquoi votre ministre n'a-t-il pas répondu à la lettre que je lui ai écrite ?

— J'ai eu l'honneur de vous en porter la réponse aussitôt qu'elle m'est parvenue.

— Pourquoi ne m'a-t-il pas répondu directement ? Suis-je un manant, un homme de boue, un va nu-pieds ? Mais c'est vous qui êtes cause que je n'ai point reçu de lettre de votre ministre. C'est vous qui lui avez insinué de ne pas m'écrire. Vous êtes un méchant, un infidèle, un idolâtre.

Se levant alors de son siège, il me porta avec le manche de son chasse-mouches trois coups violents sur le corps et me dit de me retirer.

Je repartis vivement.

— Je vous prie, Seigneur, d'être bien convaincu que je crains Dieu et non les hommes, et je puis affirmer à Votre Altesse que j'ai transmis fidèlement à Son Ex. le ministre de Sa Majesté la lettre de

1. Son Ex. Monsieur le baron de Damas, ministre et secrétaire d'Etat des Affaires étrangères à Paris.

E. Plantet.

Votre Altesse sans aucune insinuation quelconque de ne point écrire à Votre Altesse. Son Excellence vous a répondu par mon entremise, suivant les formes usitées.

— Au reste, me dit-il, sachez que je n'entends nullement qu'il y ait des canons au fort de La Calle. Si les Français veulent y rester comme de simples négociants, à la bonne heure ; autrement, qu'ils s'en aillent. Je ne veux pas qu'il y ait un seul canon des indigènes sur le territoire d'Alger.

Je voulus répliquer, mais il m'ordonna de me retirer.

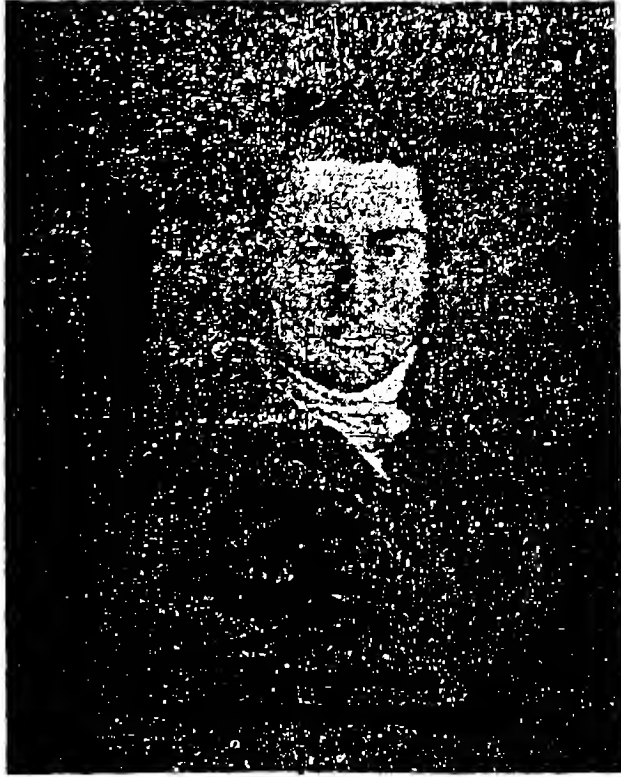
Au sortir de cette audience, je me rendis auprès du *Kaznaï*, le premier ministre dans la grande salle du château ; je lui fis le récit de cette scène violente et de l'injustice du procédé du *Deï* à mon égard. Le ministre me dit : « Il faut prévenir que les vitres ne se cassent, mais quand elles sont cassées, quel remède y a-t-il ? » Celui, lui dis-je, d'en remettre des neuves à la place. »

Votre Excellence jugera sans doute que pour le respect des convenances, il ne m'est pas permis de continuer pour le moment ma résidence à Alger. Si Votre Excellence ne veut pas donner à cette affaire la suite sévère et tout l'éclat qu'elle mérite, elle voudra bien m'accorder la permission de me retirer par congé et elle pourra charger M. Jobert, en qualité de député de la nation, de l'Agence du Consulat général pendant mon absence...

Je suis avec un profond respect, etc.

Le Chev. Derval.

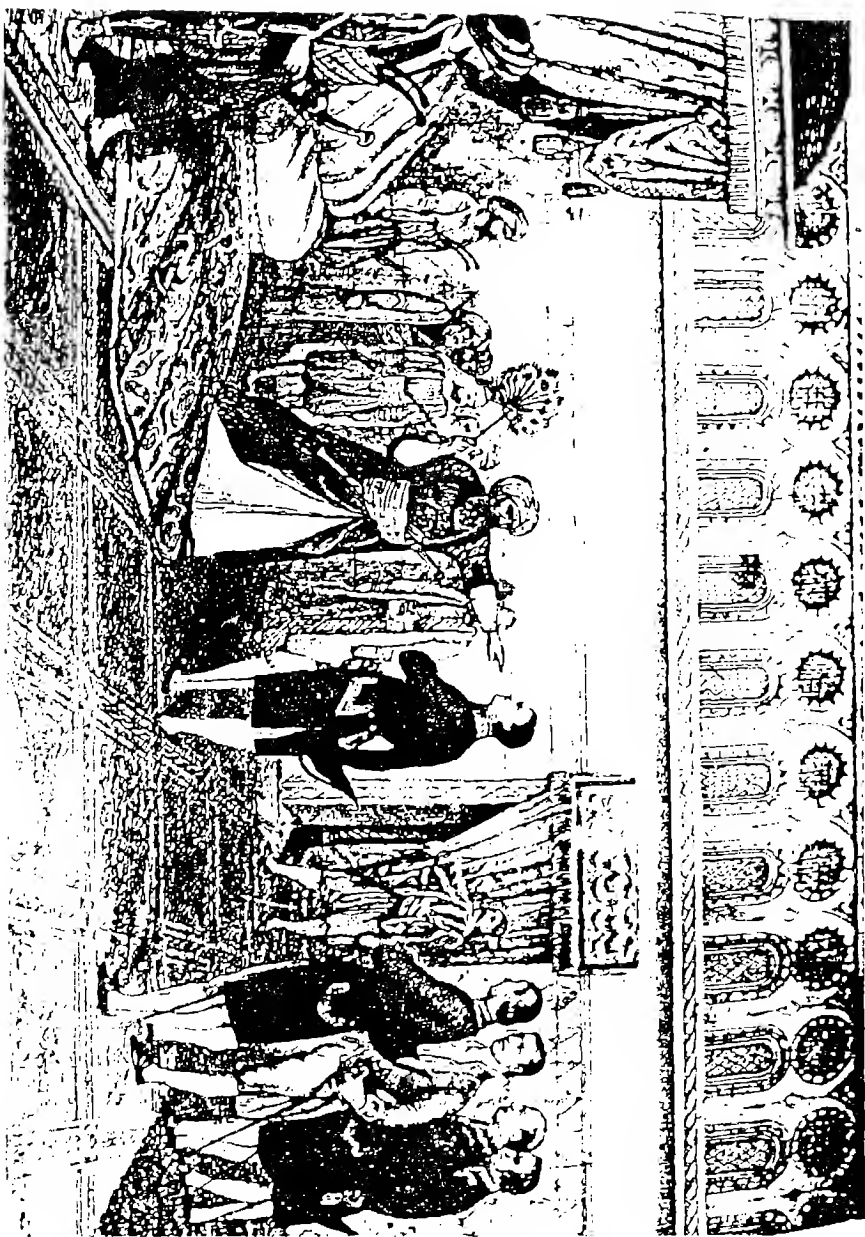
وبوصول القنصل إلى باريز ؛ جهزت دولة فرنسا أساطيلها . وبعثتها إلى الجزائر
لتنظر الأميرال « كولييت » فنازلها . يغادها القتال وبرأوحه . واستمر محاصراً لها ،
نحو ثلاث سنين ، حتى لانت قوته . وانفدت ذخائره ، وانقرض معظم جيشه .
وتكسرت أكثر مراكبه . وكانت خائفة أمره بقتله . ذكر بعض المؤرخين : أن
النفقة على هذه الحملة ؛ كانت أكثر من عشرين مليون فرنك . وأما حكومة الجزائر ؛
فلم يلحقها كبير ضرر . ولما علم « حسين باشا » ، أن دولة فرنسا لا ترفع يدها عن الجزائر



سبب النكبة : المـبر دوفال قنصل فرنسا في الجزائر

وأنها تراجع منازلها لا محالة ؛ أخذ في تثقيف البلد . ونحصر حوزتها . ثم انتقل
بأهله وحاشيته إلى القصة .

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين وألف هجرية (١٢٤٥) . وتسع وعشرين وثمانمائة
وألف ميلادية (١٨٢٩) ؛ بعثت دولة فرنسا معـدها « دي لابر » إلى الجزائر ، يطلب
نخبة الجزائر م ٩



(89) رقص

« وكانت علاقات التفاهم سائدة بين فرنسا والجمهورية الجزائرية منذ لويس الرابع عشر » . (63) . (وقد سبق أن رأينا أنها كانت سائدة منذ فرانسوا الأول وابنه هانرى الثانى منذ النصف الأول من القرن السادس عشر !) .

ولم تكن « ضربة المروحة » هذه إلا تعلقة إذن ، استفز الداي إليها بطريقة مدبرة مدرّسة من الفرنسيين . وذلك أنه لو كان الأمر حقا يتصل بـ « الانتقام للشرف الفرنسى » لانتقموا له كم من مرة قبل ذلك ، كما رأينا عند الكلام عن هانرى الرابع ، مثلا ، وحتى فى عهد نابليون بونابارت . « إذ طرد الداي الحاج علي سنة 1810 قنصل فرنسا من الجزائر بالقوة . وأمر بالإلقاء به بعنف فى سفينة فرنسية كانت بمرسى الجزائر ، ولم يحتج بونابارت ، ولم يطالب برد الاعتبار ، أو شيء من ذلك ... لأنه كان مشغولا فى أوروبا » . (64) حدثت حكاية « المروحة » هذه يوم 30 أبريل 1827 ، كما رأينا .

وفى اليوم 16 من يونيو 1827 أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر، فى غياب الأسطول الجزائرى ، الذى كان فى طريقه إلى اليونان لمساعدة الدولة العثمانية ، التى كانت تتوقع حربا من أوروبا المسيحية ... وقد كانت أوروبا كلها فى هيجان إذ ذاك ...

وفعلا ، فسرعان ما وقعت فرنسا ، وأنكلترا ، وروسيا فى لندن يوم 6 من يوليو 1827 « الحلف الثلاثى » : (la Triple Alliance) ضد العثمانيين .

وكانت معركة نافاران Navarin البحرية المشهورة ، التى شنتها الدول الثلاث المذكورة ، وتحطم فيها الأسطول العثمانى ،

(63) Galibert : ibid, p. 251.

(64) Cat : ibid, p. 333.

والجزء الأكبر من الأسطول الجزائري ، الذي بقى وحده فى الميدان أمام أساطيل روسيا ، وفرنسا ، وأنكلترا ، يوم 20 أكتوبر 1827 .

وقد ظل إعلان الحرب من فرنسا على الجزائر فى شكل حصار بحرى لميناء الجزائر . وفى 8 أوت 1829 قررت حكومة بولينياك (Polignac) الحرب الفعلية . (65)

« وفى يوليو (1829) وصل مبعوث خاص من شارل العاشر ، ملك فرنسا ، للمفاوضات مع الداى حسين ، وكانت شروطه :

« (1) رد الاعتبار للشرف الفرنسى المهان ،

« (2) إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين ،

« (3) إنهاء فرض الإتاوة ،

« (4) إنهاء القرصنة .

« وقد رفضها الداى حسين وقال : « لى بارود ومدافع » !

« ولكن : هل كانت تلك هى الأسباب الحقيقية للحرب ؟ إن الجواب يكمن فى كلمة رجل الدولة النمساوى الشهير ميتيرنيخ (Metternich) عن سؤال وجه إليه ، إذ قال :

« لا يلقى هكذا بمئات الملايين ، ولا يرسل هكذا مثل هذا الجيش العرمرم عبر البحر ، من أجل ضربة بمروحة » . (66)

وفى يوم 12 مارس 1830 وجه شارل العاشر ، ملك فرنسا ، رسالة إلى جميع الدول الأوروبية قائلاً لها : « إن غزو الجزائر فى صالح المسيحية كلها » . (67)

(65) De Grammont : ibid, p. 389.

(66) Semjonow : ibid, p. 208.

(67) De Grammont : ibid, p. 397.

هذا فيما يتصل بالنوايا . ولنأت الآن إلى محاولات تحقيق تلك النوايا ... وهى الغارات :

الغارات الفرنسية على الجزائر :

كما بدأت العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع فرنسا مبكرا ، كذلك بدأت الغارات العدوانية مبكرا ، إذ سرعان ما تلتها وظلت موازية لها حتى ... الغارة الأخيرة ... سنة 1830 .

وإذا كان عدد الغارات الإسبانية يبلغ - أو يتجاوز قليلا - العشرة ؛ وكذلك البريطانية ؛ فإن الفرنسية أكثر من هذا بكثير جدا ، بل بلا مقارنة إطلاقا ! فبقطع النظر عن مشاركة فرنسيين كثيرين فى غارة شارلكان على الجزائر العاصمة سنة 1541 ، أرسل ملوك فرنسا بغارات عديدة أهمها :

(1) فى عهد هانرى الرابع : غارة المريكز سافارى دى بريف

le Marquis Savary de Brèves ، سنة 1604 ، ورد مدحورا .

وفى عهد ابنه لويس الثالث عشر عدة غارات أهمها :

(2) غارة المفامر الفلامانكى الهولاندى سيمون دانسر

Simon Danser ، (الذى « أسلم » ، ثم عاد إلى النصرانية !) . قام بغارة على الجزائر العاصمة وشرشال ، سنة 1610 ، وخرّب بلدة برشك (وتسمى الآن بنى حواء ، وهى مسقط رأس العالمين ولدي الإمام ، صديقى ابن خلدون) . (68)

(3) غارة الأميرال مونتاغو Montagu سنة 1624 . (69)

وبعد الغدر الذى قام به سيمون دانسر هذا سنة 1610 (70) ، « أطلقت الجزائر العنان لرياس بحريتها حتى 1634 ، وغنمت

(68) مجلة الأصالة، العدد 23، (1395 - 1975) فيما يخص تاريخ بلدة برشك.

(69) Reftelius : ibid, p. 667.

(70) إنية وأصالة لكاتب هذه السطور ، ص 291 .

ثمانين (80) سفينة فرنسية ، منها اثنتان وخمسون (52) من تلك التي تمخر عباب المحيطات ، بحمولاتها وأسر فيها 1331 شخص أسلم منهم 149 ، وكان إذاك في سجون الجزائر أكثر من ثلاثة آلاف فرنسي . (71)

(4) غارة الأميرال دي منتيس de Mantis سنة 1634 ، « التي فشلت بسبب الرياح المعاكسة ، بحيث ألقى الأميرال بأكثر من ستمائة بحار فرنسي في البحر ، (أى أنه لاذ بالفرار) ، وخرب الجزائريون إثرها المركز التجارى الفرنسى في القالة » . (72)

(5) وتبعت هذه الغارة حرب جزائرية فرنسية دامت من 1636 الى 1643 ، وقد رد الفرنسيون مدحورين . (73)

وفي عهد ابنه لويس الرابع عشر لم تشن علينا فرنسا أقل من عشر غارات (74) ، وهو الذى كان يسود أن يخلف شارلمان وشارلكان في التكلم باسم النصرانية كلها ، ولم تكفه أمته التي سماها : « الأمة المسيحية جدا » ! (« La Nation très-chrétienne »).

وهذه الغارات العشر امتدت من 1663 إلى 1688 ، أهمها :

(6) غارات الأميرال الدوق دو بوفور (75) (de Beaufort) ، ومنها تلك التي قام بها يوم 23 يوليو 1664 على مدينة جيجل ، على أساس خطة وضعها له المهندس دى كليرفيل de Clerville ، مترددا بين بجاية وجيجل ، ثم استقر رأيه على هذه الأخيرة (76) ، وجاء دو بوفور بستين بارجة من طولون وسبعة آلاف بحرى ، يوم 23 يوليو 1664 ، بمرافقة القائد فريتوة Fretoy ، واحتل المدينة

(71) Galibert : ibid, p. 222.

(72) Galibert : ibid, p. 222.

(73) Cat : ibid, p. 289.

(74) Ministère (français) de la Guerre : Aperçu p. 35.

(75) انظر الشكل رقم : 90 .

(76) انظر الشكل رقم : 91 .



le Duc de Beaufort

الدوق دي بيوفور

الشكل رقم (90)



38.- L. WIDMAN . Vue de Djidjelli

الشكل رقم : (91)

فملا لأيام معدودة ، « ثم فروا مهزومين . بخسارة كبيرة تكبدوها » . (77) ، منها سبعمائة مدفع برونزي مستاز من أجود صنع غنمها الجزائريون عنهم .

(7) غارة الأدميرال دوكين (78) l'Amiral Duquesne يوم 28 أوت 1682 مع الماركيز دامفريفيل le Marquis d'Amfreville . (79) «وقد نكس الأدميرال هاربا ناجيا بنفسه ، وعنقه فوق رأسه» . (80)

(8) غارة أخرى للأدميرال دوكين Duquesne في العام الموالي ، وذلك يوم 28 يونيو 1683 ، « وخرب المدينة (بالقنبلة) (81) ، واشترط شروطا قاسية ، فضعف الداي محمد قليلا ، فأحيد عن مكانه وخلفه الحاج حسين (82) (ميزومورتو : لقب ألصقه به الأوروبيون) ، وقاوم بشراسة ، فأقلع الأدميرال دوكين لتقلب الطقس راجعا إلى فرنسا بدون نتيجة . وأثناء القنبلة ، التي خربت المدينة ، وضع الداي الجديد ، الحاج حسين ميزومورتو . فنصل فرنسا ، لوفاشي (83) ، في فم مدفع ، وقذف به سفينة دوكين » . (84)

(9 - 10) غارتا المارشال دو تورفيل (de Tourville) يوم أول أبريل 1684 وسنة 1687 . (85)

(77) Reftelius : ibid, p. 64.

(78) انظر الشكل رقم : 92 .

(79) انظر الشكل رقم : 93 .

(80) Reftelius : ibid, t. 2, p. 667.

(81) انظر الشكل رقم : 94 .

(82) انظر الشكل رقم : 95 .

(83) انظر الشكل رقم : 96 .

(84) Reftelius : ibid, p. 669.

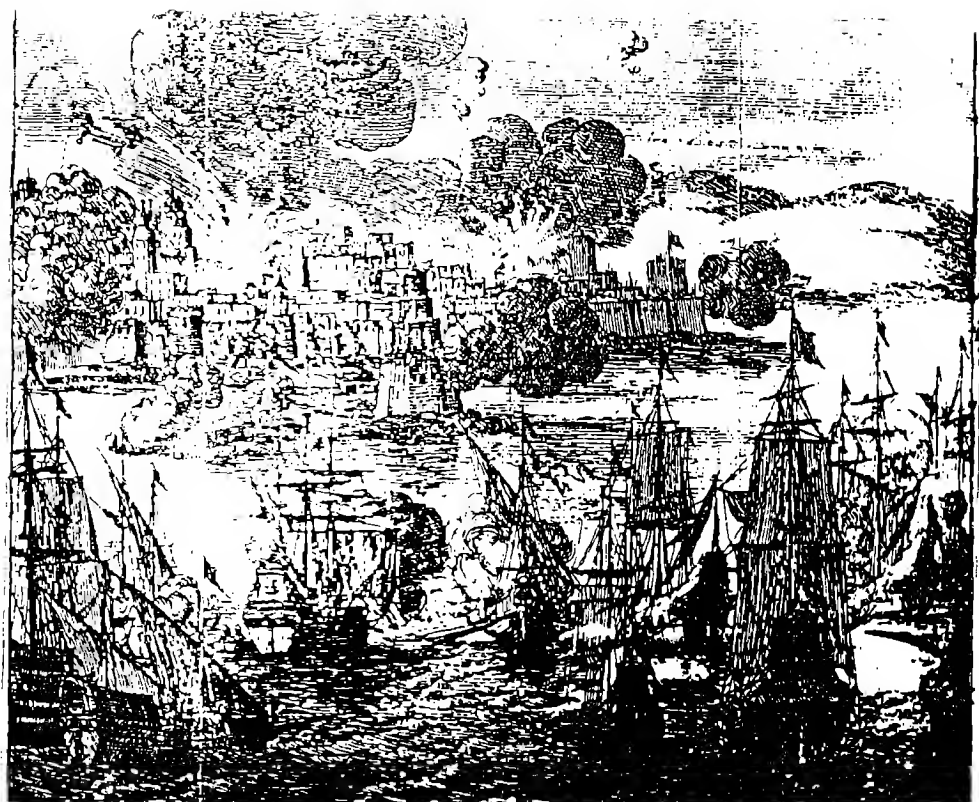
(85) انظر الشكل رقم : 97 .



Abraham Du Quesne
Lieutenant Général des Armées Navales du Roy

الأميرال دو كسين

الشكل رقم : (92)

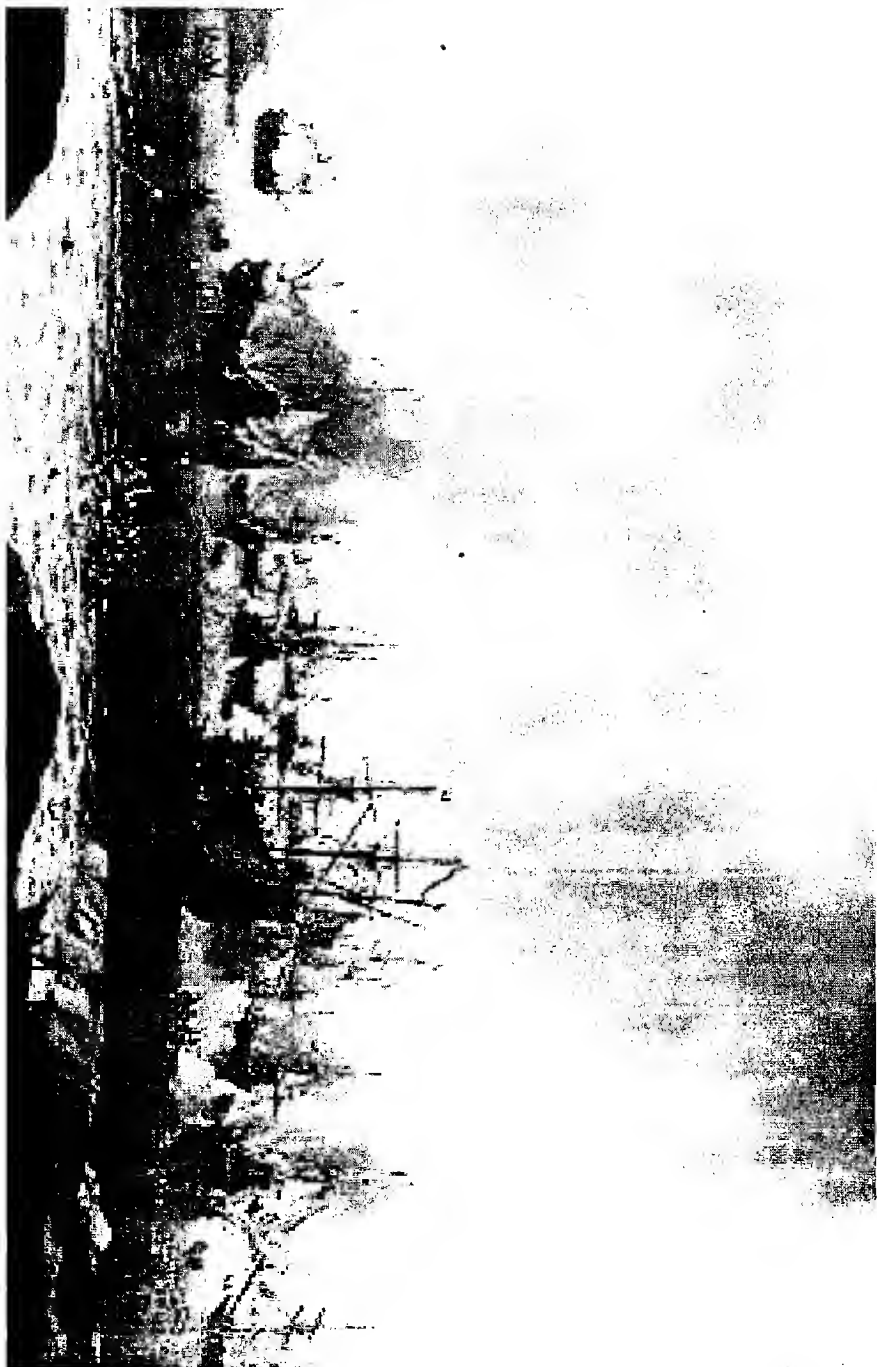


Algiers door de Frantſchen gebombardeerd, int Jaar 1682.

Van Lint

— H. de Vries, d'Alger (1682).

الشكل رقم (93)



BOMBARDEMENT D'ALGER. 1683 par Duquesne

الشكل رقم : (94)



Gegenstand des Mezzomorto gewesenen Dey in Alger, jetzt
 Capitan Passa der Flotten des Gross Türken
 الدای الحاج حسين (ميزومورتو)

Mezzomorto, 'dey d'Alger (1683 - 1686)



Supplice du P. Levacher(1683).

الشكل رقم : (96)



المریشال دی تورفیل

(II) غارة المريشال ديستري D'Estrées (86) على الجزائر يوم 29 يونيو 1688، التي كافح فيها نفس الداي الحاج حسين (ميزومورتو) شخصيا ، وجرح في رأسه بشظية قنبلة. (87) و (88) « وقد أفرغت غارات هذين الأخيرين أكثر من عشرة آلاف قنبلة على عاصمة الجزائر » . (89)

(I2 - I3) ثم غارة جيروم بونابارت (شقيق نابليون وفي عهده) على الجزائر في يوليو 1805 وغارة الأدميرال جوريان دو لا غرافير l'Amiral Jurien de la Gravière يمنية نائب الأدميرال الأنكليزي فريمنتل Freemantle ، في سبتمبر 1819 ، التي هددا بها الداي حسين ، مبلغين إياه قرارات الدول الأوروبية المتخذة يوم 20 نوفمبر 1818 في مؤتمر آخن (Aix-la-Chapelle) في ألمانيا .

وكانت الدول الممثلة في ذلك المؤتمر هي فرنسا (وممثليها هو وزيرها الأول دوق ريشوليو) ، وأنكلترا ، وبروسيا (ألمانيا)، وروسيا ، والنمسا ، باسم أكثر من عشرين دولة أوروبية .

وكانت فرنسا المحرك الأول في القرارات المتخذة ضد الجزائر في هذا المؤتمر بتاريخ 20 نوفمبر 1818 ، وفي قرارين اتخذتا في مؤتمرين سابقين : أحدهما في 30 مايو 1815 في مؤتمر باريس ؛ والثاني بتاريخ 09 يونيو من نفس العام (1815) في مؤتمر فيينا، «الذي كان يمكن أن يكون حربا صليبية جديدة» . « une nouvelle croisade » . (90)

واستقبل الداي حسين يومى 5 و 9 سبتمبر 1819 الأيرالين الفرنسى والأنكليزى ، المهديدين باسم أوروبا ، بثبات جأش

-
- (86) انظر الشكل رقم : 98
 - (87) انظر الشكل رقم : 99

(88) Galibert : ibid, p. 232.

(89) Ministère de la Guerre (Paris) : Aperçu p. 37.

(90) Garrot : ibid, p. 468.



52. — LAIGNEUR. Le maréchal d'Estrées.

المرشال ديستري



Bombardement d'Alger par le Maréchal d'Estrées (1688)

الشكل رقم : (99)

وكرامة ، ورفض تهديدهما ، واستلام القرار المتخذ باسم أوروبا .

« ورجعنا بدون جواب كتابي - كانا يلحان عليه - إلى أوروبا » . (91) ، أو بخفي حنين ، أو ، كما يقول دوغرامون : (92) « et ils repartirent: bredouille... » !

(14) غارة 16 يونيو 1827 وحصار ميناء العاصمة (le blocus d'Alger).

وتبقى الغارة الفرنسية الأخيرة ، أو الحملة العدوانية ، سنة 1830 ، سنعود إليها بعد استعراض تطورات العلاقات التي كانت بين البلدين إذ ذاك ؛ من علاقات دبلوماسية بين البلدين ؛ ومعاهدات ، ومبعوثين على المستوى الأعلى من ملوك فرنسا إلى دايات الجزائر ؛ فضلا عن الدبلوماسيين الفرنسيين المعتمدين في الجزائر المقيمين فيها ؛ ومن مراسلات زاخرة لتهنئة بنصر (للجزائر) ؛ أو بازدياد مولود أو زواج ، (لفرنسا) ؛ أو إخبار بوفاة ، وتولى عرش ، وتعاز عن وفاة ، وتهان في نفس الرسالة بتولى ملك جديد ؛ وغير ذلك من المبادلات . وفي جميع هذه الرسائل يحرص ملوك فرنسا ، وخاصة منهم لويس الرابع عشر ، على ذكر « جمهورية الجزائر » : « la République d'Alger » ، أو « جمهوريتكم » : (Votre République) ، كما يلاحظ القارئ من نصوص الرسائل التي نورد هنا بعض صور منها .

ولا ننسى في هذا ، طبعا ، تلك المساعدات الثمينة ، بل الإنجازات العاجلة ، والإسعافات المنقذة من المجاعة ، التي قدمتها الجزائر لفرنسا في ظروف الشدة : من قروض للاستيراد من الجزائر ، خاصة الحبوب ؛ ومن قروض أخرى نقدية ؛ بل ومن مواد غذائية ، وخيول ، وأشياء أخرى عديدة ، مقدمة

(91) Plantet : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, p. 543.

(92) De Grammont : ibid, p. 385.

مجانا ! نعم ، وألف نعم ! ولست أنا الذى ادعى هذا ، وإنما هم المؤرخون الفرنسيون أنفسهم الذين سجلوه ، كما سيأتى بيانه فى محله بالأرقام ، والأسماء ، والوثائق ، والتواريخ ، مدعين ذلك بصور لصفحات مقطوعة من مراجع فرنسية ، خاصة ، وأيضا من غيرها ، حجبا دامغة لكل دماغ ... وبلغتها الأصلية ، لمن يريد التثبت والتأكد ، مستغنين عن ترجمتها بما نورهده من زبدتها بالعربية .

المعاهدات بين الجزائر وفرنسا :

سبق أن ذكرنا أن عدد المعاهدات المنعقدة بين الجزائر وفرنسا كبير ، بلغ السبعين ، وأن بدايتها تعود إلى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى . وها هو تفصيل ما توصلنا إليه ، أخذناه من مظانه الفرنسية ... وليست لدينا مظانه الجزائرية ، مع الأسف ، ولكن قائمتها وحدها تكفى لتفنيد كل من زعم ، أو سيزعم ، أن الدولة الجزائرية المستقلة ، ذات السيادة ، ولدت سنة 1962 م ! بل وتدلنا ، من بين معطيات أخرى ، سنذكرها فى الأخير ، على أن هذه الدولة الجزائرية لم تكن فقط موجودة منذ القدم ، دولة من بين الدول ، وكسائر الدول ، بل كانت ، فوق ذلك ، دولة عظمى ، ولأمة عظمى ، تخشاها ، وتقدرها ، وتحجب إليها وتتأمر ضدها الدول العظمى ، مستعينة فى ذلك عليها بالمتوسطة بل وحتى بالصغرى !

نعود إذن إلى المعاهدات مع فرنسا :

(I) معاهدة تجارة وملاحة (93) Traité de commerce et de navigation بين ملك بجاية ، خالد بن زكرياء ، ومجلس حكومة مرسيليا ، فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى . (94)

(93) انظر الشكل رقم : 100 .

(94) a) Spencer : ibid, p. 148.
b) Devoulx : ibid, p. 1.

LES ARCHIVES

ou

CONSULAT GÉNÉRAL DE FRANCE

A ALGER.

A. Devoulx

I

Dès le treizième siècle, les Marseillais avaient des relations commerciales sur les côtes Barbaresques, concurremment avec les Pisans, les Génois et les Catalans. En 1230, ils conclurent une étroite alliance avec le roi de Tunis. La commune de Marseille fit, au commencement du quatorzième siècle, un autre traité de commerce et de navigation avec le roi de Bougie, Khaled Ben Zakaria. C'est ce qui résulte d'une lettre écrite au viguier de Marseille par le consul de Bougie, Peyre Jordans, pour, se plaindre des difficultés qui entravaient le commerce des marchands et le prier d'adresser les remerciements de la commune au roi Mohamed (commandant de la marine), qui, seul, à Bougie, se montrait favorable au commerce marseillais.

Les rapports que le négoce avait établis entre les Marseillais et les Bougiotes nous sont peu connus. La lettre dont nous venons de parler, qui n'a pas de date, et un autre titre de l'an 1268, portant que « Hugues Borgonion, marchand de Marseille, nommé conseil du navire le Saint-Jacques, pour le présent voyage qu'il va faire à Bougie, aura juridiction pleine et entière sur les passagers, » sont les seuls documents que nous fournissent les archives de cette ville.

Les marchands de Marseille portaient en Barbarie de l'étrin qu'ils

1

الشكل رقم : (100)

(2) معاهدة شاتيلرو ، أو : المعاهدة الثلاثية (le Traité de Châtellerault ou : le Traité tripartite) بين مبعوثي خير الدين ، رئيس دولة الجزائريين (هكذا كان الاسم الرسمي) ، ومبعوثي سليمان القانوني ، السلطان العثماني ، وفرانسوا الأول نفسه ، ملك فرنسا ، سنة 1534 م . (95) و (96)

(3) معاهدة سلم وتجارة بين حسين باشا ، رئيس دولة الجزائر ، ولويس الثالث عشر ، ملك فرنسا ، المنعقدة في مدينة تور يوم 21 مارس 1619 (المسماة : معاهدة تور : le Traité de Tours) ، أمضاها لويس الثالث عشر نفسه ، وعن حسين باشا أمضاها مبعوثه الخاص السفير سنان آغا . (97)

وكان المقصود بهذه المعاهدة وضع حد لنزاع حاد قديم طويل بين الجزائر وفرنسا بخصوص مدفعين برونزيين كان فر بهما من الجزائر ضابط بحري هولاندي اسمه سيمون دانسر Simon Danser ، الذي كان تظاهر باعتناق الإسلام ، وأخذ اسم مراد راييس ، ثم رجع إلى النصرانية ، وفر من الجزائر بالمدفعين ، وأهداهما الدوق دي غيز Duc de Guise ، وزير بحرية لويس الثالث عشر ، واستقر بمرسيليا فيما بعد . (98)

(95) انظر إنية وأصالة ، ص 272 .

(96) A. Dufour : France - Pays Arabes, avril 1975 :

« Les relations de la France avec l'Algérie de 1519 à 1830 ».

(97) De Grammont : p. 152 ; Garrot : p. 450.

إنية وأصالة : 284 - 286 .

(98) وهو غير مراد راييس الذي ترك اسمه على الحى المعروف اليوم بهذا الاسم ، لأن هذا كان ألبانيا مسلما منذ الطفولة ، حسب المؤرخ السويدي ريفتيليوس ، وأصبح فيما بعد المساعد الأول للرئيس المغوار البحار العظيم علي قلش Euldi-Ali ، بطل معركة ليبانت Lépante ، سنة 1571 ، ومحرر تونس من الإسبان سنة 1575 .

ولم يكتف سيمون دانسر هذا (مراد رايس الكاذب) بالهروب
بالمدفعين الممتازين (9٩) (deux magnifiques canons de bronze) ،
بل تسلل حتى بلدة برشك (بنى حواء اليوم) بقوات طوسكانية
وخربها تماما ...

وبعد عقد المعاهدة فى تور ، حيث كان يقيم الملك الفرنسى .
رجع الوفد الجزائرى إلى مرسيليا ، لاسترجاع المدفعين المذكورين
قبل الرجوع إلى الجزائر . وكان الدوق دو غيز وعده بهما ، إذ
رفض سينان آغا العودة إلى الجزائر بدونهما .

وكان المقرر أن يأتى إلى الجزائر مبعوث خاص للملك لويس
الثالث عشر، من نبلاء القصر، اسمه دو موستىي De Moustiers (100)،
ليسلم الداي والديوان وثيقة مصادقة الملك الفرنسى على هذه
المعاهدة ، وإذا بواقعة تقع :

فبينما كان الوفد فى الانتظار فى مرسيليا ، وقد طال الانتظار
قليلا ... حدث صدام فى البحر بين بحار جزائرى ، راجب
رايس ، وبحار فرنسى le Capitaine Drivet ، كان راجعا من
الاسكندرونة ، فى خليج الأسد le Golf du Lion ، بسفينة
محملة بالدمقس والتوابل ... فيقول المؤرخون الفرنسيون إن
راجب رايس أفرغ السفينة الفرنسية (واسمها : le grand Navire)
من حمولتها « بدون أدنى مقاومة ممن كانوا فيها » ، وأغرق
السفينة ، وكان ذلك يوم ١4 فيفرى ١620 . فنجى من ركابها
(الفرنسيين) اثنان وصلا إلى شاطئ سـردينيا سباحة ، ثم رجعا
إلى مرسيليا ، مسقط رأسهما ، فأبلغا الخبر ، فحنق سكان مرسيليا
على الوفد الجزائرى ، وهرعوا إليه ، وذبحوه (4١ عضوا من
وفده) ، ولم ينج منهم سوى أربعة كانوا خارج الفندق إذ ذاك

erot ; ibid, p. 447-448.
de Laramont ; ibid, p. 152.

... واسم الفندق ... le Médilhon ... اعتذر حكام مرسيليا ،
وعوضوا ما عوضوا ، ولكن حسين باشا أطلق العنان لرياسه في
البحر ، فغنموا أكثر من ألف ومائتى سفينة أوروبية ، منها :
193 فرنسية ، و 120 إسبانية ، و 60 أنكليزية ، و 56 ألمانية ،
و 447 هولندية .

ولم يهدأ الجو إلا بعد « أن أرسل الملك الفرنسي لويس الثالث
عشر مبعوثا خاصا ، ومعه « المدفعان الممتازان من البرونز » ،
إلى الجزائر يوم 20 يونيو 1620 ، كما أكد ذلك حسين باشا نفسه
في رسالة منه بتاريخ فاتح أغسطس 1627 . (101)

(4) « معاهدة سلم دائمة وتجارة commerce
Traité de paix perpétuelle et de
، بين حسين باشا ولويس الثالث عشر ، عقدت
بالجزائر يوم 19 سبتمبر 1628 م ، بحضور الآغا ، وقائد الحرس ،
والمفتى ، والقاضيين ، الحنفى والمالكي ، ورجال الشريعة ،
والديوان الكبير ، والمجلس (102) ، في الجزائر المحروسة (التي
لا تغلب) (En cette invincible ville d'Alger) ، أمضاها حسين
باشا ، وسنسون نابليون (Sanson Nappollon) باسم لويس الثالث
عشر ، ملك فرنسا . (103)

« وقد نشر نص هذه المعاهدة كاملا في مجلة الزئبق الفرنسي
Le Mercure Français من عام 1628 » . (104)

وفي سنة 1634 أرسل لويس الثالث عشر مبعوثا خاصا آخر ،
هو Sanson Le Page ، ليطلب تعديل بعض بنود هذه المعاهدة ،
« ولكن يوسف باشا ، الذى خلف حسين باشا ، رده بأدب وحزم ،
رغم ما وزعه المبعوث الفرنسي من هدايا » . (105)

(101) Garrot : ibid, p. 429.

(102) Devoulx : ibid, document n° 1, p. 5.

(103) De Grammont : ibid, p. 163.

(104) Garrot : ibid, p. 469 ; Cat : ibid, p. 282.

(105) Cat : ibid, p. 282.

(5) اتفاقية اقتصادية بين حسين باشا ولويس الثالث عشر ، يوم 23 سبتمبر 1628 . ومع ذلك لم يهدأ الجو تماما بين البلدين ، بل سرعان ما تلبد واكفهر ، خاصة بعد الفارة الخادعة التي قام بها الأميرال الفرنسى دومانتييس de Mantès ، سنة 1634 ، كما سبق ذكر ذلك فى فصل الفارات ، « فأطلقت الجزائر رياس بحريتها على السفن الفرنسية فى عرض البحار ، فغنموا منها ثمانين سفينة » . ولم تهدأ العاصفة الجزائرية إلا سنة 1640 ، حيث قبلت الجزائر بعقد :

(6) معاهدة سلم وتجارة فى 7 يوليو 1640 بين يوسف باشا ولويس الثالث عشر ، « هذه المعاهدة التى طالما سعى إليها الملك الفرنسى » . (106)

(7) اتفاقية تجارية بتاريخ 9 فيفرى 1661 بين الآغا إبراهيم ولويس الرابع عشر .

(8) اتفاقية تجارية بتاريخ 9 فيفرى 1662 بين الآغا شمعان ولويس الرابع عشر .

(9) معاهدة سلم وتجارة بتاريخ 17 مايو 1666 بين بابا علي مكسيس ولويس الرابع عشر .

لقد رأينا أنه كانت هناك ، قبل هذا التاريخ بقرون ، معاهدات بين الجزائر وفرنسا ، ومبعوثون وسفراء من فرنسا ؛ وقبل هذا التاريخ بحوالى قرن كانت هناك مراسلة منتظمة كتابية بين دايات الجزائر وملوك فرنسا .

(106) Galibert : ibid, p. 222 : « Enfin fut conclu le traité tant désiré par Louis XIII ».

مراسلات - مع المعاهدات - بين الجزائر وفرنسا :

ولكن ابتداء ، خاصة ، من عهد لويس الرابع عشر ، (107) و (108) ، نجد هذه المراسلة حيثة بين دايات الجزائر وملوك فرنسا وزعماء ثورتها ، ثم أمبراطورها نابليون ، وأخيرا مع الملكية العائدة : لويس الثامن عشر ، ثم شارل العاشر ... الذى وقعت فى عهده الواقعة ، ونفذ وصية جده « القديس لويس » ، أو لويس التاسع !

ومن حين إلى آخر ندرج صورا لرسائل والمعاهدات معقودة بين البلدين ، بل وحتى فقرة أو أخرى من كتاب تتصل بنقطة معينة بالذات يصعب على بعضنا التصديق بها ... ومن لم يرد التصديق ، فلا صدق ولا ضلي !

وفعلا ، فلقد استحكمت العقدة من بعضنا ، وأصبح المرض عضالا ! وإننى لأتكلم عن تجربة وممارسة : فعندما كنت ألقى محاضرات فى عدة جهات من البلاد فى الربيع الماضى (109) عن علاقات الجزائر بالعالم ، بمناسبة الذكرى العشرين لاستعادة الاستقلال ، كم من مرة « فوجئت » بكثير من التشكك فيما كنت أرويه - مجرد رواية - عن عدد المعاهدات المعقودة بين الجزائر وكثير من دول العالم الكبرى ؛ وعن الملايين التى أقرضناها الثورة الفرنسية ، بدون فائدة ؛ بل وعن المواد الغذائية التى كنا نقدمها لفرنسا مجانا ... ؛ وعن المساعى الحثيثة التى قام بها جورج واشنطن ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، لدى كاترين الثانية ، قيصرية روسيا ، لإقناعها بضرورة تحالف

(107) انظر الشكل رقم : 101 .

(108) انظر الشكل رقم : 102 أ ، و 102 ب .

(109) من سنة 1402 هـ (1982 م) .

LOUIS XIV AU DIVAN D'ALGER.

Vincennes, le 17 septembre 1666.

Illustres et magnifiques Seigneurs,

Ayant été informé que vous doutiez que la ville de Dunkerque nous appartint, ce qui pourrait vous obliger de ne traiter pas les vaisseaux marchands de cette ville là comme nos sujets, nous vous écrivons cette lettre pour vous assurer que non seulement la dite ville de Dunkerque n'est point une République, comme on le croit en Alger, mais qu'elle nous appartient par un traité que nous fîmes, il y a trois ans, avec les Anglais qui l'avaient possédée quelque temps¹. Elle a toujours été de l'entier patrimoine de la couronne de France que Dieu nous fait la grâce de posséder aujourd'hui, et c'est pourquoi vous devez traiter ses habitants comme nos autres sujets, sans aucune distinction. Du reste vous donnerez entière créance au Consul Français² sur ce qu'il vous assurera encore là-dessus et sur les autres choses qui regarderont nos dits sujets, et la présente n'étant à autre fin, nous prions Dieu qu'il vous ait, illustres et magnifiques Seigneurs, en sa sainte et digne garde.

Écrit à Vincennes, le 17^e jour de septembre 1666.

LOUIS.

reçut alors la mission d'aller négocier un nouveau traité à Alger, de concert avec Jacques Arnaud, de Gap, « qui avait inspiré aux principaux d'Alger de cesser les hostilités ». Voy. la correspondance inédite entre Colbert et M. Trubert, notamment les *Lettres des 17 et 20 février 1666*, et le *Mémoire servant d'Instruction au sieur Trubert*, le 7 septembre 1666. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger*, et *Mémoires et Documents, Alger*, t. XV, p. 168.)

Le traité fut signé le 17 mai 1666. Il a été publié dans le *Recueil des Traités* de M. Tetot, n° 189. L'original est aux *Archives des Affaires étrangères* (salle des Trésors). Voy. aussi la *Gazette de France*, 1665, p. 389 et 404, les *Lettres* de saint Vincent de Paul, t. III, p. 708 et t. IV, p. 77, 96, 111, 146, etc., et l'*Histoire de Duquesne et de la marine de son temps*, par Jal, t. I, p. 246, 317, 332, 563, 598.

1. Le comte d'Estrades, Ambassadeur de France à Londres en 1661, qui avait défendu Dunkerque contre les Espagnols dix ans auparavant, fut chargé de négocier en 1662 le rachat de cette place au roi Charles II, moyennant 4 674 000 l. Voy. l'*Histoire de Duquesne et de la marine de son temps*, par Jal, t. I, p. 283.

2. Le P. Jean Dubourdieu avait succédé au P. Barreau en 1661. Il resta au Consulat jusqu'en 1673. Voy. sa correspondance aux *Archives des Affaires étran-*

LOUIS XIV AU DIVAN D'ALGER.

Vincennes, le 11 mars 1668.

Illustres et magnifiques Seigneurs,

Nous avons été très aise d'apprendre, par la lettre que nous avons reçue du sieur Trubert, que vous avez résolu avec la Milice et le Divan du Royaume d'Alger d'exécuter ponctuellement le traité fait entre notre cousin, le Duc de Beaufort, et vous pour une bonne et réciproque correspondance entre les sujets de nos deux Royaumes ¹. Si nous nous promettons que vous tiendrez la main à ce que les sujets d'Alger ne contreviennent en aucune manière que ce puisse être à tous les articles du traité, nous vous écrivons cette lettre pour vous assurer aussi que, de notre part, nous obligerons nos sujets à garder et observer de leur côté toutes les choses dont on demeure d'accord. Cependant, pour commencer à vous donner une preuve de la sincérité de nos sentiments, nous vous envoyons par le sieur Trubert, que nous avons estimé devoir vous être plus agréable qu'un autre, les esclaves qu'il nous a demandés en votre nom ². Et vous assurant que nous aurons

gères, Consulat d'Alger, et aux Archives historiques de la Chambre de commerce de Marseille, B. AA, 465 de l'Inventaire.

1. Voy. la lettre du 7 septembre 1666, pages 58 et 59.

2. Peu après la signature du traité de 1666, il survint à Alger certaines difficultés relatives à la restitution des esclaves. Trubert en profita pour rester auprès du Consul et pour engager la Régence à se déclarer contre les Anglais et les Hollandais. *Lettres de Colbert au sieur Trubert*, le priant de faire diligence pour que les esclaves français soient tous remis en liberté, les 21 octobre et 5 novembre 1666, 6 et 11 mars 1668.

La communauté de Provence dut faire un fonds considérable pour racheter tous ces esclaves, et le roi y ajouta 100 000 l., qu'il fit remettre au sieur Trubert par le Trésorier de la marine. *Lettres de Colbert au sieur Trubert*, le 14 janvier 1667, et *Lettre* du 3 novembre 1667 contenant le *Recensement des esclaves turcs qui vont sur les galères du roi*. Voy. aussi l'*Etat des versements des communes de Provence pour le rachat des esclaves*, — le *Mémoire de la dépense extraordinaire du Consul depuis l'arrivée de M. Trubert jusqu'au départ des vaisseaux*, — la *Lettre du Roi à M. d'Infreville*, du 23 mars 1668, l'avertissant qu'il envoie M. Trubert une seconde fois à Alger, sur le vaisseau le *Courtisan*, pour en rapporter nos captifs. Trubert parvint à en rapatrier 1127. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

bien agréable que vous lui donniez une entière créance sur tout ce qu'il vous dira encore plus précisément de notre part, nous ne vous ferons la présente plus longue que pour prier Dieu qu'il vous ait, illustres et magnifiques Seigneurs, en sa sainte garde.

En notre château de Vincennes, le 11 mars 1668.

LOUIS.



ISMAÏL, PACHA D'ALGER,
A M. TRUBERT, COMMISSAIRE DU ROI ET CONTRÔLEUR GÉNÉRAL
DE LA MARINE DU LEVANT.

Alger, le 26 novembre 1668.

Comme nous avons donné une entière créance à tout ce que vous nous avez dit de la part du Roi¹, aussi nous avons la confiance que vous aurez rendu un fidèle témoignage à Sa Majesté, et comme il est passé beaucoup de temps sans que nous ayons reçu aucune de vos nouvelles, et que d'ailleurs nous avons appris que les Anglais sèment le faux bruit, partout où ils se trouvent, que nous avons rompu la paix et que nos corsaires prennent les Français, ce qui est contre la vérité², nous avons résolu d'envoyer un exprès à Marseille, sur un de nos vaisseaux, avec nos lettres pour Sa Majesté, afin de l'assurer de la continuation de l'amitié que nous avons contractée par le traité de paix que nous faisons observer. Que si les vaisseaux qui étaient, la campagne passée, au service du Grand Seigneur prirent trois embarcations qui se disaient Françaises, ce fut son Envoyé, qui était chef dans l'armée, qui les fit de bonne

1. Voy. la lettre précédente.

2. Les Anglais avaient cherché à faire échouer les négociations de Trubert par tous les moyens possibles; ils avaient offert notamment 30 vaisseaux aux Algériens, s'ils voulaient rompre la paix avec la France. *Lettres du sieur Trubert à M. de Louvois, Intendant à Marseille, du 20 mai 1668, et du Consul Dubourdieu au sieur Trubert, du 28 novembre 1668. Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*

روسيا مع أمريكا ضد الجزائر ... هل هذا ممكن ؟ نعم ، بل إنه مؤكد ، ومستقى من مصادز فرنسية وأمريكية !

ولكن بعضنا ينظر إلى نفسه - أى إلى بلاده وأمته - وإلى أمريكا وفرنسا ، مثلاً ، بمنظار اليوم : هل من المصدق أن تقرض الجزائر فرنسا ؟ هل من المعقول أن تمنحها قرض الاستيراد *crédit fournisseur* ؟ نعم ! أقرضتها ، وبدون فائدة ، وإن الفرنسيين لهم الذين سجلوا لأنفسهم ، ولنا ، هذه الحقائق ! وهل من الممكن أن تحاول أمريكا التحالف مع روسيا ضد الجزائر ؟ نعم ! حاولت ! وإن الأمريكان لهم الذين خلدوا لأنفسهم ، ولنا ، هذه الوقائع التاريخية !

ومن أجل هذا نقدم لك ، أيها القارئ المتشكك ، هذه الصور من رسائل (IIO) ، ومعاهدات ، وفقرات من كتب ، وقوائم بأسماء ، وتواريخ ، بل وصوراً مجسمة ، مثل تلك التى تعرض علينا المسيو ديزو *Dusault* ، المبعوث الخاص لكل من الملكين لويس الرابع عشر والخامس عشر إلى الجزائر ، فى مجلس الداي فى عاصمة بلفين بن زيرى : الجزائر ، وما أدراك ما الجزائر !

(IO) معاهدة سلم وتجارة بتاريخ فيفرى 1670 بين الداي حاجى محمد ولويس الرابع عشر .

(II) معاهدة سلم وتجارة فى 11 مارس 1679 بين الداي حاجى محمد ولويس الرابع عشر .

(I2) معاهدة سلم وتجارة سنة 1681 بين الداي بابا حسن ولويس الرابع عشر .

(110) انظر الشكل السابق رقم : 101 و 102 أ ، ب .



لويس الرابع عشر

(الشكل رقم : 103)

(I3) معاهدة سلم وتجارة فى 25 أبريل 1684 بين الداي الحاج حسين (ميزومورتو) (III) ولويس الرابع عشر . (II2)
(I4) معاهدة سلم بين الداي الحاج حسين (ميزومورتو) ولويس الرابع عشر سنة 1685 . (II3)
(I5) تجديدها سنة 1686 بينهما .

(I6) معاهدة سلم وتجارة فى 13 مايو 1689 بين الداي شعبان ولويس الرابع عشر ، (بلحاح كبير من هذا الأخير) . وقد سلم نص المصادقة عليها هذه المرة لويس الرابع عشر نفسه للسفير محمد الأمين فى قصر فرساي يوم 26 يوليو 1690 . (II4)

(I7) معاهدة سلم لمائة سنة (Traité de paix centenaire) بين الداي شعبان ولويس الرابع عشر بتاريخ 24 سبتمبر 1689 .

وبعد عقد هذه المعاهدة نجد لويس الرابع عشر يبعث رسالة إلى الداي شعبان يعرض عليه فيها كل التسهيلات والمساعدات للأسطول الجزائرى فى الموانئ الفرنسية ، وخاصة منها فى مينام بريست Brest ، « وستلقى سفنكم الحربية فى هذه الموانئ نفس المعاملة التى تلقاها سفننا تماما » ، ويحثه فيها ، إلى درجة الإغرام ، على التعرض للسفن الأنكليزية والهولندية ، « لما فى ذلك من أرباح عظيمة ومن طيران سمعة فى الآفاق » . (II5)

وفى هذا الظرف ، بالضبط ، طلب لويس الرابع عشر من الداي شعبان إعلان الحرب على أنكلترا وهولاندا ، كما سبق أن ذكرنا .

(111) انظر الشكل السابق رقم : 95 .

(112) انظر الشكل رقم : 103 .

(113) Hist. Univ. Encyclop. Pléiade, t. 3, p. 2091.

(114) Galibert : ibid, p. 233.

(115) انظر الشكل رقم : 104 .

Versailles, le 30 octobre 1689.

Très illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons vu, par la lettre que vous nous avez écrite, la disposition dans laquelle vous êtes de maintenir la paix qui a été conclue par le Commissaire Marcel avec le Pacha et Divan d'Alger, et comme le traité qu'il nous a présenté est conforme à nos intentions, nous ratifions, par cette lettre, les articles dont il est convenu, et nous donnons ordre aux Commandants de nos vaisseaux et au sieur de Vauvray, Intendant de la Marine au port de Toulon, de les exécuter dès à présent. Nous espérons que, de votre part, vous tiendrez la main à ce que les conditions d'un traité si solennel ne soient violées par aucune contravention, et que, s'il s'en commet quelques-unes dans la suite, vous aurez soin qu'elles soient aussitôt réparées, afin que rien ne puisse altérer la bonne intelligence dans laquelle nous voulons vivre avec vous.

Nous avons estimé nécessaire de renvoyer le dit Commissaire Marcel à Alger¹, tant pour vous porter cette lettre et consommer avec vous tout ce qui peut regarder l'exécution du traité de paix, que pour vous faire comprendre l'importance des secours que les vaisseaux d'Alger trouveront dans les ports de notre Royaume, et principalement dans celui de Brest, si vous prenez la résolution de les faire passer dans l'Océan². Nous donnerons des ordres si précis pour l'avantage des dits vaisseaux, du détail desquels le dit Marcel vous informera, qu'ils seront traités comme nos propres vaisseaux de guerre. Par ce moyen, vous pourrez vous assurer que les grands profits que tireront tous ceux qui armeront en course dans la dite Ville d'Alger, étant donné les prises considérables qu'ils pourront faire sur les Anglais et les Hollandais, vous donneront un nouveau crédit. Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, très illustre et magnifique Seigneur, en sa garde.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 30 octobre 1689.

Louis.

1. Mémoire pour servir d'instruction au sieur Marcel sur la suite qu'il doit donner à la négociation qu'il a à faire pour le rachat des esclaves français à Alger, 16 novembre 1689. (Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.) — Mercadier avait compté, à la fin de l'année 1689, 1033 esclaves chrétiens à Alger. Lettre de Mercadier à MM. les Députés de Marseille, le 16 novembre 1689. (Archives de la Chambre de commerce de Marseille, B. AA, 489 de l'Inventaire.)

2. M. de Vauvray avait donné le conseil de « permettre aux corsaires d'Alger de se ravitailler dans nos ports pour courir sus aux Anglais, les ennemis communs de la France et de la Régence ». Lettre de M. de Vauvray au marquis de Ségny, le 23 juin 1689. (Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.)

ولنترك للقارئ الكريم حرية الاستنتاج من قراءة نص الرسالة نفسها .

(18) اتفاقية اقتصادية بتاريخ 5 مايو 1690 بينهما .

(19) تجديدها بتاريخ 27 ديسمبر 1690 بينهما أيضا .

(20) تجديدها بينهما أيضا في 1692 .

وهنا نجد رسالة (116) أخرى من لويس الرابع عشر إلى الداي شعبان كلها مودة ، وعواطف ، وعروض طيبة بنفس المعاملة ، وفيها ذكر للمبعوث الخاص للويس الرابع عشر ، دوزو Dusault ، الذي سنجده فيما بعد أيضا بينهما ، (ثم مبعوثا من لويس الخامس عشر - وهناك سنعرض صورة استقباله من الداي محمد بن حسن) .

(21) اتفاقية اقتصادية بتاريخ 3 يناير 1694 بينهما أيضا .

وهنا رسالة أخرى من لويس الرابع عشر إلى الداي الجديد ، الحاج أحمد ، يهنئه فيها بانتخابه « دايًا لجمهورية الجزائر » ، ويتمنى له فيها كل خير وبركة ... (117)

ورسالة أخرى منه أيضا إلى نفس الداي الحاج أحمد ، يعلمه فيها بإرسال مبعوثه الخاص دوزو Dusault ، من جديد ، إلى الجزائر « لإزالة بعض سوء التفاهم ... الذي لا تمكن إزالته بالرسائل وحدها ... » (118)

(22) تجديدها في 4 مارس 1698 بين الداي الحاج أحمد ولويس الرابع عشر .

(116) انظر الشكل رقم : 105 أ ، و 105 ب .

(117) انظر الشكل رقم : 106 .

(118) انظر الشكل رقم : 107 .

Écrit le 20 jour du 6^e mois de Safar, l'an 1104, qui est le 6 de novembre 1692.

(Sceau)

CHABAN,

Doy de la Ville et Royaume d'Alger en Afrique.

Traduit par Petrus de Caroux, Secrétaire-Interprète du Roi, le 2 décembre 1692.

LOUIS XIV

A HADJI CHABAN, DUA D'ALGER¹.

Versailles, le 25 décembre 1692.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu avec joie les marques que vous nous donnez de votre affection pour notre service par la lettre qui nous a été présentée de votre part², et la disposition dans laquelle vous paraissez être de maintenir toujours la paix conclue avec nous nous est très agréable. Vous pouvez être assuré, et nous vous en donnons de nouveau notre parole royale, qu'il n'y sera contrevenu de notre part en aucune manière, et que, si quelques-uns des officiers commandant nos vaisseaux n'exécutaient pas ponctuellement les ordres qu'ils ont reçus sur ce sujet, ils en seraient sévèrement punis. Vous verrez, au surplus, par ceux que nous donnons pour l'entière exécution du traité et par les choses qui nous ont été demandées en votre nom par le sieur Dusault, les égards et la considération particulière que nous avons pour vous, dont nous espérons que vous vous attirerez la continuation par la conduite que vous tiendrez dans la suite avec nos sujets, en entrant dans les propositions qui vous seront faites par le dit sieur Dusault³.

1. Archives de la Marine. (Levant et Barbarie, D^e 214.)

2. Voy. la Lettre du 6 octobre 1692, p. 382.

3. Voy. le Mémoire pour servir d'Instruction au sieur Dusault retournant en Barbarie, le 24 décembre 1692. Notre négociateur avait reçu l'ordre de revenir

Sur ce je prie Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte garde.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 24 décembre 1692.

Louis.

Traduit par PÉRIEUX DE LA Croix, Secrétaire-interprète du Roi, le 17 janvier 1693

LE COMTE DE PONTCHARTRAIN, SECRÉTAIRE D'ÉTAT DE LA MARINE,
A HADJI CHAHAN, DEY D'ALGER ¹.

Versailles, le 24 décembre 1692.

Très illustre et magnifique Seigneur,

J'ai présenté à l'Empereur, mon Maître, la lettre que vous avez écrite à Sa Majesté Impériale ², et l'ai informée de la disposition dans laquelle il m'a paru, par celle qui était jointe pour moi ³, que vous êtes de maintenir la paix conclue avec vous. Elle m'ordonne de vous témoigner qu'elle en est très satisfaite, et, pour vous en donner des marques, elle renvoie avec diligence le sieur Dusault à Alger ⁴, et le charge de vous remettre 21 Turcs qui restent de ceux qu'il était convenu de vous renvoyer par le traité, les 7 autres étant morts ou inconnus, ainsi qu'il l'a vérifié par la revue exacte qu'il a faite sur les galères, ainsi que les 16 dont vous avez demandé la liberté en payant la rançon stipulée par le traité.

Il vous remettra aussi 24 Turcs qui composaient l'équipage d'un petit bâtiment pris par le sieur de La Roche. Sa Majesté a bien voulu vous les renvoyer par la considération qu'elle a

de suite à Alger pour s'appliquer tout particulièrement « à faire déclarer les corsaires contre les Anglais ». Il devait ensuite passer à Tripoli, conclure un traité de paix avec le Bey de cette Régence, et retirer 350 sujets français qui y étaient aux fers. *Lettre de Dusault au comte de Pontchartrain*, le 17 janvier 1693. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

1. *Archives de la Marine. (Ordres et dépêches, B³ 87.)*

2. Voy. la Lettre du 6 octobre 1692, p. 382.

3. Voy. la Lettre du 6 octobre 1692, p. 385.

4. Voy. la note 3, p. 396.

Fontainebleau, le 28 septembre 1695.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris, par la lettre que vous nous avez écrite¹ votre élévation à la dignité de Dey et au Gouvernement de la République d'Alger, dans lequel nous vous souhaitons toutes sortes de prospérités, la ratification du traité de paix ci-devant conclu avec le Divan², et la résolution dans laquelle vous êtes de réparer les contraventions qui y ont été faites par les reis d'Alger. Vous pouvez compter qu'il sera exactement exécuté de notre part, et que, s'il s'en commettait quelques-unes par les officiers de nos vaisseaux, nous les en punirions sévèrement lorsque vous nous en feriez des plaintes. Nous avons, au surplus, fait expliquer plus particulièrement nos intentions au Bachi envoyé par le Divan³, sur les moyens d'entretenir la bonne correspondance établie entre nos sujets et les Algériens, et nous chargeons le sieur de Pontchartrain de vous informer des ordres que nous avons donnés, sur les plaintes qui nous ont été faites de la part du Divan. Et la présente n'étant à autre fin, nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa garde.

Écrit en notre château impérial de Fontainebleau, le 28 septembre 1695.

Louis.

1. *Archives de la Marine. (Levant et Barbarie, B⁷ 214.)*

2. Voy. la Lettre du 18 août 1695, p. 490.

3. Le 4 septembre 1689.

4. Soliman. Voy. les notes 2, p. 464 et 496.

Versailles, le 5 septembre 1696.

Illustres et magnifiques Seigneurs,

Nous avons entendu les demandes qui ont été portées auprès de notre trône impérial par Soliman Boulouk Bachi, votre Envoyé, et vu vos réponses à celles qui vous ont été faites par notre ordre¹. Et comme elles n'étaient pas assez prises, qu'elles méritaient même quelques discussions qui ne se peuvent faire par lettres, nous avons résolu de vous envoyer le sieur Dusault, que nous avons chargé de nos ordres pour les examiner et terminer avec vous², en sorte qu'aucune difficulté ne puisse altérer la paix que nous vous avons accordée et la bonne intelligence que vous avez avec nos sujets. Notre intention est de la maintenir toujours punctuellement, ainsi que nous avons fait jusqu'à présent, ne doutant pas que vous ne soyez dans la disposition d'en observer inviolablement le traité³.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 5 septembre 1696.

LOUIS.

du lait », et il l'a invité à revenir le voir en lui exprimant le regret qu'il éprouvait de sa vivacité. — Cette réconciliation ne devait pas durer longtemps, et notre Consul écrivait deux mois après au Ministre « qu'il ne savait plus sur quel pied se maintenir ». *Lettre de Lemaire au comte de Pontchartrain*, les 31 août et 1^{er} novembre 1696.

1. Lemaire faisait connaître au Ministre que les Algériens, déjà fort peu satisfaits de ne pas voir Soliman de retour avec les esclaves des galères, pouvaient fort bien rompre la paix si leur Envoyé revenait mécontent de la Cour de France. « Il importe, ajoutait-il, qu'il passe le plus de vaisseaux qu'on pourra. » Ahmed, entièrement domié par la cupidité et par la crainte, était loin d'avoir conservé pour notre agent la considération des premiers jours; il l'avait maltraité plusieurs fois, « à la grande joie du Consul d'Angleterre », et lui avait déclaré que si les esclaves algériens ne venaient pas, « se tête payerait tout ». *Lettres de Lemaire au comte de Pontchartrain*, les 26 juillet et 31 août 1696.

2. *Archives de la Marine. Levant et Barbarie*, B¹ 220.)

1. Voy. la Lettre de Soliman Boulouk Bachi au Dey d'Alger, la 18 juin 1696, p. 315.

2. Lemaire se plaignait toujours de l'attitude insolente du Dey à son égard et des contraventions continuelles de ses corsaires. Ahmed voulait obliger son drogman à partager avec celui du Consul d'Angleterre certains profits de sa chancellerie, en refusant d'admettre que les chrétiens demeurassent sous la protection exclusive de notre représentant. Il avait fait saisir ce drogman par un Chaouk, l'avait fait amener au Divan avec Lemaire, et avait demandé à la Milice quel était celui qu'elle voulait pour gouverner la Régence, la priant dédaigneusement de choisir entre notre Consul et lui, « à quoi Ahmed n'avait répondu ». Quand l'interprète de Clairambault était arrivé à Alger, le Dey, à qui Lemaire était allé le présenter, s'était encore mis en colère, en accusant ce dernier de faire venir des asplons de Constantinople. — Le Ministre eut devoir prendre alors quelque ménagement, et il écrivit à notre malheureux Consul en lui annonçant qu'il allait lui envoyer Dusault, pour rétablir ses bons rapports avec Ahmed. Il l'exhorta à subir patiemment les procédés de ce Seigneur, ajoutant « qu'il fallait ne regarder plutôt comme l'effet d'une humeur emportée, que son âge ne lui permettait pas de réprimer, que comme le conséquence d'une volonté déterminée de nuire ». *Lettres de Lemaire au comte de Pontchartrain*, les 27 septembre 1696, 3 janvier et 6 février 1697. (*Archives des Affaires étrangères. Consulat d'Alger*.) — Voy. aussi les *Lettres de Lemaire aux Echevins de Marseille*, les 3 janvier et 12 février 1697. (*Archives de la Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 470 de l'inventaire.)

3. Le Consul avait fini par obtenir de la Chambre de commerce, pour payer la fureur de Hadji Ahmed, l'envoi des présents que nous offrons d'ordinaire aux Puissances, à l'avènement des nouveaux Gouverneurs d'Alger. On y avait ajouté 92 pièces de damas, 112 pièces de satin, 72 pièces de velours, une quantité de bottes de tabac, une caisse de pommes, un sac de châtaignes, 24 bouteilles de vin de France, 10 bouteilles de Rosoli, 8 paires de pistolets, etc. *Compte des dépenses faites par le Consul de Lemaire pour l'année 1696*. (*Archives des Affaires étrangères. Chambre de commerce de Marseille*, t. Y.)

الشكل رقم : (107)

(23) تجديدها في 23 يوليو 1698 بينهما .

(24) اتفاقية اقتصادية في 19 يوليو 1700 بين الداي على ولويس الرابع عشر .

وتلقى الداي الجديد مصطفى رسالة تهنئة من لويس الرابع عشر ، يؤكد له فيها نفس النوايا ، بعد تجديد مصادقة الداي على المعاهدات السابقة ، حسب العرف المتبع الذي يقضى بتجديد المصادقة على المعاهدات السابقة كلما انتخب رئيس دولة جديد . وفيها تعبير عن عواطف وتمنيات .. الخ . (119)

كما بعث لويس الرابع عشر برسالة أخرى إلى الداي مصطفى يشكره فيها على تهنئته بوليد الحفيد له : دوق برغونيا duc de Bourgogne ، ويعبر له فيها أيضا عن عواطفه ... ولم ينس أن ينتهز الفرصة لتأكيد ضرورة الحفاظ من كلا الجانبين على المعاهدات ... (120) ورسالة أخرى منه أيضا إلى الداي مصطفى يهنئه بالانتصار على باي تونس ، حسن بن علي ، في حرب بينهما . (121)

(25) تجديد معاهدة السلم في نوفمبر 1705 بين الداي مصطفى ولويس الرابع عشر .

وأرسل جوابا إلى الداي الجديد ، حسين خوجة ، يهنئه فيه (لويس الرابع عشر) بتوليته رئاسة جمهورية الجزائر ، ويعبر له عن عواطفه وتقديره ، وصدق نواياه ، ثم لا ينسى أبدا ، كالعادة ، أن يؤكد أهمية الحفاظ على المعاهدات بين البلدين . (122)

(119) انظر الشكل رقم : 108 .

(120) انظر الشكل رقم : 109 .

(121) انظر الشكل رقم : 110 أ ، 110 ب ، 110 ج .

(122) انظر الشكل رقم : 111 .

LOUIS XIV
A MUSTAPHA, DEY D'ALGER ¹.

Versailles, le 8 septembre 1700.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris par votre dépêche du 11 du mois passé ², qui nous a été présentée, le choix que le Divan et la Milice d'Alger ont fait de votre personne pour les gouverner, et par le Consul que vous avez renouvelé le traité de paix ³. Vous devez vous assurer, sur notre parole inviolable, qu'il sera de notre part ponctuellement rempli, ainsi qu'il l'a été jusqu'à présent, et

1. *Archives coloniales de la Marine. (Compagnies du Bastion de France, 1639-1731.)*

2. *Voy.* p. 6.

3. *Voy.* la note 1, p. 5.

8

CORRESPONDANCE DES DEYS D'ALGER

nous en renouvelons si précisément l'ordre aux Capitaines et Commandants de nos vaisseaux et à tous nos sujets qu'il n'y a point à craindre qu'il y survienne par eux aucune contravention.

Nous attendons de vous la même exactitude, et qu'en répondant à la bonne intelligence qu'ils ont avec les Algériens, nous n'aurons que des occasions de vous marquer une considération particulière pour votre personne, et l'estime qu'elle doit attendre de l'opinion qu'on nous en a donnée.

Écrit en notre château impérial, le 8 septembre 1700.

LOUIS.

الشكل رقم : (108)

Versailles, le 4 février 1705.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons lu avec plaisir la lettre que le Comte de Pontchartrain nous a présentée de votre part² sur la naissance de notre arrière-petit-fils, le duc de Bourgogne. La part que vous prenez à la joie que nous en avons eue est un témoignage d'affection pour notre personne auquel nous sommes très sensible.

Vous ne devez pas aussi douter de la considération particulière que nous avons pour vous, et que nous continuerons dans

bonté, à notre sollicitation, d'accorder le Consulat de Chio en faveur du sieur Antoine Guérin, selon la prière que le Seigneur Dey d'Alger, mon frère, a faite à Votre Excellence. Je suis si pénétré de cette grâce qu'il me semble que je suis le maître de l'univers. Dieu veuille augmenter tous les jours de plus en plus la vie et le règne de votre grand Empereur, et accroître jusqu'au plus haut degré la gloire, la puissance et l'autorité de Votre Excellence! Je vous dirai à présent que le sieur de Rians, qui était ici Consul de France, est mort le 1^{er} jour de la lune de Zilhidjé, c'est-à-dire le quatrième avril dernier, et a passé de cette vie à l'autre. Dieu veuille vous conserver en parfaite santé! C'est ce qui me donne lieu, dès à présent, de prier Votre Excellence d'avoir la bonté d'envoyer au sieur Antoine Guérin, marchand à Smyrne, les patentes du Consulat de Chio, vous assurant que je vous en aurai toutes sortes d'obligations. Et s'il y a ici quelque occasion de rendre mes très humbles services à Votre Excellence, j'en attendrai toute ma vie l'occasion, sur le premier ordre dont elle voudra bien m'honorer. Ayez donc, Seigneur, la bonté d'expédier incessamment vos ordres à ce sujet. Je prie Dieu qu'il vous conduise toujours dans les voies de la Direction. » (*Archives coloniales de la Marine, Compagnies du Bastion de France, 1639-1731.*)

1. Charles de Ferriol, baron d'Argental, Ambassadeur de France à Constantinople de 1699 à 1711.

2. *Archives coloniales de la Marine. (Compagnies du Bastion de France, 1639-1731.)*

3. Voy. p. 21.

AVEC LA COUR DE FRANCE

31

la sincère disposition où nous avons toujours été en toute occasion. Nous donnerons tous les ordres nécessaires pour faire exécuter ponctuellement par nos officiers et nos sujets les articles du traité de paix, comptant que vous aurez de votre part la même intention.

Donné en notre château impérial de Versailles, le 4 février 1705.

Louis.

LOUIS XIV
A MUSTAPHA, DEY D'ALGER ¹.

Fontainebleau, le 7 octobre 1705.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris avec joie l'heureux succès de votre expédition contre le Bey de Tunis, et l'avantage que vous avez remporté sur lui presque aussitôt que vous êtes entré sur les terres de ce Royaume¹. La considération singulière que nous avons

1. *Archives coloniales de la Marine. (Compagnies du Bastion de France, 1639-1731.)*

2. Mustapha, ayant besoin d'argent pour payer sa Milice, entra de nouveau en campagne contre le Bey de Tunis, Hassan ben Ali, qui avait été nommé après la défaite d'Ibrahim. Il envahit son territoire, et le menaça de venir assiéger sa capitale. « Que ne retournez-vous à Alger? » vinrent lui dire les Envoyés du Divan de Tunis. Le but de votre expédition n'est-il pas atteint? En marchant sur Tunis, votre intention était de châtier Ibrahim, et le sort des armées, en vous donnant la victoire, vous a rendu maître de sa vie. N'êtes-vous pas amplement satisfait? Quant à nous, représentants de la population tunisienne, nous devons

pour votre personne et pour la République d'Alger nous a engagé aussitôt à donner l'ordre au Consul de se rendre auprès de vous pour vous en féliciter, et vous témoigner toute la part que nous prenons à un événement si glorieux pour vous ¹.

Nous le chargeons aussi de vous expliquer les justes motifs que nos sujets ont de se plaindre de la conduite des deux derniers Beys, et des injustices qu'ils ont commises contre ceux qui résident à Tunis et contre la Compagnie du Cap-Nègre ², et de vous demander les ordres nécessaires pour y remédier à l'avenir et pour le maintien de cette Compagnie, dont le commerce est très utile à une partie du Royaume de Tunis ³. Nous espérons que vous ferez toute l'attention qui sera praticable sur ces représentations, et que vous nous donnerez, en cette occasion, de nouvelles marques du désir que vous avez de conserver notre bienveillance et de maintenir la bonne correspondance entre

être en dehors des conséquences de cette lutte aujourd'hui terminée. » Le Dey d'Alger n'en continua pas moins l'investissement de Tunis, en refusant d'entamer les négociations proposées. *Lettre de Durand au comte de Pontchartrain*, le 25 juillet 1705. — Voy. les *Voyages de Paul Lucas*, t. II, p. 354, et les *Annales tunisiennes*, p. 93.

1. *Lettres de Durand au comte de Pontchartrain*, les 23 mai, 26 septembre et 15 décembre 1703, relatives au voyage que fit Durand au camp du Dey d'Alger, pour s'entendre avec lui sur le choix d'un Bey de Tunis favorable aux intérêts de notre colonie du Cap-Nègre. Son congé expiré, il était revenu à Alger le 5 mai 1703; les Puissances l'avaient fort bien accueilli, et l'avaient vivement complimenté sur la conduite du sieur de Clairambault, « qui avait gouverné les affaires avec toute la prudence et la dextérité que l'on pouvait attendre d'un homme aussi expérimenté que lui ».

2. Le dernier Bey Ibrahim avait retenu prisonnier dans son camp le gouverneur des Concessions françaises, Demarle, lorsque celui-ci était venu se plaindre d'une saisie de caisses de corail pratiquée contrairement aux usages établis. *Lettre de Durand au comte de Pontchartrain*, le 26 août 1703; — *Mémoire pour servir d'Instruction au sieur Durand, Consul à Alger*, le 7 octobre 1705. Voy. pour notre colonie du Cap-Nègre l'*Histoire de La Calle*, par Féraud, p. 294 et suiv.

3. Les principaux administrateurs de la Compagnie du Cap-Nègre, Charles, Simon et Milhau, s'étaient enquis en Espagne en 1701, après avoir fait faillite, et toutes les autorités de Provence, Arnoul, Lebre, Dusault et de Vauxrè, travaillaient à sauvegarder tout au moins l'intérêt public. La Compagnie du Bastion avait été compromise dans cette affaire, et elle avait vu s'engloutir dans ce désastre une partie de ses capitaux. Il fallait désintéresser les anciens associés, de façon que la Compagnie Hély pût exploiter désormais le Cap-Nègre comme tous ses autres comptoirs. Voy. *Mémoire contenant les circonstances de ce qui s'est pratiqué dans la banqueroute du Cap-Nègre*; — *Etat des effets et dettes de la Compagnie du Bastion*, le 1^{er} janvier 1704. Voy. aussi la correspondance de Dusault et d'Arnoul, de 1701 à 1703. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger*.)

nos sujets. Le Consul vous expliquera les ordres que nous avons donnés sur ce qui nous a été demandé de votre part.

Écrit en notre château impérial de Fontainebleau, le 7^e jour d'octobre 1705.

Louis.

الشكل رقم : (110) ج

LOUIS XIV
A HUSSEIN, DEY D'ALGER ¹.

Versailles, le 13 janvier 1706.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu avec joie la lettre qui nous a été présentée de votre part ², pour nous apprendre que vous avez été nommé par la Milice d'Alger pour gouverner la République. Nous étions déjà assez informé de votre mérite particulier pour juger qu'elle ne pouvait faire un meilleur choix. Vous devez attendre de nous, en toute occasion, des marques d'une considération singulière pour votre personne, et tous les égards qui pourront vous faire connaître la sincérité de nos intentions. Nous avons jusqu'à présent fait exécuter avec la plus exacte ponctualité les traités de paix faits entre nos sujets et ceux de la République d'Alger. Nous vous assurons de continuer d'en user de même à l'avenir, et nous renouvelons nos ordres à nos officiers et Commandants de nos vaisseaux, pour les obliger à en observer tout le contenu avec plus d'exactitude encore, s'il est possible. Nous donnons ordre au Comte de Pontchartrain de vous informer de ce qui regarde la prise du Capitaine Jacomo ³.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 13 janvier 1706.

LOUIS.

1. *Archives coloniales de la Marine. (Compagnies du Bastion de France, 1639-1734.)*

2. Voy. p. 37.

3. Voy. la note 1, p. 40.

الشكل رقم : (111)

(26) تجديد الاتفاقية الاقتصادية في 8 مارس 1707 بين الداي محمد بكداش ولويس الرابع عشر .

(27) تجديد الاتفاقية الاقتصادية في 30 مارس 1710 بين الداي دالي ابراهيم ولويس الرابع عشر .

(28) تجديد الاتفاقية الاقتصادية في 14 أغسطس 1710 بينهما .

في هذه الأثناء انتخب داي جديد ، هو علي شاوش ، فأجابه لويس الرابع عشر على رسالة ، يؤكد له فيها أهمية الحفاظ على العلاقات الطيبة بين رعاياه ورعايا جمهورية الجزائر ، ثم يتمنى له في الأخير « حكومة أكثر استقرارا » . ونحن نستطيع هنا أن نقول إن التمنى كان في محله ، سواء كان صادقا أو دبلوماسيا فحسب ... بالنظر إلى المدة التي قضاها هو على العرش ، وعدد الدايات اللامتناهي ... الذين مروا في الاستعراض أثناء تلك المدة ... (I23)

(29) اتفاقية اقتصادية بتاريخ 15 يوليو 1714 بين الداي بابا علي ولويس الرابع عشر .

(30) معاهدة سلم بتاريخ 26 يناير 1718 بين الداي محمد ابن حسن ولويس الخامس عشر . (I24)

(31) تجديد معاهدة السلم والتجارة في 6 ابريل 1718 بين الداي محمد بن حسن ولويس الخامس عشر .

(32) تجديد الاتفاقية الاقتصادية في 26 يوليو 1718 بينهما .

(123) انظر الشكل رقم : 112 .

(124) Reftelius : ibid, t. 2, p. 614.

LOUIS XIV
A ALI, DEY D'ALGER ¹.

Versailles, le 1^{er} avril 1711.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons vu avec plaisir, par la lettre que vous nous avez écrite le 10 du mois de janvier², les sentiments que vous marquez pour maintenir la paix et la bonne correspondance entre nos sujets et ceux de la République d'Alger. Vous devez être persuadé que, de notre part, nous ne souhaitons rien de plus que la continuation de cette disposition, et que nous profiterons des occasions que nous pourrons avoir de vous marquer notre bonne volonté pour la rendre solide et durable. Celle qui vous a obligé d'envoyer à Marseille le reïs Bekir a été remplie avec toute la promptitude que vous avez pu désirer. Les circonstances extraordinaires dans lesquelles on s'est trouvé, dans ce port et dans celui de Toulon, par les contretemps des saisons, nous ont empêché de rouvrir nos magasins de la mâtüre, qui ont toujours été garnis jusqu'ici de provisions, mais nous avons donné des

1. *Archives coloniales de la Marine. (Compagnies du Bastion de France, 1639-1731.)*

2. Voy. p. 64.

الشكل رقم : (112)

ordres très pressants à nos Intendants pour vous fournir ce dont vous avez besoin ¹, et nous avons été informé qu'on avait mis votre Envoyé en état de remplir entièrement sa commission et de s'en retourner satisfait. Nous espérons que, par ces bons offices, vous serez mieux engagé à continuer de donner aux Commandants de nos vaisseaux et à ceux de nos sujets qui pourront relâcher ou commercer dans les ports de la République d'Alger tous les secours nécessaires. Et pour vous donner des marques de la considération que nous avons pour votre personne, nous avons ordonné de faire mettre en liberté 20 des Algériens ou Turcs qui sont sur les galères, et que nous chargeons notre Consul de vous présenter ², avec un diamant que nous lui adressons pour vous, et que nous espérons que vous voudrez bien recevoir comme un témoignage de notre bienveillance. Nous vous souhaitons au surplus un Gouvernement tranquille et plein de prospérités.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 1^{er} avril 1711.

LOUIS.

1. Voy. *Lettre du comte de Pontchartrain aux Députés de Marseille*, le 3 mars 1711, leur donnant avis qu'il a autorisé le Dey à faire acheter des mâts à Marseille, mais qu'il a été bien entendu que ce dernier en fournirait le prix, et que cette permission n'était qu'une faveur exceptionnelle. (*Archives de la Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 16 de l'Inventaire.)

2. De Clairambault les avait demandés depuis longtemps déjà sans que la Cour s'en occupât, et plusieurs fois il n'avait pas caché que le peu de succès de ses réclamations rendait ses relations officielles de plus en plus difficiles. « Il est impossible, avait-il écrit dans un moment de découragement, que les affaires ne périssent pas entre mes mains, le Dey étant persuadé que mon discrédit auprès de Votre Grandeur est le seul obstacle à la liberté des quelques esclaves qu'il demande. Si vous estimez que leur liberté soit une chose trop importante pour en accorder aucun, le seul moyen de prévenir de nouveaux embarras est de nommer un autre Consul. » *Lettres de de Clairambault au comte de Pontchartrain*, les 4^{er} et 12 juin 1708, 28 juin et 24 septembre 1709.

وفى السنة الموالية ، 1719 ، أرسل لويس الخامس عشر إلى الداي محمد بن حسن مبعوثه الخاص ، دوزو Dusault ، الذى كان قد أرسله مرارا قبل ذلك لويس الرابع عشر نفسه كمبعوث خاص أيضا ، كما مر . (125)

(33) تجديد معاهدة السلم والتجارة فى 07 ديسمبر 1719 بينهما .

(34) معاهدة سلم وتجارة بتاريخ 20 فبراير 1720 بينهما .

وفى سنة 1721 بعث لويس الخامس عشر برسالة إلى الداي محمد بن حسن يؤكد فيها حرصه على العناية بعلاقات حسن التفاهم مع جمهورية الجزائر ، ويتطرق لعدة نقاط جزئية (126) .

(35) تجديد الاتفاقية التجارية بتاريخ 20 مارس 1724 بين الداي محمد كور عبدى ولويس الخامس عشر .

وفى سنة 1729 بعث لويس الخامس عشر برسالة إلى الداي محمد كور عبدى ، جوابا وديا على رسالة منه ، ورد فيها ذكر تبادل الأسرى ، والود ، والتقدير ، والحرص على حفظ السلم ، واحترام المعاهدات . (127)

(36) تجديدها يوم 6 يوليو 1731 بينهما .

(37) معاهدة تجارية يوم 23 سبتمبر 1731 بينهما .

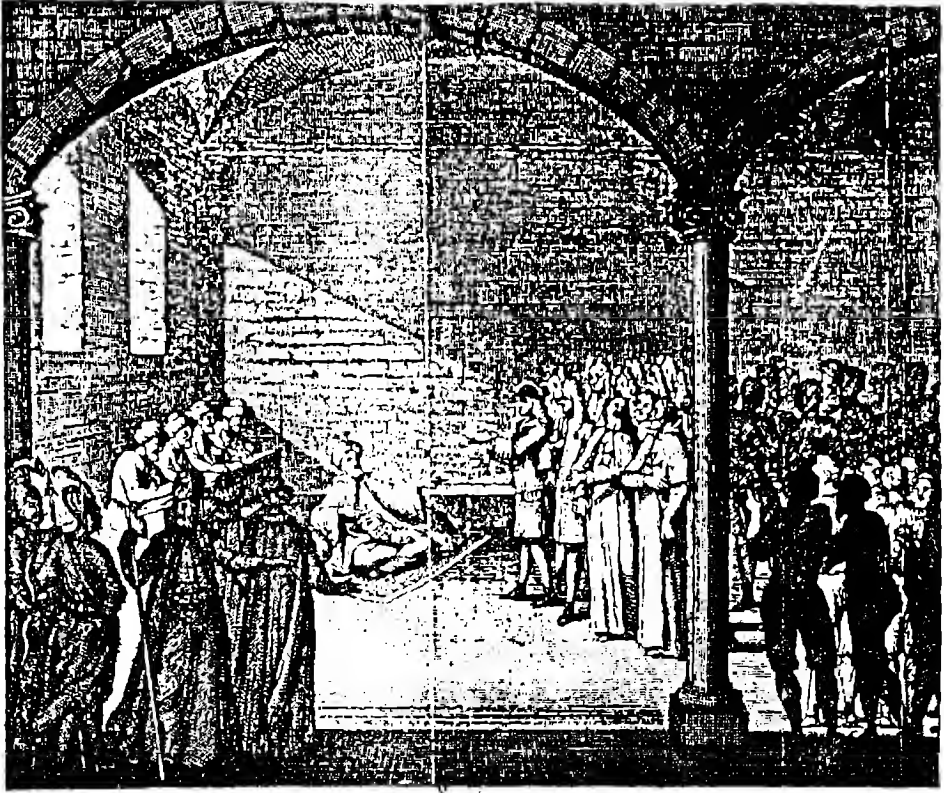
(38) معاهدة تجارية يوم 10 يونيو 1732 بينهما .

(39) تجديدها يوم 06 سبتمبر 1732 بين الداي بابا إبراهيم ولويس الخامس عشر .

(125) انظر الشكل رقم : 113 .

(126) انظر الشكل رقم : 114 .

(127) انظر الشكل رقم : 115 .



Audience du Dey D'Alger donnée le 3 Dec^r 1719. A.M. Durault Envoyé de France Accompagné des Religieux Trinitaires pour le rachat des Captifs

- Rachat des Captifs (1719).

الداي محمد بن حسن يستقبل ديزو ، المبعوث الخاص من لويس الخامس عشر ،
ملك فرنسا ، إليه (سنة 1719 م)

الشكل رقم : (113)

LOUIS XV
A MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Paris, le 27 décembre 1721.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu la lettre que vous nous avez écrite ¹, et nous avons vu avec plaisir la justice que vous avez rendu sur les instances qui vous ont été faites par notre Consul, en lui faisant remettre les 33 Français amenés à Alger par les corsaires qui avaient enlevé le vaisseau *La Ville de Cette*², dont ils faisaient partie de l'équipage, et qui a été repris sur eux par le Commandant d'une escadre hollandaise, puisque vous avez reconnu qu'il n'y avait eu nulle raison de la part des corsaires d'arrêter ce bâtiment, et que le Capitaine était muni d'un passeport en bonne forme. Nous espérons que vous renouvellerez vos ordres pour empêcher qu'aucun retombe dans une pareille erreur, puisque ces sortes d'incidents, contraires à la bonne intelligence que nous voulons maintenir avec la République d'Alger, ne pourraient servir qu'à la troubler et à causer de la perte tant au commerce de nos sujets qu'aux armateurs algériens, par les restitutions qu'ils seraient obligés de faire en arrêtant les bâtiments français contre la disposition des traités. A l'égard des Algériens qui se sont trouvés sur la prise, lorsqu'elle a été enlevée par les Hollandais, nous en faisons demander la liberté avec instance, de même que la restitution du vaisseau et de son chargement. Nous n'oublions rien pour y parvenir, quoique ce soit par la faute de vos corsaires que cette disgrâce leur est arrivée, et le Consul aura soin de vous informer du succès de vos diligences, mais nous estimons que ce qui vous a été rapporté, que les Français ont donné lieu aux Hollandais de prendre le vaisseau, n'est ni vrai

1. Voy. p. 108.

2. Lettre de Loup au Conseil de Marine, le 29 janvier 1720. (Archives de la Chambre de commerce de Marseille, S. AA, 474 de l'Inventaire.)

ni possible; peut-être qu'il leur était plus avantageux d'aller à Alger, où ils auraient été relâchés, que de s'exposer, en tombant entre les mains des Hollandais, aux difficultés qu'on en peut essuyer. Ces Français n'étant que 5 en nombre, avec 27 Algériens, n'auraient pu rien tenter contre la volonté de ces derniers.

Notre Consul nous a fait savoir que vous aviez agréé que son Chancelier ' passât à Oran, pour y exercer l'emploi de Vice-Consul de la nation française, suivant le brevet que nous lui en avons accordé *. Nous vous prions de lui donner une lettre de votre part pour le Bey de cette ville, et de lui recommander de le protéger dans l'exercice de ses fonctions, de même que les Français qui pourront s'y établir. Nous vous souhaitons au surplus toute la prospérité que mérite votre personne, pour laquelle nous aurons toujours toute l'estime et l'affection qu'elle peut attendre de notre sincère et parfaite amitié.

Écrit en notre château impérial, à Paris, le 27 décembre 1721.

Louis.

تابع للشكل رقم : (114)

LOUIS XV
A ADDI, DEY D'ALGER.

Versailles, le 24 août 1729.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous nous sommes fait lire votre lettre du 25 juin ¹, et nous avons vu avec plaisir les assurances que vous nous donnez du

1. Voy. *Lettres de Durand au comte de Maurepas*, le 14 juillet 1729, et du comte de Maurepas à Durand, le 24 août 1729.

2. Voy. p. 136.

AVEC LA COUR DE FRANCE

141

désir que vous avez d'entretenir la paix et la bonne correspondance entre vous et nos sujets. Nous regardons comme une marque de la sincérité de vos sentiments l'ordre que vous avez donné de remettre à notre Consul à Tunis les 13 Français qu'un marchand d'Alger avait amenés de Tripoli; quoiqu'on nous ait rapporté que la chose s'est passée autrement que vous nous le mandez, nous en sommes satisfait, et, pour vous en marquer notre contentement et l'estime particulière que nous avons pour vous, nous donnons nos ordres afin que l'on vous renvoie 19 de vos sujets qui sont esclaves sur nos galères. Nous nous remettons, au surplus, à ce que le sieur comte de Maurepas vous mandera de notre part sur les autres esclaves que vous demandez, et sur diverses infractions faites aux traités par quelques-uns de vos corsaires ², et comme nous ne doutons point que vous ne nous en fassiez faire de justes réparations, nous vous assurons aussi de nos dispositions sincères à maintenir la paix et la bonne intelligence entre nos sujets et les vôtres. Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte garde.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 24 août 1729.

Louis.

- (40) تجديدها يوم 15 ديسمبر 1743 بينهما .
- (41) تجديدها يوم 2 نوفمبر 1745 بين الداي إبراهيم الصغير ولويس الخامس عشر .
- (42) تجديدها يوم 18 فيفري 1748 بين الداي محمد بن بكر ولويس الخامس عشر .
- (43) تجديدها يوم 29 ديسمبر 1754 بين علي باشا ولويس الخامس عشر .
- (44) معاهدة سلم وتجارة يوم 16 يناير 1764 بين الداي بابا علي ولويس الخامس عشر . (128)
- (45) معاهدة تجارية يوم 23 مايو 1767 بين الداي محمد عثمان ولويس الخامس عشر .
- (46) تجديدها يوم 10 يونيو 1768 بين الداي محمد عثمان ولويس الخامس عشر .

وفي سنة 1774 مات لويس الخامس عشر ، وخلفه لويس السادس عشر ، فبعث رسالة إلى الداي محمد عثمان (بابا محمد) يخبره فيها بوفاة سلفه ، وبتعيينه مكانه ، « طبقا للحقوق الموروثة والقوانين الأساسية لأمبراطورية فرنسا » ، ويؤكد له حرصه على استمرار السلم والصداقة بين البلدين وتوطيدهما الخ ... (129)

وفي السنة التالية (1775) ، بعث لويس السادس عشر برسالة إلى الداي محمد عثمان يخبره فيها بأن حماته « العزيزة والمحبوبة جدا قد رزقت بوليد » ، (وهي زوجة أخيه الكونت دارتوة

(128) انظر الشكل رقم : 116 .

(129) انظر الشكل رقم : 117 .

1764 *Traité de paix de la France avec le Dey et la*
 16 Janv. *Régence d'Alger, arrêté le 16 Janvier 1764)*

(Koch table etc. et Recueil T. II. pag. 169.)

ART. I.
 Oubli du passé. L'an de l'Hégire 1177 et le 12, de la lune de Régeb, (ce qui revient au 16 Janvier 1764), il a été convenu entre Mr. Louis de Fabry, chevalier de l'ordre royal et militaire de St. Louis, capitaine de vaisseau major, des armées navales, commandant l'escadre de l'empereur, et le Dey de

*) De ce traité il n'a été donné qu'un extrait imparfait dans m. recueil Tome IV. p. 40.

De Martens : ibid, suppl. t, III.

الشكل رقم : (116)

de France mouillés actuellement en cette rade, muni des pouvoirs de Sa Majesté Impériale pour terminer les différends survenus entre la régence d'Alger et les sujets de Sa Majesté Impériale. Quant aux Algériens qui ont des griefs antécédents, survenus entre les deux nations, sont oubliés de part et d'autre; au moyen de quoi le dit Sr. chevalier de Fabry, au nom de l'empereur de France, et le Divan au nom de la milice, n'auront plus rien à entreprendre.

ART. II.

Que les corsaires d'Alger venant à rencontrer en mer des bâtimens françois, et se faisant réciproquement du mal, contre ce qui est porté par le traité, on examinera si c'est le françois ou l'Algérien qui a tort; si après avoir vérifié les faits, et c'est l'Algérien qui est coupable, le Dey d'Alger promet de le faire châtier rigoureusement pour l'exemple; et si c'est le françois, il sera remis entre les mains du consul de France, qui sera pareillement obligé de le faire châtier.

ART. III

Que, survenant quelques discussions entre l'empereur de France et la régence d'Alger et dans le cas même où il y auroit rupture, ce qu'à Dieu ne plaise, il y aura trois mois de terme pour que tous les François résident dans le royaume d'Alger pussent se retirer avec leurs biens, marchandises et effets.

ART. IV

Qu'en cas de rencontre entre les corsaires d'Alger et les bâtimens françois, et dans le cas même où il y auroit eu combat, la régence d'Alger ne s'en formalisera pas, et ne pourra, pour cause des dits combats, faire aucun mal aux François résidens à Alger, non plus qu'à ceux de la compagnie d'Afrique, promettant la dite régence de ne jamais plus maltraiter les dits François, mais de châtier ceux des siens qui auront tort.

LOUIS XVI
A DABA MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Versailles, le 12 mai 1774.

Illustre et magnifique Seigneur,

Dieu vient d'appeler à lui notre très honoré Seigneur et aïeul
Louis XV, Empereur de France, de glorieuse mémoire. Il nous

1. Ce nouveau Consul arriva à Alger le 1^{er} décembre 1773 sur la frégate *La Sultane*, commandée par M. de Taulanne, et y reçut « l'accueil le plus affectueux et le plus distingué que l'on pût désirer ». Voy. *Lettre de Vallière à M. de Boynes*, le 8 décembre 1773. — Voy. aussi *Note des présents à distribuer par M. Langoisseur de la Vallée, lors de son arrivée à Alger*. L'état ne désigne pas moins de 92 personnes, et le total s'élève à 16 891 l. 7 s. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger*.)

الشكل رقم : (117)

serait impossible de vous exprimer la douleur et l'affliction ou nous a jeté un coup aussi affreux qu'inattendu. Ce Prince a succombé avant-hier ¹, à la suite d'une maladie cruelle; la Providence nous a enlevé et à ses peuples le plus tendre des pères et le meilleur des Empereurs, et les étrangers perdent un ami de l'humanité, un allié fidèle et sincère. Nous connaissons trop les sentiments qu'il vous avait inspirés pour n'être pas assuré que vous donnerez des regrets à la mémoire de cet auguste Monarque. Le droit de notre naissance et les lois fondamentales de l'Empire de France nous ont appelé au trône de nos ancêtres, et nous avons pris les rênes de l'Empire français au milieu des acclamations de nos peuples, qui nous ont donné les marques les plus vraies de leur respect et de leur amour pour notre personne sacrée. Dieu, qui lit dans tous les cœurs, est témoin que nous n'avons d'autre désir que de marcher sur les traces de notre auguste aïeul; la droiture et la justice seront toujours le fondement et le lien de l'attachement de nos sujets comme de l'amitié des nations étrangères..

Nous confirmons d'autant plus volontiers les traités qui existent entre la France et la Régence d'Alger que nous sommes convaincu que vous en remplirez fidèlement les conditions, et que vous rendrez à notre Couronne impériale et à nos sujets tout ce qui peut affermir de plus en plus la paix, l'amitié et la correspondance la mieux établie. C'est dans cette confiance que nous avons voulu vous assurer nous-même de notre affection et de notre haute bienveillance.

Nous envoyons nos pleins pouvoirs au sieur de la Vallée, que nous confirmons dans sa place de Consul et de Chargé de nos affaires auprès de vous ². Nous lui donnons ordre de vous présenter cette lettre, et nous vous requérons d'ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom. Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte et digne garde.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 12 mai 1774.

LOUIS.

1. Le 10 mai 1774.

2. Voy. *Lettre de M. de Doyne à de la Vallée*, le 12 mai 1774, contenant des instructions spéciales au sujet de l'avènement du nouveau Roi.

(le Comte d'Artois ، الذى سيصبح ، فيما بعد ... الملك شارل العاشر ، « صاحبنا » ...) .

ثم يقول للدائى : « لئن أخبركم بذلك لأنى اعلم أنه سيسركم ذلك ... كما سنبتهج نحن بأى حادث سعيد سار يحدث لديكم » . (130)

وفعلا ، فقد أجابه الدائى محمد عثمان برسالة يقول له فيها : « إن الخبر سرنا أبلغ السرور » . (131)

إلى هذا الحد بلغت « الألفة » بين دايات الجزائر وملوك فرنسا، وبيادرة من هؤلاء الآخرين ! ثم يقال : « إن الجزائر لم تكن لها دولة ولا أمة » !

ورسالة أخرى من لويس السادس عشر إلى الدائى محمد عثمان يخبره فيها بحادث « سعيد » جديد فى أسرته ، وهو ازدياد وليد له ، هذه المرة ، أو أمير ، « تمخضت عنه زوجتى ومرافقتى العزيزة جدا » ، « واستعجل بإبلاغكم خبر هذا الحدث العظيم لعلمى بعواطفكم ... » ، الخ ، ويتمنى للدائى فى الأخير كل خير وازدهار ... (132)

وتمر بضع سنين ثم تأتى منه رسالة جديدة إلى الدائى محمد عثمان يقترح عليه فيها تعديل بعض بنود معاهدات سابقة « لزيادة تعزيز العلاقات بين الأباطورينين » . (133)

(130) انظر الشكل رقم : 118 .

(131) انظر الشكل رقم : 119 .

(132) انظر الشكل رقم : 120 .

(133) انظر الشكل رقم : 121 .

LOUIS XVI
A BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Versailles, le 6 août 1775.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous vous informons avec plaisir que Madame la comtesse d'Artois ¹, notre très chère et bien aimée belle-sœur, vient d'ac-

de 1830. Le prix convenu entre lui et Baba Mohammed, pour l'établissement d'une nouvelle fonderie et la fabrication d'un certain nombre de pièces d'artillerie, fut de 3000 sequins algériens (28 687 l. 10 s.). Voy. *Mémoire du sieur Vallière sur la fonderie d'Alger*, le 6 février 1772, — *Lettres de Vallière à M. de Hoynes*, les 6 février 1772, 31 août, 27 octobre et 8 décembre 1773, — *Lettres de M. de Hoynes à Vallière*, le 5 juin 1774, et de de la Vallée au comte de Sartine, le 26 juin 1775. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

1. Marie-Thérèse de Savoie. On sait que le comte d'Artois, petit-fils de Louis XV, devint plus tard Charles X.

11. — 21

322

CORRESPONDANCE DES DEYS D'ALGER

coucher heureusement d'un Prince que nous avons nommé le duc d'Angoulême ¹. Après avoir remercié l'Être Tout-Puissant de cette faveur, nous n'avons rien de plus pressé que d'en faire part aux Princes nos amis et alliés. Nous comptons trop sur les sentiments qui nous lient à votre personne pour ne pas être assuré que vous apprendrez avec satisfaction un événement qui nous a rempli de joie. Vous devez être bien persuadé que nous prendrons toujours beaucoup de part à tout ce qui vous arrivera d'heureux. Nous ferons des vœux pour votre prospérité, et nous prierons Dieu, illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte et digne garde.

Fait au château impérial de Versailles, le 6 août 1775.

Louis.

BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER,
A LOUIS XVI.

Alger, le 2 septembre 1775.

(Sceau)
MOHAMMED,
Dey d'Alger la bien gardée.

Au très illustre et très magnifique Empereur de France, le plus grand des Princes qui professent la religion du Messie, notre haut et puissant ami, Salut.

Après nous être informé de l'état de votre santé, pour la conservation de laquelle nous formons les vœux les plus sincères et les plus constants, et après vous avoir exposé ceux que nous y joignons pour la durée et la prospérité de votre règne, nous nous empressons de vous témoigner la joie que nous avons ressentie, lorsque votre Consul nous a remis de votre part

1. Il épousa en 1799 la fille de Louis XVI, Marie-Thérèse-Charlotte, sa cousine.

الشكل رقم : (119)

la lettre pleine d'amitié que vous nous avez écrite, en date du 6 août dernier ¹. La nouvelle agréable et intéressante que vous avez bien voulu nous donner que votre illustre frère, le comte d'Artois, était devenu père d'un fils que vous avez nommé duc d'Angoulême, nous a causé la plus grande satisfaction. Votre amitié pour nous, et celle qui nous unit depuis si longtemps à votre Couronne, exigent de nous que nous prenions la part la plus sincère aux événements qui peuvent concourir à votre satisfaction. Nous souhaitons au Prince nouveau-né les jours les plus longs et les plus heureux, et, pour que notre joie soit complète, nous unissons nos vœux à ceux de votre peuple pour que le Ciel vous soit propice, en vous accordant des enfants qui marchent sur vos traces et qui soient dignes de vous. Puissent nos vœux être exaucés par l'assistance de Jésus, de Marie et de l'ange Gabriel! Ainsi soit-il!

Très illustre et très puissant Empereur, très haut et ancien ami, vous n'ignorez pas qu'en vertu des traités et de l'amitié qui nous unissent, votre nation et vos sujets jouissent chez nous d'un degré d'estime et de considération que nous n'accordons pas à nos autres alliés. Nous n'avons pas lieu de nous plaindre de cette déférence envers vous, par le zèle et l'empressement avec lequel vous nous servez dans les affaires les plus difficiles et les plus épineuses; c'est ce qui doit nécessairement nous porter à cultiver l'amitié et la bonne intelligence qui règnent entre nos deux nations. Aussi sommes-nous disposé à exécuter ponctuellement les articles des traités conclus entre nous, dans tous les cas qui se présenteront et dans toutes les affaires où l'équité n'aura point à souffrir d'atteinte. Nous espérons que vous voudrez bien agir avec nous selon les mêmes principes.

Veuille le Dieu Tout-Puissant prolonger vos jours et les faire prospérer!

Fait et écrit à Alger la forte et la bien gardée, le 2 septembre 1775 de Jésus-Christ.

1. Voy. p. 321.

LOUIS XVI

A BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Versailles, le 22 octobre 1781.

Illustre et magnifique Seigneur,

L'Être suprême a mis le comble à mes souhaits et aux vœux de la France par la naissance d'un Prince ¹ dont la Reine, ma très chère épouse et compagne, vient d'être heureusement délivrée. Je m'empresse de vous notifier ce grand événement, qui assure le bonheur de mes peuples en perpétuant la race impériale. Je compte trop sur vos sentiments pour ne pas être assuré que vous apprendrez avec plaisir une nouvelle aussi heureuse pour mon illustre famille que pour mes sujets. Je fais des vœux pour votre prospérité, et je prie Dieu, illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte et digne garde.

Fait en notre château impérial de Versailles, le 22 octobre 1781.

Louis.

(الشكل رقم : 120)

LOUIS XVI

A BADA MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Paris, le 6 décembre 1789.

Illustre et magnifique Seigneur,

Le désir que nous avons de terminer radicalement les différents que des malentendus ont élevés depuis quelque temps entre la France et la Régence d'Alger, d'y remédier pour l'avenir

(الشكل رقم : 121)

en insérant quelques modifications ou changements dans les articles des traités qui subsistent entre nous, et qui sont relatifs à la démarcation des limites assignées sur nos côtes aux courses de vos bâtiments de guerre, aux passeports que nous faisons délivrer à nos bâtiments de commerce et à la réclamation de ceux des dits bâtiments qui ont été arrêtés, est le motif qui nous détermine à envoyer devers vous le chevalier de Sainneville, l'un des premiers officiers de nos armées navales, en qualité de notre Envoyé, pour mettre la main à un ouvrage si salutaire, déterminer ses conditions, en signer l'acte authentique, et proroger la durée de la paix que nous désirons vivement de voir perpétuer entre les deux Empires¹. Nous lui avons remis à cet effet nos pleins pouvoirs, avec ordre de vous assurer de la sincérité de nos intentions. Nous l'avons chargé en même temps de vous présenter cette lettre, pour vous prier d'ajouter foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom, et pour vous offrir les témoignages de notre amitié et de notre considération personnelle.

Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte garde.

Fait en notre château impérial du Louvre de Paris, le 6 décembre 1789.

Louis.

1. Le Consul avait demandé à la Cour d'envoyer à Alger « une personne qui joignît à un extérieur imposant un caractère ferme et l'habitude de négocier ». Pendant que le chevalier de Sainneville se disposait à aller remplir la mission dont il s'agit, le Ministre jugeait nécessaire de faire intervenir la Porte dans nos différends avec la Régence, et le comte de Choiseul-Gouffier obtenait du Sultan l'envoi d'un commissaire, Hussein-Effendi-Zadé Saïd-Bey, muni des firmans nécessaires pour amener la réconciliation des deux pays. Cette ambassade nous coûta 110 000 l. — Voy. *Mémoire pour servir d'instruction et pleins pouvoirs donnés au sieur chevalier de Sainneville, Chef de division des armées navales, Envoyé de Sa Majesté près le Dey et la Régence d'Alger*, 1789, — *Mémoire remis par le comte de Choiseul-Gouffier à la Sublime Porte*, le 8 mars 1790, — *Lettres du comte de Choiseul-Gouffier à de Kersey*, le 22 octobre 1789, — *du comte de La Luzerne à de Kersey et aux Echevins de Marseille*, les 8 février, 25 mars 1789 et 3 janvier 1790, — *de de Kersey au comte de La Luzerne*, les 24 septembre et 10 octobre 1788, 5 juin, 22 juillet et 3 août 1789, — *du comte de La Luzerne au comte de Choiseul-Gouffier*, le 25 mars 1789. (Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger, et Archives de la Chambre de commerce de Marseille, S. AA, 113 de l'Inventaire.)

(47) معاهدة سلم وتجارة فى فيفريى 1790 بين الداى محمد عثمان ولويس السادس عشر . (I34)

(48) معاهدة سلم وتجارة يوم 29 مارس 1790 بين الداى محمد عثمان ولويس السادس عشر وتجديد المعاهدات السابقة . (I35)

وندرج هنا جوابا (I36) من الداى محمد عثمان على رسالة لويس السادس عشر التى كان قدمها له المبعوث الخاص من الملك السادس عشر ، وفيه ذكر للمصادقة التى ذكرناها منذ حين .

(49) اتفاقية تجارية يوم 23 يونيو 1790 بين الداى محمد عثمان ولويس السادس عشر .

(50) تجديد معاهدة السلم والتجارة يوم فاتح يوليو 1791 بينهما .

وهنا نجد رسالة من الداى الجديد ، حسن (أو بابا حسن) ، إلى لويس السادس عشر يعلمه فيها بوفاة الداى محمد عثمان وبانتخابه ، خلفا له ، ويستعير منه سفينة سياحية فاخرة لتحمل وفدا جزائريا مع هدية إلى الخليفة العثمانى ، رمزا للولاء الروحى المعنوى ، مثلما كانت سلطة معنوية للبابا على رؤساء الدول المسيحية .

وإذ يستعير سفينة فاخرة ، فلأن الأسطول الجزائرى لم يكن يعنى بالجانب الترفيهى السياحى ، بل هو مكرس بكليته للدفاع . (I37)

(134) De Martens : ibid, t. VII, p. VII.

(135) انظر الشكل رقم : 122 .

(136) انظر الشكل رقم : 123 ، 1 ، 123 ب .

(137) انظر الشكل رقم : 124 ، 1 ، 124 ب .

**Renouvellement des Traités entre la France et Alger conclu le
29 mars 1790.**

Le sujet de cet Écrit est : qu'en cette courante année 1204 de l'Hégire et dans les premiers jours de Redgeb, le Marquis *de Baudot Sainneville*, Chevalier de Saint-Louis, Chef de Division des Armées Navales de France, ayant été envoyé auprès du Très-Illustre et Magnifique Mohammed-Pacha en qualité d'Envoyé Extraordinaire de la part de l'Empereur de France, il a été convenu que les anciens Traités faits entre la France et Alger, notamment celui de l'an 1132 de l'Hégire (1719), avec les articles qui y ont été ajoutés depuis à différentes époques, seront maintenus en totalité dans toute leur valeur, pourvu qu'il ne soit point donné de passeports françois à des étrangers, ce qui ne pourrait se faire sans occasionner de la mésintelligence entre les deux Puissances Contractantes. De sorte que, la Paix ayant été renouvelée aux mêmes clauses et pactes que ci-devant, ce renouvellement de Paix entre les deux Puissances durera pendant cent ans consécutifs.

Fait à Alger, le 12 de Redgeb l'an 1204, correspondant au 29 mars 1790. Signé à l'original ci-contre, dûment scellé du grand Sceau, Mohammed Pacha Dei, Gouverneur d'Alger la bien-gardée.

BAUDOT DE SAINNEVILLE.

Et ainsi, quoique dans les anciens Traités faits entre la France et Alger, il soit dit : « que par égard pour l'Empereur de France, les Corsaires de la Régence doivent faire leur course à trente mille des côtes de France »; cependant, comme cette stipulation est un sujet de discussions fréquentes entre les deux Puissances, elles sont conve-

الشكل رقم : (122)

nues de l'abolir, et dorénavant les limites de l'immunité, tant pour les vaisseaux algériens que pour leurs ennemis, sont fixées à la portée du canon des côtes de France et des côtes de Corse, soit que sur le rivage il y ait des canons, soit qu'il n'y en ait pas; de façon que, dans l'espace de ces nouvelles limites, les Corsaires Algériens doivent être à l'abri de leurs ennemis, et eux aussi ne doivent inquiéter, en aucune manière, les bâtimens ennemis de la Régence qui s'y trouveront. Mais l'exécution de cet article ne commencera à avoir lieu que quatre mois après la signature du présent renouvellement afin que la Cour de France ait le temps d'en prévenir les Puissances Etrangères.

Fait à Alger le 12 de Redgeb 1204, correspondant au 29 mars 1790.

S'il est jugé convenable de changer les Passeports que la Cour de France a coutume de donner à ses navires marchands, on les fera dans une nouvelle forme. Au reste, conformément aux anciens pactes et conditions qui sont ici renouvelés, notre Paix sera ferme et constante, et durera l'espace de cent ans.

Fait à Alger le 12 de Redgeb 1204, correspondant au 29 mars 1790. Signé à l'original ci-contre, dûment scellé du grand Sceau, Mohammed Pacha Dei, Gouverneur d'Alger la bien-gardée.

BAUDOT DE SAINNEVILLE.

تابع للشكل رقم : (122)

santé est fort altérée depuis quelque temps, et comme elle est précieuse au service de Sa Majesté Impériale, je me propose de lui obtenir un congé pour venir respirer l'air natal, lorsque tout sera terminé. Quant au sieur Venture, il n'est que passagèrement à Alger, et a des fonctions à remplir auprès de Sa Majesté Impériale qui obligent à le faire revenir; le chevalier de Sainneville a ordre de le ramener avec lui, et de laisser à sa place le sieur Sielvé¹, si le sieur de Kerzy a besoin d'un interprète.

Daignez agréer avec votre bonté ordinaire mes vœux pour votre conservation. Ils me sont inspirés par l'attachement et la considération distinguée avec lesquels je suis plus cordialement et plus véritablement que personne au monde,

Très illustre et magnifique Seigneur,
Votre très parfait et sincère ami.

LA LUZERNE.

BADA MOHAMMED, DEY D'ALGER,
À LOUIS XVI.

Alger, le 4 avril 1790.

(Sceau)
MOHAMMED,
Dey et Gouverneur d'Alger.

A Sa Majesté Louis, l'élite des Monarques chrétiens, le plus glorieux des Grands parmi les nations de la croyance du Messie, le très auguste, très sincère, très affectionné Empereur de France, notre grand et ancien ami. — Puisse son existence être comblée de bénédictions! Daigne le Ciel le diriger sans cesse dans le chemin de la droiture! —

Après avoir offert à Votre Majesté les vœux les plus ardents et les expressions de l'amitié la plus pure, notre premier

1. Joseph-Charles Astoin-Sielvé, qui fut nommé Chancelier du Consulat d'Alger le 27 mars 1790. Voy. sa correspondance avec les Échevins de Marseille. (*Archives de la Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 492-500 de l'inventaire.)

devoir est de nous informer de l'état de votre santé. Si nos prières sont exaucées, il n'est sorte de prospérités et de bonheur dont vous ne jouissiez pendant un règne aussi long que glorieux.

Nous étions occupé de ces souhaits et de nos sentiments les plus sincères pour Votre Majesté, lorsque son Envoyé, M. le chevalier de Sainneville, nous a remis le 26 février la lettre pleine d'amitié dont elle nous a honoré¹; nous en primes lecture avec le plus grand empressement, et nous apprécîâmes avec reconnaissance toutes les expressions contenues dans cette dépêche et qui portaient le caractère de l'éloquence du cœur. Nous fîmes en conséquence appeler auprès de nous l'Envoyé de Votre Majesté et son Chargé d'affaires résidant à Alger, et nous leur montrâmes les plus favorables dispositions à les entendre sur les points principaux de leurs instructions².

Il en est résulté un écrit par lequel nous nous sommes engagé à confirmer la paix qui subsiste entre les deux Empires depuis un temps infini, et à l'observer dans sa plénitude à la satisfaction des deux partis, et c'est à la suite de notre ancien traité que cet écrit a été consigné³.

Il nous reste à désirer que la Vérité éternelle daigne raffermir et fortifier les nœuds de l'amitié qui nous unissent à Votre

1. Voy. p. 389. M. de Sainneville arriva à Alger le 26 mars 1790 sur la frégate du Roi *L'Iris*, commandée par le chevalier de Ligondez, et repartit le 4 avril. Voy. *Etat de la dépense faite d'ordre de M. de Kersey à l'occasion de la venue en cette rade de la frégate du Roi L'Iris, commandée par le chevalier de Ligondez*, le 31 mars 1790.

2. Voy. *Lettre du chevalier de Sainneville au comte de La Luzerne*, le 10 avril 1790, rendant compte de sa mission. « Le Dey a montré beaucoup d'humeur dans la première audience, et m'a paru aussi exigeant qu'il pouvait l'être. Il a seulement consenti à ajouter au traité une clause établissant le renouvellement de la paix centenaire, et une nouvelle démarcation de limites, pour la course de ses corsaires, à la portée du canon des côtes de France et de Corse. Mohammed a consenti à laisser les Concessions à la Compagnie moyennant 2000 sequins de plus tous les deux mois. » — Voy. aussi *Compte particulier de M. de Sainneville en 1790*, — *Fonds accordés en 1790 pour la négociation avec Alger*, et *Rapport sur les dépenses de l'affaire d'Alger*, le 4 septembre 1790, soit 330 000 l., — *Récapitulation des présents de l'Envoyé du Roi*, le 5 juin 1789, — *Lettres du comte de La Luzerne à de Kersey*, les 31 janvier et 28 avril 1790, et de de Kersey au comte de La Luzerne, les 6, 23 avril et 7 août 1790. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

3. L'original du traité du 29 mars 1790 est aux *Archives des Affaires étrangères, Salle des Traités*. Il a été publié dans les recueils de MM. Tétot et de Clercq.

Majesté, et que la divine Providence ne nous permette jamais de nous écarter de la bonne voie. Ainsi soit-il!

A Alger, séjour de la guerre contre les infidèles, le 19 de la lune de Redjeb, l'an de l'hégire 1204, c'est-à-dire le 4 avril 1790.

Traduit par RUFFIN, Secrétaire-interprète du Roi, le 28 mai 1790.

الشكل رقم : (123) ج

SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
A LOUIS XVI.

Alger, le 15 juillet 1791.

(Sceau)

HASSAN,

Dey et Gouverneur d'Alger la bien gardée.

Au plus grand des Souverains chrétiens, à l'élite des Chefs
des nations qui professent la religion du Messie, notre très

1. Voy. *Lettre des Députés de la Chambre de commerce de Marseille à Vallière*,
le 19 mai 1791. La Chambre était autorisée à faire à notre agent l'avance de
6 655 sequins. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger*.)

الشكل رقم : (124) أ

grand et très fidèle ami, l'auguste Empereur de France. — Que Dieu couronne de bénédictions sa glorieuse carrière, et dirige ses pas dans le chemin de la justice et de la droiture! — Salut et prières!

Nous offrons à Votre Majesté Impériale nos vœux les plus ardents et les plus étendus pour sa conservation et sa félicité. Puisse-t-elle jouir d'une santé inaltérable et d'une satisfaction sans bornes! Ainsi soit-il! par Jésus, fils de Marie.

Nous avons l'honneur de notifier à Votre Majesté Impériale que notre illustre prédécesseur Mohammed, Dey et Gouverneur de notre victorieuse Régence d'Alger, en exécution des décrets de la Providence qui a condamné tout être vivant à goûter le calice de la mort, a quitté en dernier lieu cette vie périssable pour passer à l'éternité, et que nous, Sidi Hassan, ci-devant Khaznadji, avons immédiatement succédé à ce Prince, — dont le tombeau soit sanctifié! —

Nous devons, suivant l'usage, envoyer à la Sublime Porte des présents d'une grande valeur à l'occasion de notre heureux avènement, et nous avons à faire à Votre Majesté une demande à cet effet. Nous la prions de destiner à ce voyage le Capitaine Doumergue, qui se trouve actuellement en France, et de vouloir bien lui faire donner le vaisseau que ce navigateur désignera et le lui laisser armer comme il l'entendra. En un mot nous demandons à Votre Majesté Impériale, au nom de l'amitié qui nous unit, qu'il soit consigné au dit Capitaine un vaisseau grand et neuf, pourvu de toutes les munitions nécessaires. C'est ainsi que nous en sommes convenu avec le dit navigateur. La célérité qui sera mise à cette expédition ajoutera un grand prix au bienfait et de nouveaux motifs à notre reconnaissance¹.

1. Baba Mohammed mourut à l'âge de 81 ans, le 12 juillet 1791; il fut aussitôt remplacé par Sidi Hassan, son fils adoptif, qui ratifia nos traités le même jour, à la demande de Vallière. Voy. *État des présents faits par le sieur Vallière à l'occasion de l'avènement du nouveau Dey*, soit 7233 l. 17 s.

2. Voy. *Lettre de Vallière au Vice-Amiral Thévenard*, le 28 juillet 1791. « Le nouveau Dey m'a fait l'accueil le plus flatteur et les démonstrations les plus amicales; la jalousie des étrangers s'est alarmée déjà d'un fantôme de faveur. Mais Hassan est Algérien, impatient par conséquent, et il me sollicite journellement pour la plus grande diligence dans l'expédition du bâtiment qu'il a

Nous osons donc espérer qu'à la réception de cette lettre, Votre Majesté Impériale donnera les ordres les plus précis pour l'armement et le départ du vaisseau indiqué.

Que Dieu lui accorde la continuation d'une bonne santé, et nous fasse tous persévérer dans la droite voie, sans permettre que nous nous en écartions ! Ainsi soit-il !

Écrit à Alger, le centre de la guerre contre les infidèles, le 14 de la lune de Zilcadé, l'an de l'hégire 1203, ou le 15 juillet 1791.

Le vaisseau que nous désirons est un vaisseau de guerre, ce n'est pas un vaisseau marchand. Nous attendons cette faveur de Votre Majesté Impériale avec toute la confiance de l'amitié qui nous unit depuis longtemps.

Traduit par RUYEN, Secrétaire-Interprète du Roi, le 7 août 1791.

الشكل رقم : (124) ج

ويتلوها مباشرة جواب لويس السادس عشر ، يهنئه فيه
ويجيبه إلى طلبه . (I38) .

علاقات جمهورية الجزائر بالثورة الفرنسية :

نتذكر أن الثورة الفرنسية قامت يوم 14 يوليو 1789 . ولكنها
لم تلغ الملكية منذ اليوم الأول ، بل أبقت على لويس السادس
عشر ، الذى تغير لقبه الرسمى من ملك فرنسا إلى ملك
الفرنسيين ، حتى خلع يوم 10 أوت 1792 ، وأعلنت الجمهورية
يوم 21 سبتمبر 1792 ، وبدأ تأريخ جميع الوثائق الرسمية
الفرنسية ، ابتداء من اليوم التالى : 22 سبتمبر ، بصيغة :
« العام الأول للجمهورية (l'An 1 de la République) ، التى أعلن عنها
فى اليوم التالى : 23 سبتمبر ، أنها « واحدة لا تتجزأ
(Une et indivisible) . وهنا يبدأ فصل جديد فى تاريخ العلاقات
الجزائرية الفرنسية .

ففى 03 مايو 1793 بعث « المجلس التنفيذى المؤقت للجمهورية
الفرنسية » رسالة إلى « سيدى حسن ، داي الجزائر » ، يعلمه
فيها « بالتغيرات الطارئة » فى فرنسا ، ويرسل بأوراق الاعتماد
لمثله الدبلوماسى فى الجزائر مجددا له الثقة ... (I39)

(51) وأجابه الداى حسن بتاريخ 20 مايو 1793 معترفا
بالجمهورية الفرنسية الأولى ومجددا المصادقة على المعاهدات
الجزائرية الفرنسية السابقة للثورة الفرنسية (I40)

(138) انظر الشكل رقم : 125 .

(139) انظر الشكل رقم : 126 .

(140) أ - انظر الشكل رقم : 127 أ

ب - انظر الشكل رقم : 127 ب

ج - انظر الشكل رقم : 127 ج

د - انظر الشكل رقم : 127 د

LOUIS XVI
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER.

Paris, le 16 septembre 1791.

Nous avons reçu, très illustre et magnifique-Seigneur, avec une grande satisfaction la nouvelle de votre avènement à la dignité suprême de Dey d'Alger¹, et l'attention que vous avez eue de nous en informer vous-même nous a été infiniment agréable. Les rares qualités dont vous êtes orné et les sentiments d'attachement que vous montrez pour la nation française pouvaient seuls adoucir les regrets que nous a causés la perte de notre ancien ami, votre illustre prédécesseur. Votre empressement à ratifier les traités qui subsistent si heureusement entre la France et la Régence aurait suffi pour nous convaincre de la sincérité de vos désirs pour le maintien de la bonne harmonie,

demande pour son ambassade à Constantinople. » — Voy. aussi *Mémoire du capitaine Doumergue sur la demande du Dey d'un bâtiment pour Constantinople*, le 18 août 1791.

1. Voy. p. 407.

الشكل رقم : (125)

mais vous y avez ajouté de plus une-marque de prédilection à laquelle nous attachons un grand prix, celle de donner la préférence à notre pavillon pour transporter à Constantinople l'Ambassadeur que vous envoyez à Sa Hautesse, afin d'obtenir son investiture '. M. Vallière, notre Chargé d'affaires auprès de vous que nous recommandons à vos bontés, très illustre et magnifique Seigneur, aura l'honneur de vous présenter cette lettre. Il a dû déjà vous prévenir que nous avons donné promptement les ordres nécessaires à cette expédition. Nous nous en rapportons entièrement aux détails qui vous en seront faits par notre Ministre de la Marine. Vous y reconnaîtrez qu'ils sont absolument conformes à vos vœux. Les nôtres n'auront jamais d'autre objet que la conservation de la paix et de la bonne amitié, ainsi que la gloire et la prospérité de votre Régence, et la présente n'étant à autre fin, je prie Dieu, très illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte garde.

Écrit en notre château impérial des Tuileries de Paris, le 16 septembre 1791.

Louis.

تابع للشكل رقم : (125)

LE CONSEIL EXÉCUTIF PROVISOIRE DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE ¹
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER.

Paris, le 3 mai 1793.

Très illustre et magnifique Seigneur,

Les changements survenus en France exigeant que le Consul qui réside auprès de vous soit muni d'un titre émané de notre Gouvernement actuel, nous nous empressons de confirmer par la présente le citoyen Vallière dans les fonctions qu'il remplit à notre satisfaction. Nous lui donnons à cet effet l'ordre de vous présenter cette lettre, qui servira à l'accréditer de nouveau auprès de votre personne en qualité de Consul général et Chargé des affaires de la République française. Vous pouvez ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom, relativement au service et aux intérêts du commerce et de la navigation des Français dans vos États, et principalement lorsqu'il vous assurera de toute notre estime, de l'intention sincère où nous sommes de vous en donner des marques en toute occasion, et de vous prouver par là le désir que nous avons d'entretenir la bonne harmonie qui existe si heureusement entre les deux nations.

1. Le Conseil exécutif provisoire était composé des Ministres et présidé par chacun d'eux à tour de rôle et de semaine en semaine. (Loi du 15 août 1792 relative à ses attributions.)

436

CORRESPONDANCE DES DEYS D'ALGER

Sur ce nous prions Dieu, très illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte et digne garde.

Écrit en notre palais national des Tuileries, le 3 mai 1793.

Par le Conseil exécutif :

Le Ministre des Affaires étrangères,
LEDRUN ¹.

SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
AUX MINISTRES ET ADMINISTRATEURS DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE ¹.

Alger, le 20 mai 1793.

Ceci est la lettre amicale adressée aux Ministres et aux autres Chefs du Gouvernement français par Son Excellence Hassan Pacha, — Que Dieu comble ses désirs! — Vice-Roi et Gouverneur actuel du Royaume d'Alger.

(Sceau)

HASSAN,

Dey et Gouverneur d'Alger.

Princes des Princes de la nation de Jésus, Grands des Grands du peuple du Messie, nos très honorables et très sincères amis les Ministres et Administrateurs de la République française, après nous être convenablement informé de la santé de chacun de vous en particulier, nous vous exposons avec sincérité ce qui suit :

Nous venons de recevoir la lettre amicale que vous nous avez adressée ², lettre dont les paroles sincères ont pour but de nous annoncer en même temps les changements survenus par la volonté du Très-Haut dans l'organisation du Gouvernement français, les dispositions d'après lesquelles vous avez été chargés

1. Pierre-Hélène-Marie Lebrun-Tondu, Ministre des Affaires étrangères du 10 août 1792 au 21 juin 1793. Il avait été auparavant précepteur à Liège, puis imprimeur et publiciste.

2. Voy. la note 1, p. 433.

3. Voy. p. 435.

de l'administration, et de nous faire connaître qu'en vertu de ces mêmes dispositions le très sincère et très véridique Vallière, votre Consul actuel auprès de nous, a été confirmé et maintenu dans le poste qu'il occupe, les lettres et titres de créance d'usage lui ayant été envoyés par la République française.

La recommandation que vous nous adressez en faveur du dit Vallière, afin que nous lui accordions à l'avenir notre entière confiance dans l'exercice de ses fonctions et dans la gestion des affaires avantageuses aux deux nations, a été parfaitement comprise. Aussi, prenant en considération le sujet de votre lettre dont nous approuvons le contenu, nous consentons très volontiers à ce que le susdit Vallière soit continué dans l'exercice de ses anciennes fonctions. Confirmant de plus, d'après nos anciennes promesses, l'état actuel des stipulations et conventions arrêtées entre nous, nous promettons qu'elles seront religieusement observées et nous veillerons à ce qu'on n'en néglige point l'exécution.

À l'avenir, et tant que par l'ordre des membres de votre Gouvernement il ne sera rien fait de contraire à nos traités et promesses, notre amitié n'éprouvera pas la plus légère atteinte. Puisse-t-elle au reste durer toujours, au nom du Maître des créatures!

Daté des derniers jours de mai de l'année de Jésus 1793, correspondant à l'année arabe 1207, à Alger de Barbarie la bien gardée.

En marge est écrit :

Quelle que soit la teneur des conventions et stipulations contenues dans les articles des traités passés entre les mains de votre Consul ici, voulant que ces mêmes traités soient exécutés comme par le passé, nous les avons renouvelés, et ce renouvellement a été inscrit et consigné par nous sur nos dits traités qui sont entre les mains de votre Consul¹. C'est afin de vous faire connaître cette disposition que la présente lettre vous a été écrite.

Traduit par BIANCHI, Secrétaire-interprète du Roi, le 7 mars 1827.

1. Cette ratification de nos traités, le 20 mai 1793, contenait en même temps la reconnaissance du Gouvernement de la République française. Elle a été publiée dans le *Recueil des traités* de M. Tétot, n° 1490.

١٠٠
الحمد لله
على ما
السلامة
على
القول
والقول

Lé sujet de cet écrit est que, l'an 1204, au commencement de la lune de Regieb, notre prince & seigneur d'heureuse mémoire Mouhammet Pacha, a renouvelé les anciens traités d'amitié & de paix avec la France, & a promis d'en maintenir l'exécution sans y apporter aucune refraction; & actuellement le consul de France nous ayant demandé que les dits traités fussent renouvelés au même titre que par le passé avec la République de France, ce renouvellement vient d'être consommé le ce jour huitième de la lune de Chawal, l'an 1207, & ainsi que dans l'occasion où vous en ferez le libre recours, & agit en conformité. Fait au commencement de la lune de Chawal, l'an 1207.

Signé du Secrétaire du Day notaire.

TABLE

PAR ORDRE ALPHABÉTIQUE

DES PUISSANCES.

ALGER.

1790	Mars.....	29.	Acte de renouvellement des traités antérieurs.	204
1793	Mai.....	20.	<u>Lettre du Dey d'Alger pour la reconnaissance de la Ré-</u> <u>publique et le renouvellement des traités antérieurs.</u>	224
1800	Juillet.....	19.	Armistice illimité.	394
1801	Décembre.	25.	Traité de paix.	476

ALLEMAGNE (EMPIRE d').

1714	Mars.....	6.	Septembre 7. Traité de paix et d'amitié, signé à Ras-	16
			tadt et à Baden en Argovie.	
1718	Août.....	2.	Traité d'alliance, signé à Londres, avec la France et la	20
			Grande-Bretagne.	
1727	Mai.....	31.	Traité préliminaire de paix, signé à Paris, avec la France,	21
			la Grande-Bretagne et les États-Généraux.	
1735	Octobre...	3.	Préliminaires de paix signés à Vienne.	21
1788	Novembre.	19.	Traité définitif de paix conclu à Vienne.	21
1789	Janvier....	13.	Traité d'amitié conclu à Versailles.	21
1756	Mai.....	1.	Traité de neutralité et d'alliance signés à Versailles. .	79
1757	Septembre.	22.	Traité d'alliance et de subsides, conclu à Versailles, avec	79
			la France et la Suède.	
1758	Décembre.	80.	Traité d'alliance offensive et défensive, conclu à Ver-	79
			sailles.	
1800	Juillet.....	28.	Articles préliminaires de paix, signés à Paris.	395
1801	Janvier....	26.	Convention préliminaire de paix, signée à Lunéville. .	419
	Février....	9.	Traité définitif de paix, conclu à Lunéville.	424
1802	Août.....	21.	Rapport et déclaration sur le règlement des indemnités	592
			Germaniques.	
1802	Décembre.	26.	Convention, signée à Paris, pour régler les Indemnités à	608
			accorder en Allemagne à l'Archiduc François, Grand-	
			Duc de Toscane.	
			Convention, signée à Paris, pour la reconnaissance du	611
			Roi d'Etrurie.	

AUTRICHE.

1736	Mai.....	15.	Déclaration, signée à Vienne, sur la paix avec la Rus-	21
			sie et la Pologne.	
	Août.....	28.	Traité, conclu à Vienne, pour la remise de la Lorraine	21
			au Roi Stanislas.	
	Décembre.	13.	Acte, signé à Vienne, pour la cession de la Lorraine au	21
			Roi Stanislas et à la France.	
1738	Novembre.	18.	Traité définitif de paix, signé à Vienne.	21
1756	Mai.....	1.	Traité de neutralité et d'alliance, signés à Versailles.	79
1757	Septembre.	22.	Traité de subsides, conclu à Versailles.	79
1758	Décembre.	30.	Traité d'alliance offensive et défensive, conclu à Ver-	79
			sailles.	

De Clerq : Recueil des traités de la France

3e. vol.

RECUEIL
DES
TRAITÉS DE LA FRANCE

PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES
DE S. EX. M. DROUYN DE LHUYS
MINISTRE DES AFFAIRES ÉTRANGÈRES

PAR
M. DE CLERCQ
Ministre Plénipotentiaire.

TOME PREMIER
1713-1802

PARIS
AMYOT, ÉDITEUR DES ARCHIVES DIPLOMATIQUES
8, RUE DE LA PAIX, 8.

—
MDCCCLXIV

وقد عد هذا التجديد للمعاهدات السابقة معاهدة بذاتها في جميع السجلات الفرنسية وغيرها للمعاهدات الدولية .

وهنا يبدأ فصل جديد في العلاقات بين الجزائر وفرنسا ،
بدأ خصبا مثمرا ، وانتهى بالقحط والخراب !

لقد كنا توقفنا ، عند الاستعراض الخاطف للمساعدات العسكرية ، بل والإنجازات الحربية لفرنسا من طرف الجزائر ، وعملية « إنقاذها من الخراب والتفتت » ، لدى طلب لويس الرابع عشر المساعدة من الداي شعبان سنة 1689 .

ونود الآن أن نذكر نبذا ذات دلالة عن أربعة أنواع أخرى من المساعدات التي قدمتها الجزائر لفرنسا في ظروف الشدة أيضا ، بل وفي أحلك ظروفها : أثناء الثورة الفرنسية والجمهورية الفرنسية الأولى .

هذه المساعدات الجزائرية لفرنسا هي :

- 1) المساعدة الدبلوماسية ،
- 2) المساعدة بالمواد الاستراتيجية العسكرية والحربية ،
- 3) المساعدة الاقتصادية ،
- 4) المساعدة المالية .

كما سنرى ذلك مدعما ليس فقط بفقرات مأخوذة من كتب المؤرخين فرنسيين ، بل وأيضا بنصوص من المعاهدات ، ورسائل من قادة الثورة الفرنسية أنفسهم والجمهورية الفرنسية الأولى .

1) فالمساعدات الدبلوماسية تتمثل هي نفسها في ثلاثة أصناف :

أ) الاعتراف بالجمهورية الفرنسية الأولى برسالة من الداي حسن يوم 20 مايو 1793 ، بمجرد أن سلم سفير الجمهورية الفرنسية

فى الجزائر رسالة بذلك من قادتها (141) إلى الداي فى الجزائر بعد إعلانها ببضعة أشهر فقط . وكان اعتراف الجزائر (142) بالجمهورية الفرنسية الأولى أول اعتراف على الإطلاق يأتيها من العالم ، إذ كانت أول جمهورية فى أوروبا التى كان يسود فيها النظام الملكى ، والقيصرى ، والأمبراطورى ، وقد تجسمت فيما سعى بالتكتلات السبعة تلك المعارضة الأوروبية الموحدة (les sept coalitions) ضد الجمهورية الفرنسية ، واستمرت حتى بعد تتويج نابليون نفسه قيصرًا . وقد امتدت تلك التكتلات أكثر من عشرين سنة ، بدأت سنة 1793 ، بعد إعلان الجمهورية الفرنسية ، ولم تنته إلا بسقوط نابليون للمرة الثانية والنهائية سنة 1815 .

وقد كانت الدولة العثمانية طرفًا فى بعض هذه التكتلات ، وطبعها ، كخلافة وراثية – أى نظام ملكى هى أيضا – جعلها فى صف الملوك ضد هذه « البدعة » : الجمهورية ، ولكن الجزائر – كجمهورية – سارعت إلى الاعتراف بهذه الجمهورية الجديدة والأولى فى أوروبا .

وقد كانت مقدمة رسالة الاعتراف من الداي حسن آية فى براعة الاستهلال . والرسالة كلها نموذج مثالى للدبلوماسية العليا فى مبنائها ومعناها . هذا فى الترجمة الفرنسية . فلا شك أنها فى أصلها كانت أبلغ ، وأروع ، وأجزل .

(141) انظر الشكل السابق رقم : 126 .

(142) انظر الشكل السابق رقم : 127 أ ، 127 ب ، 127 ج ، 127 د .

وليتأمل القارئ الكريم جيدا مصادقة الداي حسن بتاريخ 9 شوال 1207 هـ (20 مايو 1793 م) ، وفيها ذكر أن ذلك تم بطلب من القنصل الفرنسى ، الذى سلمه رسالة المجلس التنفيذى المؤقت للجمهورية الفرنسية . إذ ذاك كانت الجزائر هى التى تعترف بالناس، أو لا تعترف ! والنص مأخوذ من :
De Martens : ibid, t. VI, doc. : 49, p. 316.

ب) الصنف الثاني من هذه المساعدة الدبلوماسية الجزائرية لفرنسا يتمثل في تجديد صلاحية جميع المعاهدات الجزائرية الفرنسية ، المنعقدة قبل الثورة ، واعتبارها سارية المفعول لفائدة الجمهورية الفرنسية الفتية ، بناء على طلبها الكتابي الذي قدمه سفيرها للدائ حسن والذي يخوله فيه قادتها التكلم باسمها . (143)

ج) الصنف الثالث من هذا الدعم الدبلوماسي هو الوقوف العلني من الجمهورية الجزائرية إلى جنب الجمهورية الفرنسية ضد العالم أجمع ، وفك العزلة السياسية عنها ، مشجعة ، ومساندة ، ومعززة .

وقد قدر قادة الجمهورية الفرنسية ذلك الموقف الجزائري حق قدره في رسائلهم إلى الداي ، كما يرى القارئ ذلك من النماذج التي نعرضها هنا ، متتابة ، كمجرد عينات ، من رسائلهم إلى « سيدى حسن ، داي الجزائر ، الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية » .

(« A Sidi Hassan, Dey d'Alger, Ancien Ami et Allié de la nation française ») (144).

2) وكما ساعدت الجزائر فرنسا في المجال الدبلوماسي ، بالاعتراف بها ، وبتجديد المعاهدات السابقة لصالحها ، لفك

(143) انظر الشكل السابق رقم : 126 .

(144) الأشكال ، بالأرقام الآتية ، متتابة ، وهي من صور صفحات الرسائل التي أرسلها قادة الجمهورية الفرنسية إلى الداي حسن . وقد يلاحظ القارئ أنها كانت توجه أحيانا باسم القيادة الفرنسية المشتركة وبأسماء جميع أعضائها ، وأحيانا أخرى باسم وزير من وزرائها . وهذا الترتيب الأخير تقرر بقانون ابتداء من 15 أوت 1792 ، يقضى بأن يتراأس المجلس التنفيذي المؤقت للثورة الفرنسية أحد الوزراء ، بالتناوب ، أسبوعا بآخر ، وهكذا دواليك . انظر هامش الرسالة المؤرخة في 03 مايو 1793 ، في الصفحة 435 من صور الرسائل المرفقة ، وهي في الشكل السابق رقم 126 .

العزلة السياسية التي اتفقت عليها أوروبا ضدها بالتكتلات السبعة، فقد أنجدها أيضا في المجال المالي ، والاقتصادي ، والعسكري ، لخرق الحصار الشامل الذي ضربته أوروبا حولها لقهرها ، ولتخطيم المقاطعة الاقتصادية التي شنتها عليها لخنقها .

وبفضل ذلك الخرق للحصار وجدت الجمهورية الفرنسية الفتية ، الغضة ، المزعزعة ، المهزوزة ، المهددة في حياتها ، متنفسا ، ومددا ، وسندا لدى الجمهورية الجزائرية القوية ، الأثيلة ، الأصيلة التقاليد ، والعتيدة القواعد ، المتينة البنيان ، الوطنية الأركان ، ذات الهيبة الدولية .

وقد كانت تلك المساعدة متنوعة : مالية ، واقتصادية ، وعسكرية استراتيجية .

أ) فالمالية الاقتصادية تتمثل في قرض من الداي حسن سنة 1793 لحكومة الجمهورية الفرنسية لتشتري به قمحا في الجزائر ، وهو ما يسمى اليوم بقرض الاستيراد (إلى فرنسا) ، أو للتصدير (من الجزائر) (crédit fournisseur) أو قرض حكومي (crédit gouvernemental).

وتمهيدا للعديد من الرسائل من قادة الجمهورية الفرنسية إلى داي الجزائر بخصوص هذه المساعدات ... والشكر عليها ... وبعد الحصول على الاعتراف الدبلوماسي ، وتجديد المعاهدات ، نجدهم يبعثون برسالة إلى الداي حسن بحجة إعلامه بتغيير العلم الفرنسي ، ليؤكدوا اهتمامهم بالعلاقات مع الجزائر ، وحرصهم عليها ، « هذه العلاقات التي ظلت موجودة ، **لحسن الحظ** ، علاقات الصداقة والمصلحة » ، « والمعاهدات التي تصل ، **لحسن الحظ** ، (مرة أخرى) بين الدولتين والتي نتمنى لها ، بقصد تحقيق الازدهار المشترك ، الدوام الأبدى » . (145)

(145) انظر الشكل رقم : 128 .

LE CITOYEN DEFORGUES, MINISTRE DES AFFAIRES ÉTRANGÈRES¹,
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER.

Paris, la 10 germinal an II (28 mars 1794).

Très illustre et magnifique Seigneur,

Les représentants de la nation française ayant résolu de changer le pavillon français, j'ai été chargé par le Gouvernement de la République de te faire part de ce changement, afin de prévenir toute méprise entre les navires de la Régence d'Alger et ceux de la nation française qui paraîtront bientôt sous ce nouveau pavillon².

L'agent de la République auprès de toi³ te communiquera la loi qui a été rendue à ce sujet⁴, avec les motifs qui l'ont déterminée, et te remettra en même temps une planche coloriée qui t'indiquera avec précision la forme du nouveau pavillon et la nouvelle disposition de ses couleurs. D'après les relations d'intérêt et d'amitié qui subsistent heureusement entre la République française et la Régence d'Alger, j'espère que tu voudras bien prescrire aux Commandants de tes ports et de tes navires de respecter en tous lieux notre nouveau pavillon, et de ne porter aucun préjudice aux bâtiments français qui paraîtront dans peu sous ce nouveau signe de notre régénération politique. Tu peux compter de notre part sur la plus parfaite réciprocité. Cette innovation, devenue nécessaire, ne peut faire aucun changement dans les traités qui unissent si heureusement les deux États et dont, pour leur prospérité commune, je désire l'éternelle durée.

DEFORGUES.

1. Les Consuls avaient été rattachés au Ministère des Affaires étrangères par un décret de la Convention du 14 février 1792. François-Louis-Michel Chemin Deforgues, mis à la tête de ce Département à la mort de Lebrun, occupa son poste du 21 juin 1793 au 2 avril 1794, et se trouva par suite appelé à correspondre avec le Dey. Il avait été auparavant Chef de bureau de la Commune, membre du Comité des massacres de septembre, Secrétaire général du Comité de salut public et adjoint au Ministre de la guerre. — La veille de son arrestation, le 12 germinal an II (1^{er} avril), un décret de la Convention supprima le Conseil exécutif provisoire et le remplaça par 12 commissions. Deforgues fut donc pendant un jour le premier Commissaire des relations extérieures; il eut pour successeurs dans ces fonctions Goujon, puis Hermann, Buchot, Miot et Colchen, jusqu'à la Constitution de l'an III.

2. Voy. *Lettre du citoyen Deforgues au citoyen Vallière*, le 16 nivôse an II. « Le pavillon décrété par l'Assemblée nationale ressemble à la constitution qu'elle nous avait donnée : les couleurs nationales étaient reléguées dans un coin du pavillon comme si on les y avait ajoutées à regret. La couleur de la royauté y prédominait, comme ses prérogatives prédominaient dans la Constitution. Aujourd'hui les couleurs du peuple doivent couvrir toute la surface du pavillon, comme sa souveraineté couvre toute la surface de la République, et rien ne doit retracer d'anciennes idées lorsqu'elles ont disparu de l'esprit de tous les Français. »

3. Vallière.

4. Décret de la Convention nationale du 27 pluviôse an II. « Le pavillon national sera formé des trois couleurs nationales disposées en trois bandes égales, posées verticalement, de manière que le bleu soit attaché à la gable, le blanc au milieu, et le rouge flottant dans les ailes » (art. 2).

ثم تتلوها مباشرة رسالة أخرى منهم إلى «سيدى حسن (I46) ،
داى الجزائر ، الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية » ،
يشكرونه فيها على « الاستعداد الطيب نحو الأمة الفرنسية فى
عدة مناسبات ، والتسهيلات » التى منحهم إياها لاستيراد القمح
من الجزائر ، وعلى « القرض الذى قدمته لنا لهذا الغرض » .

ويختتمون الرسالة بالملاحظة :

« إنه لمن خواص القلوب الكريمة ، مثل قلبك ، أن تهتم
بالقضية (الثورية الفرنسية) التى يساندها العقل ، والعدل ،
والمجد ...

« وإننا لمعتزون ب صداقتك ، وحريصون على الحفاظ عليها ،
وعلى إعطائك براهين على صداقتنا ، ونرجو أن تكون هذه
الصداقة بيننا أبدية » . (I47)

ثم رسالة أخرى منهم إلى « سيدى حسن ، الصديق الحليف
القديم للأمة الفرنسية » ، يعلمونه فيها بإرسال مبعوث خاص
إليه ، ويرجون منه « حسن استقباله كمبعوث للجمهورية
الفرنسية والاستماع إليه » .

« وإن المعاهدات الموجودة بيننا ، والاهتمام الذى توليه (I48)
انتصاراتنا ... والتسهيلات التى قدمتها فى عدة مناسبات

(I46) وقد كانت كلمة « سيدى » إذ ذاك لها معنى غير معنى اليوم فى اللغة
الفرنسية !

(I47) أنظر الشكل رقم : 129 أ و 129 ب .

(I48) ألغت الثورة الفرنسية صيغة المخاطبة بالجمع للمفرد المعمول بها حتى
ذلك الوقت على سبيل التأدب ، كما ألغت صيغة « السيد » ، Monsieur ،
فعوضتها بالمواطن citoyen ، بالنسبة للجميع ، حتى للملوك
والأباطرة .

LE CITOYEN BUCHOT, COMMISSAIRE DES RELATIONS EXTÉRIEURES ¹,
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, le 11 fructidor an II (28 août 1794).

Très illustre et magnifique Seigneur,

Le Consul Valière, que la République française entretient auprès de toi, nous a rendu compte en différentes occasions des dispositions amicales que tu as montrées envers la nation française. C'est ainsi que nous avons appris les facilités que tu as accordées à nos bâtiments pour l'extraction des blés de ton pays, et le prêt que tu nous as avancé pour cet objet ². Nous avons été également informé des ordres que tu as donnés pour faire respecter par tes marins le nouveau pavillon national ³. Le Gouvernement de la République en a ressenti une grande satisfaction, et il se propose de t'en témoigner sa reconnaissance par une amitié inaltérable et par tous les services que tu le mettras dans le cas et que les circonstances lui permettront de te rendre. Pour t'en donner une preuve, les Représentants du peuple composant le Comité de salut public n'ont pas plus tôt été informés que tu désirais qu'il y eût à l'avenir des paquebots établis entre la France et Alger, qu'ils se sont empressés de prendre un arrêté conforme à ta demande ⁴, et dans peu de temps cet établissement sera formé pour l'utilité réciproque des deux pays.

Mais pour tirer un avantage réel de cet établissement, que nous avons un intérêt commun à voir réussir, il est nécessaire de prendre tous les moyens pour le garantir contre la malveillance des ennemis de la République. Nous comptons à cet égard sur tes bons offices, et nous ne doutons pas que tu ne t'empresses de faciliter, par tous les moyens qui sont en ton pouvoir, l'exécution d'un projet dont tu as conçu la première idée.

Ce qui nous fait le plus de plaisir dans la proposition que tu nous as faite, c'est de voir que le motif principal qui t'y a engagé est aussi honorable pour nous que pour toi, et qu'en t'adressant à notre Consul pour savoir la vérité touchant la grande et glorieuse guerre que nous faisons à l'Europe, tu nous as rendu la justice que nous méritons. Ce n'est sûrement pas par le canal de nos lâches et cruels ennemis que la vérité pourra te parvenir. Après nous avoir déclaré une guerre injuste, attaqué

notre indépendance, acheté nos villes par la trahison, fomenté des rebellions, violé le droit des gens, ils ne peuvent que mentir, puisqu'ils sont déjà déshonorés. La vérité sortira de la bouche de ceux qui, au milieu de tant d'ennemis, ont su résister à tous, les ont chassés du territoire de la République qu'ils avaient souillé et les ont poursuivis jusque dans leur. Les Pyrénées et les Alpes, la Belgique et le Rhin attestent l'héroïsme et les triomphes des défenseurs de la liberté et la honte de leurs ennemis¹.

Il appartenait à des cœurs généreux comme le tien de s'intéresser en faveur de la cause qui a pour elle la raison, la justice et la gloire. Aussi sommes-nous flatté de ton amitié, jaloux de la conserver et de te donner des preuves de la nôtre. Nous désirons qu'elle soit éternelle.

BUCHOT.

1. Philibert Buchot, ancien maître d'école, puis avocat, juge au tribunal de Lons-le-Saunier, procureur général syndic du département du Jura, substitut de l'agent national Payan, Commissaire des relations extérieures du 20 germinal an II au 30 brumaire an III. Après sa destitution, il devint commis de l'octroi et enfin recenseur des ports.

2. Un décret de l'Assemblée nationale, du 9 mars 1792, avait mis dix millions à la disposition du Ministre de l'Intérieur pour être employés en achats de grains, nécessaires à un grand nombre de nos départements. Le Conseil exécutif du Directoire et le Comité d'approvisionnement de Marseille avaient donné l'ordre à Vallière de négocier avec les Algériens « la plus grande traite possible de denrées »; et Hassan lui avait prêté, de la meilleure grâce du monde, 50 000 p. (250 000 f.) pour solder ses premiers achats à Bône et à Constantine. « Ce prêt, écrivit le

Consul, les bonnes dispositions du Dey, le service essentiel qu'il travaille à nous rendre, l'intérêt qu'il prend à la République sont des titres sacrés à notre attachement et à notre reconnaissance que tu auras faire apprécier, citoyen Ministre de la République. Le Consul d'Angleterre a prié ce Souverain de ne nous fournir aucun secours, mais le Dey lui a répondu en homme maître de son pays et fidèle à ses amis. » Voy. *Lettre du citoyen Vallière au citoyen Deforgues*, le 10 pluviôse an II.

3. Le Dey avait remis deux passeports au Consul, pour donner plus de sécurité à nos transports de grains, et Vallière avait cru ne pouvoir mieux les confier qu'à la Compagnie d'Afrique. Voy. *Lettre du citoyen Vallière au citoyen Deforgues*, thermidor an II.

4. Voy. *Lettre du citoyen Vallière au citoyen Buchot*, le 15 messidor an II.

لجيشنا تجعلنا حريصين على زيادة توطيد العلاقات الودية
السائدة بيننا ... الخ » . (149)

وندرج هنا جوابا من الدائ حسن على رسالة قادة الجمهورية
الفرنسية الخاصة بالقرض ، والقمح ، والمساعدة العسكرية
للجيش الفرنسى (بالجلود ، والحبوب وغيرها) . يعرض فيها
عليهم مساعدات إضافية ... « بالمواد الغذائية ، والخيول
الجيدة ، والحبوب ، ومواد استهلاكية أخرى من جميع الأصناف ...
لأننا نحس أنكم فى حربكم العامة ، ضد هذا العدد الكبير من
الدول الأوروبية ، من المستحيل ألا تتجاهكم صعوبات فى التزود
بالمواد ذات الضرورة الأولى .

« وإن سفراء الدول ، التى أنتم ضدها فى حرب ، المقيمين
لدينا ، لا يفتأون ، تحت قناع الصداقة ، يلحون علينا فى أن
نعلن ضدكم حربا ... ولكننا جيرانكم وأصدقاؤكم القدماء
الأوفياء ... الخ » . (150)

ويأتى الجواب بسرعة متحمسا من قادة الجمهورية الفرنسية
يشكرونه فيه بحرارة على هذا العرض الخاص « بالخيول الجيدة
والمواد الاستهلاكية » :

« وإن الجمهورية لسوف تتذكر دوما هذه المساعدات التى
تلقتها من أصدقائها وحلفائها فى هذه الظروف العصيبة ... » (151)
وقد عقدت بين الجمهورية الجزائرية والجمهورية الفرنسية ،
ثم مع نابليون بعدها ، كقنصل أول لها ، ثم كأمبراطور ، ثم مع

(149) انظر الشكل رقم : 130 .

ويلاحظ القارئ أن الإضاء ، هذه المرة ، كان من مجموع أعضاء المجلس
الأعلى للجمهورية .

(150) انظر الشكل رقم : 131 أ ، 131 ب ، 131 ج .

(151) انظر الشكل رقم : 132 أ ، 132 ب .

LES REPRÉSENTANTS DU PEUPLE
COMPOSANT LE COMITÉ DE SALUT PUBLIC DE LA CONVENTION NATIONALE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, le 24 vendémiaire an III (15 octobre 1794).

Illustre et magnifique Seigneur,

Le citoyen Herculaïs, Chef de brigade au service de la République, chargé de différentes missions auprès des Régences musulmanes de l'Afrique, se rend auprès de ta personne pour te porter les assurances de notre amitié, et pour réclamer ton assistance et tes bons offices dans les différentes opérations que nous avons confiées à ses soins². Nous te prions de l'accueillir

favorablement comme Envoyé de la République française, et d'écouter les propositions qu'il sera dans le cas de te faire de notre part. Le Commissaire de nos relations extérieures a déjà saisi une occasion pour t'exprimer les sentiments de plaisir et d'amitié que ta conduite bienveillante a inspirés au Gouvernement de la République¹. La fidélité avec laquelle tu as observé

J. (C) les traités qui nous unissent, l'intérêt que tu portes à nos victoires et à nos glorieuses destinées, les facilités qu'en différentes occasions tu as accordées à notre armée ne nous laissent que le désir de voir se consolider de plus en plus les relations amicales qui subsistent entre nous. Nous espérons de notre côté que tu seras satisfait des témoignages de bienveillance que le citoyen Herculaïs est chargé de te porter, et que sa mission même servira à resserrer davantage les liens qui nous unissent. Le séjour qu'il a fait autrefois sur les côtes d'Afrique lui a donné le moyen de connaître les intérêts réciproques de nos deux nations, et l'a mis à portée de se pénétrer d'une haute estime pour ta personne. Il jouit d'ailleurs de notre confiance entière, et c'est sous tous ces rapports qu'il nous paraît également digne de la tienne.

Puisse notre amitié être réelle!

TREILHARD,
RICHARD,
MERLIN,
DELMAS.

Alger, le 16 octobre 1794.

(Sceau)

HASSAN,
Dey et Gouverneur d'Alger d'Afrique.

La lettre qui suit est une dépêche amicale adressée au Vizir de la République du peuple français par Son Excellence le très fortuné Hassan Pacha, Gouverneur des pays d'Alger en Afrique, lo glorieux Conseiller et le très honorable Administrateur qui modère par son génie bienfaisant les affaires de la Régence, et termine avec la plus grande prévoyance les négociations générales. — Que Dieu bénisse ses intentions! — lequel n'est cependant que la poussière des pieds du coursier victorieux de Sa Hautesse le Sultan, fils de Sultan, Sélim, fils du Sultan Mustapha, le possesseur des Empires, le conquérant de l'Arabie et de la Perse, le Souverain arbitre de la vie de ses sujets, le Maître des deux continents, l'Empereur des deux mers, l'élite des rejetons de la famille ottomane, le destructeur de l'oppression et de la tyrannie. — Que Dieu perpétue son règne et sa félicité jusqu'à la consommation des siècles! — 444

Très estimable, fidèle et sincère ami, glorieux Vizir, après nous être informé de votre santé, nous vous faisons savoir que votre lettre, datée du 11 fructidor, nous est parvenue il y a dix jours, et nous a été lue d'un bout à l'autre par votre Consul Yallière, qui réside auprès de nous.

Cet officier vous avait écrit qu'il n'avait qu'à se louer de nos procédés à son égard et de notre conduite envers la nation française, et vous nous en témoignez votre satisfaction. Il s'en faut cependant de beaucoup que nous vous ayons rendu autant de services que nous l'eussions désiré. Notre espoir est qu'il se présentera par la suite plus d'occasions de vous obliger. Notre amitié est si ancienne et si bien cimentée qu'il ne surviendra jamais aucun acte qui puisse l'altérer. Nous ne nous refuserons à aucune des demandes de la République, si elle en a quelqu'une à former auprès de notre Régence et si l'objet désiré est en notre pouvoir. Des vivres et de bons chevaux : voilà nos principales productions. C'est au besoin qu'un véritable ami doit se faire connaître. Voilà nos principes. Nous sommes disposé à vous donner des grains, des comestibles de toute espèce, en un mot tout ce que vous nous demanderez, parce que nous sentons que dans la guerre générale que vous avez à soutenir contre tant de Puissances de l'Europe, il est impossible que vous n'éprouviez de la difficulté à vous procurer des subsistances et d'autres objets de première nécessité. C'est dans de semblables circonstances que nous devons déployer toute la magnani-

mité de notre caractère et l'étendue de nos sentiments. Nous pouvons vous donner ici une preuve incontestable de la solidité de ces sentiments. Les agents des Puissances belligérantes qui résident auprès de nous, se couvrant du voile de l'amitié, ne cessent de nous presser et de nous solliciter de profiter de vos embarras présents pour rompre les traités sacrés qui nous unissent à la nation française et pour lui déclarer la guerre¹, mais nous, vos fidèles et anciens amis et voisins, bien loin d'écouter ces perfides insinuations, nous écartons de notre présence quiconque ose les proférer parce que, encore une fois, c'est précisément dans les circonstances épineuses où vous vous trouvez que nous devons respecter et observer plus scrupuleusement que jamais, à votre égard, les devoirs qui nous sont imposés par le bon voisinage et par notre ancienne amitié. Nous avons appris vos victoires sur tous vos ennemis². Dieu nous est témoin de la joie que nous en avons ressentie! Daigne le Ciel nous faire, vous et nous, toujours triompher de tous ceux qui veulent troubler notre repos!

445

Vous avez marqué à votre Consul que si notre Régence avait quelque chose à demander à la République française, nous n'avions qu'à prononcer. Grâce au Très-Haut, nous n'avons aucun désir à former pour nous dans cet instant, et nous serons très empressé à profiter de vos offres, lorsque l'occasion s'en présentera. Mais, en attendant, nous vous ferons une demande qui nous est personnellement relative, que vous jugerez sans doute peu considérable, et à laquelle néanmoins nous attachons le plus haut prix. Elle vous avait été déjà présentée en notre nom par l'organe de votre Consul, et nous vous la réitérons directement et avec insistance. Le négociant Meifrund, qui a longtemps résidé à Alger et qui a rendu une infinité de services à la Régence, est notre ami particulier³. Ce fut pour toutes ces considérations que nous nous déterminâmes à vous prier, par l'entremise du sieur Vallière, de faire obtenir au dit Meifrund et à toute

1. Le Consul d'Angleterre avait reçu l'ordre de négocier, à quelque prix que ce fût, la paix de la Régence avec le Portugal, afin de rouvrir le détroit aux corsaires qui eussent contrarié la navigation des Américains, et les eussent ainsi empêchés de continuer à porter leurs grains dans nos ports. Vallière rendit cette manœuvre inutile en faisant conclure un traité entre la Régence et les États-Unis. Voy. Note de ce qu'il en coûte aux États-Unis d'Amérique pour obtenir la paix avec la Régence d'Alger, soit 897 132 p. (Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.)

2. Voy. les notes 1, p. 434 et 441.

3. Voy. la note 2, p. 441.

sa famille, qui se trouvent ici, le pardon de leurs fautes, la permission de rentrer dans leur patrie et la faculté de reprendre possession de toutes leurs propriétés, pour qu'ils pussent être remis en jouissance de tout ce qui leur appartenait et de tous leurs droits. Nous insistons encore aujourd'hui auprès de vous en faveur de Meifrund; il n'est pas de la classe des traîtres; nous en sommes sûr. Il n'y a point d'homme qui n'ait ses défauts. Nous demandons en grâce que ceux de Meifrund soient oubliés. Il mérite d'ailleurs votre estime et votre protection; c'est ce que nous vous garantissons par notre témoignage. Nous prenons nous-même soin de son existence depuis qu'il est ici. Nous avons déjà pourvu aux frais de son retour, et nous n'attendons qu'une réponse de votre part qui nous instruisse de l'accueil propice ou défavorable qui sera fait à notre demande. Son sort dépend de vous¹.

De la place bien gardée d'Alger en Afrique, le 24 de la lune de Rebi-el-ewel, l'an de l'hégire 1209.

Traduit par RUYN, Secrétaire-interprète de la Commission des relations extérieures, le 26 brumaire an III.

الشكل رقم : (131) ج

LES REPRESENTANTS DU PEUPLE
COMPOSANT LE COMITÉ DE SALUT PUBLIC DE LA CONVENTION NATIONALE
A SIDI HASSAN, DÈY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, frimaire an III (décembre 1794).

Illustre et magnifique Seigneur,

La lettre que tu as adressée en date du 24 de la lune de Rebi-el-ewel, l'an de l'hégire 1209, au Commissaire des relations extérieures de la République a été mise sous nos yeux. L'expression qu'elle contient de ton amitié pour la nation française te donne de nouveaux droits à son estime et à son affection. Ces sentiments réciproques serviront seuls de base aux transactions politiques et commerciales que le voisinage de nos pays et la nature de leurs productions doivent faire naître et rendre chaque jour plus intéressantes. Aussi la Convention nationale de France, en acceptant les offres que tu lui fais de fournir à la République des comestibles et des chevaux, donnera des ordres à ses agents afin que, dans cette négociation, il soit pris des mesures propres à concilier les intérêts respectifs des deux pays.

Nous avons vu avec satisfaction, mais sans étonnement, que la sagacité qui te distingue t'a fait facilement apercevoir les pièges des ennemis de la France et le but de leurs perfides insinuations. La victoire qui suit partout nos armées ne laisse aux vaincus que les ressources du mensonge, dernier moyen qu'emploient les lâches. Le moment n'est pas éloigné où l'augmentation des

الشكل رقم : (132) أ

forces navales de la République lui procurera des triomphes aussi éclatants sur les mers que ceux qu'elle doit à la valeur de ses armées de terre, mais, quels que soient ses succès, elle se rappellera toujours avec sensibilité les services qu'elle aura reçus, dans des temps orageux, de ses amis et de ses alliés.

Quant au négociant Meifrund, à qui tu nous demandes d'accorder la faculté de rentrer sur le territoire de la République¹, le sincère désir que nous avons de t'obliger nous fera rechercher tous les moyens de concilier ce sentiment avec le respect que nous devons à nos lois.

CAMBACÉRÈS,
DELMAS,
PRIEUR,
MERLIN.

1. Sidi Hassan attachait à l'amnistie de Meifrund une telle importance qu'il avait renvoyé au Consulat de France les cadeaux que Vallière lui avait présentés. « J'ai apporté au Dey le magnifique et rare solitaire et la superbe paire de pistolets que vous m'enjoignez de lui donner. Son premier mot a été : Tous les présents du monde me touchent peu, si tu ne viens pas m'annoncer la grâce de Meifrund. » Voy. *Lettres du citoyen Vallière au Comité de salut public*, les 12 vendémiaire, 11 prairial, 27 messidor et 21 thermidor an III. — Le Dey refusa

également un parasol à l'orientale que lui avait destiné l'Agence d'Afrique, substituée le 19 pluviôse an II à la Compagnie d'Afrique, et le Comité de salut public rendit un arrêté spécial, le 16 thermidor an III, affectant une destination différente au parasol en question.

1. Voy. p. 443.

2. Voy. la note 1, p. 441.

3. Voy. p. 445.

الشكل رقم : (132) ب

الملك لويس الثامن عشر - بعد عودة الملكية - اتفاقيات عدة بشأن تلك القروض - ولا فتكلم طبعاً عن المساعدات المجانية - التي قدمتها الجمهورية الجزائرية للجمهورية الفرنسية عند ميلادها .

فبعد تلك الوثيقة المزدوجة التي ذكرناها ، والتي علق عليها الناشر (فى هامش ص 437 بالفرنسية) بما ترجمته :

« ان هذه المصادقة على معاهداتنا السابقة (من الدائى حسن) ، يوم 20 مايو 1793 م ، تتضمن أيضا فى الوقت نفسه الاعتراف بحكومة الجمهورية الفرنسية » (152) نقول : بعد هذه الوثيقة ، التي عدت هى نفسها معاهدة ، يل أم المعاهدات ، عقدت معاهدة أخرى مع الجمهورية الفرنسية ، وهى تمثل ، فى الوقت نفسه ، البند الثالث من المساعدات الجزائرية للجمهورية الفرنسية ، بعد المساندة الدبلوماسية والعون العسكرى ، وهى :

(52) الاتفاقية الاقتصادية بتاريخ 9 مسيدور (Messidor) من العام الرابع للجمهورية الفرنسية (28 يونيو 1796 م) بين الدائى حسن وحكومة الجمهورية الفرنسية (ولم يكن هناك رئيس بعد ، بل قيادة مشتركة ، أو مجلس ثورة) ، « وهى اتفاقية قرض لتسديد الكميات الكبيرة من القمح التي اشترتها حكومة الثورة الفرنسية من الجزائر » (153) ، وهو ما يسمى اليوم - كما سبق أن قلنا -

(152) وقد أوردنا صيغتها الفرنسية فى ص 437 من صور النصوص الاصلية والمترجمة المرفقة ، وصيغتها موجودة أيضا بالفرنسية فى أهم سجلات المعاهدات الدولية ، مثل :

(Recueil des principaux traités internationaux)

De Clerq : ibid, t. I, p. 224.

De Martens : ibid, supp. t. VI, doc. 49, p. 316.

Titot : Recueil des traités, n° 1490.

Le Moniteur (Journal), Paris, 1793, n° 169, P.I., p. 205.

(153) Egretaud : ibid, p. 48.

القرض الحكومى ، أو قرض الاستيراد : (crédit gouvernemental) ،
أو (crédit fournisseur).

وكانت فرنسا تعاني إذ ذاك ضائقة مالية . أو العجز المالى ،
وتجتاحتها ، « فى أغلب ولاياتها » ، مجاعة . وأصابها قحط ،
بالعربى الفصيح الحديث ، أو عام الشر . بالتمبير الدارج ،
ولكنها كانت بالجمع : أعوام الشر ، وليست بالفرء : عام الشر!

وهذا ما عبر عنه الشاعر الكبير الفقيه مندى زكريا فى
الإلياذة الخالدة ، إلياذة الجزائر ، (وهو صاحب الأناشيد : « من
جبالنا » ، و « فداء الجزائر » ، و « قسما ») . إذ يقول :

وجاعت فرنسا فكنا كراما

وكنا الأنى يطعمون الطعاما (154)

وقرض آخر ، مالى بحت ، نقدا . مبلغه خمسة ملايين من
الفرنكات الذهبية ، بقيمة ذلك الوقت ... أى آلاف الملايير
بعملة اليوم ! وهذا القرض بدون فائدة !

ومواد غذائية متنوعة ، وتجهيزات مختلفة : جلود ، صوف ،
وخيل جيدة للجيش الفرنسى أيضا ، وهى شاحنات ودبابات
ذلك العصر !

وقد يظن القارئ الكريم أننى أطلقت العنان لمخيلتى ...
« الخصبة » ، واسترسلت فى تحمس واندفاع تصور ما لم
يحدث ، وتمنيت أن يكون قد حدث !

(154) انظر الشكل رقم : 133 .

والإلياذة بكاملها تراجع فى الجزء الأول من كتاب المتنقى السادس للفكر
الإسلامى ، نشر وزارة التعليم الأصلى والشؤون الدينية ، وطبع مطبعة
البعث ، قسنطينة ، 1972 م .

وَجَاعَتْ فرنسا... فكنا كراما وكنا الألى يُطعمون العلماء!
فأبطلهم قمحا الذهبي. وكم تبطل الصدقات النماما
وَبَاعَتْ فرنسا ضمير اليهود. فباع ضمير اليهود الذماما
وَمَا كَانَ بوشناقُ إلا ابن أوى وما كان بوخريص إلا طغاما
وَعَرَبَ شارلُ المريضُ فرنسا فثار بها الشعبُ يغلي انتقاما
وَضَاقَ الفرنسيُّ بالعاطلين وما ذاق شارلُ المريضُ النماما
وَأَوْحَى لَهُ قَمَحًا غَزَوْنَا فأطلق هذي القموح سهامها
وَصَبَّ النفاياتِ فِي أرضنا وَخَانَ المسيحَ، وأغرى السواما
وَمَرُوحَةُ الداي لم تَلُ إِلَّا كما يستبيح اللصوصُ الحراما
أبوتان... هل سيدي فرج وإن طال ليل... أقر النظاما؟؟

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا
بشعر نرتله كالصَّلَاةِ
لتأبى به من خنايا الجزائر

-
- (1) قصة الديون المترتبة على فرنسا من أجل سديده نعم القمح معروفة ، فضلا عن ديون أخرى نقداً .
(2) اشتركت خزينة الدولة مع بعض التجار، كاليهوديين بوشناق وبوخريص في تمويل تلك العملية الإنقاذية وكان اليهوديان عميلين لفرنسا .
(3) ولف شارل العاشر ملك فرنسا، يقول في خطاب العرض يوم 2 مارس 1830 م ما نصه : « إن العمل الذي سأقوم به لترغية شرف فرنسا سيكون بإعانة الله القدير لعائده المسيحية جميعا . »
(4) حديث المروحة معروف .
(5) بوتان الجاسوس الفرنسي الذي رسم خطه الهجوم من نجر سدي فرج بأمر من نابليون بونابارت في يوليو 1808، وقد انتفع الجيش الفرنسي بذلك الرسوم عند حمله على الجزائر سنة 1830 .

لا ! أبدا ! فبعد رسائل قادة الجمهورية الفرنسية - عرضت بعضها وسأعرض أخرى - ، ها هي بضع فقرات من رسائل السفير الفرنسى إذ ذاك فى الجزائر ، فالير ، ومن كتب مؤرخين فرنسيين ، وفرنسيين فحسب فى هذه النقطة بالذات :

يقول دوغرامون ، رواية عن تقارير فالير ، الذى كان القنصل العام الفرنسى فى الجزائر إذ ذاك ، ومحافظ العلاقات الاقتصادية الفرنسية ، والمستشار للملك ، سابقا ، أى على الأقل بدرجة وزير مقيم بالجزائر ! :

« لقد علمت ، وملئى السخط الشديد ، أن الأنكليز (وأنكلترا كانت إحدى الدول الأعضاء فى الكتل السبع ضد الثورة الفرنسية) قد تجاسروا إلى حد الطلب من الداي بأن يمنع عنا كل إسعاف (tout secours) ، ليجعلونا نموت جوعا . (« nous refuser tout secours pour nous laisser périr par la famine »)
« ولكن الداي أجابهم ، كسيد بلاده ، وكصديق للفرنسيين .
« ثم قام القنصل الأنكليزى بمحاولة جديدة لم تكن أنجح من الأولى .

« وإنى لأكل إليك مهمة إطلاع الجمهورية وأبنائها على سلوك الداي نحوهم فى هذه المناسبة . وإن الظروف لتضاعف من قيمة موقفه هذا معنا عشر مرات » . (155)

وعن هذا القرض الحكومى (لشراء القمح) ، وتلك القروض العينية (النقدية) ، نجد عند مؤرخين فرنسيين وغيرهم ألفاظا وصيغا متعددة ، ولكنها تؤدى كلها نفس المعنى : فنجد كلمة « قحط » (« disette ») عند كل من المؤرخ الفرنسى المعاصر إيغروطو الذى يقول :

(155) De Grammont : ibid, p. 348-349.

« بل وقد منح الداي الجمهورية الفرنسية ، أثناء حروب الثورة ، قروضا بدون فائدة ، في الوقت الذي كان يزودها أيضا بالحبوب ، مما أنقذها من القحط (disette) » (156) .

ومؤرخ فرنسي ثان هو غارو ، الذي يقول (157) :

« وقد أصدر الدريكتوار (المجلس الأعلى للثورة الفرنسية المتكون من خمسة أعضاء يعينون الحكومة ، وقواد الجيش ، الخ) أمرا إلى القنصل الفرنسي العام بالجزائر ، فالير ، بأن يتفاوض مع الجزائريين على أكبر كمية ممكنة من الحبوب ، حيث إن عددا كبيرا من المقاطعات (الولايات) كانت تعاني القحط (disette) ، والحكومة تعاني عجزا ماليا (en court d'argent) لتسديد مبلغ مشتريات القمح السابقة ؛ كما أرسل إلى الجزائر المسمى هركولي (Herculais) مبعوثا خاصا بمهمة الحصول من الداي على قرض يبلغه خمسة ملايين من الفرنكات » . (158)

ومؤرخ فرنسي ثالث هو باردون الذي يكتب :

« كانت الجزائر أرسلت بكميات معتبرة من الحبوب لفرنسا ، التي كانت تعاني القحط (disette) .

« وقد توقف تسديد ديون القمح لنضوب الخزينة » :
(159). (épuiement du trésor)

ومؤرخ فرنسي رابع ، دي غرامون ، يقول :

« وكانت فرنسا تعاني عجزا ماليا (pénurie de finances) لم يكن يسمح لها بتسديد ديونها نحو الجزائر » . (160)

(156) Egretaud : ibid, p. 42.

(157) Garrot : ibid, p. 598.

(158) انظر الشكل رقم : 134 و 139

(159) Xavier Bardou : ibid, p. 139.

(160) De Grammont : ibid, p. 354

dû leur salut qu'à l'intervention des milices locales accourues à leur secours. Les navires algériens renfloués et réparés par les soins de la marine française, avaient été renvoyés à Alger, où ils arrivaient le 7 mai 1793, convoyés par une division de trois vaisseaux, placée sous le commandement du capitaine Rondeau. Leurs équipages, au nombre de trois cent dix hommes, étaient rapatriés le 13 juin suivant, sur la frégate la « Vestale », commandée par M. Gavoty.

Cette marque de générosité de la part du gouvernement de la République française, avait produit à Alger une grande impression. Le dey, les membres du divan, témoignant de leur joie de voir le nouvel état de choses en France, le consul Vallière profitait de ces bonnes dispositions pour entretenir avec les Puissances les meilleures relations.

Acquisitions de grains pour le compte du Directoire. —

Les consuls étaient rattachés au ministère des affaires étrangères depuis le 14 février 1792. Le 14 mars suivant, un décret de l'assemblée nationale avait mis dix millions à la disposition du ministre de l'intérieur, pour être employés en achats de grains, nécessaires à un grand nombre de départements souffrant de la disette. Le conseil exécutif du Directoire et le comité d'approvisionnement de Marseille avaient donné l'ordre au consul Vallière de négocier avec les Algériens « la plus grande traite possible de denrées ». Le dey Hassan, sympathique au nouveau gouvernement de la France, avait prêté en 1793 au consul de la meilleure grâce du monde, et sans qu'il soit spécifié d'intérêts, le prêt à intérêts étant formellement interdit aux musulmans, la somme de deux cent cinquante mille francs pour solder ses premiers achats à Bône et à Constantine, régions où la récolte était alors en abondance. » Ce prêt

« écrivait le consul au ministre de l'intérieur, démontre
« les bonnes dispositions du dey. Le service essentiel qu'il
« travaille à nous rendre ; l'intérêt qu'il porte à la République,
« que, sont des titres sacrés à notre attachement et à
« notre reconnaissance que tu sauras faire apprécier, citoyen
« ministre de la République. Le consul d'Angleterre
« a prié ce souverain de ne nous fournir aucun secours
« mais le dey lui a répondu en homme maître de son pays
« et fidèle à ses amis. »

L'année suivante, le dey d'Alger offrait encore à la France

(بقیہ الرسالة فی ص 149 الشكل رقم 139)

ومؤرخ فرنسى خامس ، بلانطى ، يقول :

« وفعلًا ، فبينما كانت حكومة الجمهورية الأولى فى حالة حرب مع أوروبا كلها تقريبا ، وجدت فى داي الجزائر صديقا كريما وحليفا وفيا .

« ... وكانت ظروفنا تلزمنا بأن نعامل الجزائريين بالحسنى ، ليس فقط لضمان حمايتهم ملاحتنا فى البحر الأبيض المتوسط ، بل أيضا لتزويدهم بإيانا بالحبوب والجلود الضرورية لجيشنا. (I61) »
« ... وها هو سيدى حسن (الداي حسن) يتجاوز هذا ، ويعطينا أكثر : فيقدم لنا تسبيقا أوليا قدره خمسون ومئتا ألف فرنك ، بدون فائدة ، لتسديد مشترياتنا من الحبوب فى عنابة وقسنطينة ؛ ويعطى قنصلنا جوازات سفر لسفنا ، ويسمح لبحارتنا بالتزود فى جميع مراسيه ...

« بل ويرفض الهدايا التى قدمها له قنصلنا ، ويعطينا زيادة على ذلك ، قرضا بمليون لمدة عامين ، وبدون فائدة ... » . (I62)
ونجد مؤرخا فرنسيا سادسا : كاط (I63) ، يكتب حول الموضوع ، متجاوزا المبلغ الذى حددده السابق ذكرهم من المؤرخين ، ورافعا إياه إلى خمسة ملايين من الفرنكات (هذا قرض عينى ، أى نقدى ، زيادة عن القرض الحكومى المخصص لشراء القمح) ، فيقول (I64) :

« ولقد أبدى (الداي حسن) استعدادا طيبا نحو فرنسا . وعندما اندلعت ثورة 1789 م ، رفض أن ينضم إلى أعدائنا ، وقاوم جميع مناورات الأنكليز فى هذا الاتجاه . بل وقد سهل

(161) Plantet : ibid, p. 29.

(162) انظر الشكل رقم : 135 .

(163) E. Cat : ibid, t. 1, p. 328.

(164) انظر الشكل رقم : 136 .

seulement en raison de notre navigation méditerranéenne, mais encore de l'approvisionnement des bles et des céréales nécessaires à nos armées, et voilà que Sidi Hassan va au-devant de nos désirs. Il demande à Vallière de quelle façon il peut nous obliger davantage, et déclare que « c'est à son besoin que doit se faire connaître un véritable ami ». Il nous fait une première avance de 250000 francs sans intérêt, pour solder nos achats de grains à Bône et à Constantine, donne à notre Consul des passeports pour nos navires, permet à nos marins de se ravitailler dans tous ses ports, prescrit à ses corsaires « d'avoir le plus grand respect pour le pavillon tricolore ». Les représentants des Puissances belligérantes ne cessent de lui demander de dénoncer nos traités, ou du moins de conserver une neutralité rigoureuse. Il dédaigne leurs perfides manœuvres, et « supplie le Tout-Puissant de favoriser nos armes ». Il refuse les cadeaux que lui offre Vallière, et nous prête encore un million, pendant deux ans, sans intérêts, en s'excusant de ne pouvoir faire davantage. Aussi nos « citoyens représentants » adressent-ils à leur « ancien ami », tout en le tutoyant, les compliments les plus flatteurs, et le ministre renchérit-il encore sur leurs félicitations : « Il appartient, lui écrit-il, à des cœurs généreux comme le tien de s'intéresser en faveur de la cause qui a pour elle la raison, la justice et la gloire. Nous sommes flattés de ton amitié, jaloux de la conserver et de te donner des preuves de la nôtre; nous désirons qu'elle soit éternelle. »

Par malheur, un émigré, un traître, viendra troubler cette heureuse harmonie en 1793. Meifrund, jadis chancelier du Consulat, a été condamné pour avoir rempli à Toulon pendant l'occupation anglaise, des fonctions municipales. Il est l'intime ami de Sidi Hassan, et celui-ci demande vainement à la France, pour prix de ses services, la grâce de son protégé émigré auprès de lui. Le hasard veut que ce Meifrund soit en même temps le beau-frère du Consul Vallière, et les pressantes instances de ce dernier font suspecter son civisme. Le ministre Buchot, ancien maître d'école, qui va bientôt solliciter le modeste emploi d'huissier dans les bureaux de son ministère des Relations extérieures, dont il

de franchir le détroit de Gibraltar; en revanche reçut de grosses sommes du Danemark, de Venise de la Hollande et de la Suède, et se montra très lui disposé pour la France, représentée alors près de lui par M. Vallière, fils de l'ancien consul. Quand la Révolution de 1789 eut éclaté, il refusa de joindre à nos ennemis; il résista à toutes les intrigues des Anglais en ce sens, facilita même l'achat de blés par nous dans la Régence et contribua ainsi à sauver la France de la famine (1). Deux juifs influents, Busnach et Bakri, furent les fournisseurs de ces marchés, dont le règlement deva plus tard entraîner de si graves conséquences. Cependant une question de personne, la confiscation des biens d'un émigré, Maïfrun, ami du bey et beau-frère de Vallière, faillit rompre les bons rapports des deux pays. Les victoires de la France et aussi l'habileté du consul Jean-Bon-Saint-André empêchèrent la guerre. Quant au dey Hassan, mourut après une courte maladie en 1798; son neveu, le khaspadji Mustapha, fut proclamé malgré son dépit de sa résistance.

(1) Plus tard il prêtera 5 millions au Directoire, sans intérêts.

E. Cat : Petite Histoire de l'Algérie,

الشكل رقم : (136)

علينا ، زيادة على ذلك ، اشتراء القمح فى بلاده ، وساهم بذلك فى إنقاذ فرنسا من المجاعة .

«ثم منح الداى حسن الدريكتوار فيما بعد قرضا مبلغه خمسة ملايين من الفرنكات بدون فائدة » (165) .

ونعود إلى دى غرامون ، الذى يؤكد مبلغ الخمسة ملايين هذا (من الفرنكات الذهبية سنة 1796 م !) ، معززا بذلك رواية مواطنه وزمليه كاط ، فيقول :

« وفرنسا ، التى رأت إذ ذاك أوروبا كلها تقريبا تقف ضدها ، كان عليها أن تراعى الجزائر ، التى كان يتوقف عليها تزودنا بالمحبوب ، ذلك التزود الذى أصبحت ضرورته تزداد كل يوم شدة وحدة .

« ... وقد تحمل فالير (القنصل العام ، مستشار الملك سابقا ، المحافظ العام للشؤون الاقتصادية الفرنسية) بعض المعاملات القاسية فى سبيل مصلحة بلاده : للحصول على رخصة تصدير كميات هائلة من المحبوب ، واللحوم المملحة (القديد) ، والجلود ، ومواد أخرى مخصصة لتموين جنوب فرنسا والجيش ، محبطا بذلك مناورات الأنكليز ، الذين كانوا يودون أن يزدوا من المتربة ، أو المحنة (détresse) ، التى كانت توجد فيها إذ ذاك عدوتهم (فرنسا) » .

ويعلق المؤرخ دو غرامون على هذا قائلا :

« وفعلا ، فلم يكتف الداى (حسن) بإصدار أوامره بفتح أبواب أسواق الشرق والغرب (القالة (166) والغزوات) على مصاريحها أمام سفن مرسليليا ، بل منح مدينة جنوة (إيطاليا)

(165) Cat : ibid, t. 1, p. 328.

(166) انظر الشكل رقم : 137 .



Vue de la Calle (1780)

الشكل رقم (137)

أيضا نعمة السلم ، بطلب من قنصلنا ، الذي كان يستخدم هذا الميناء الإيطالي لتصدير القمح الجزائري إلى فرنسا ؛ ثم ذهب (الداي حسن) إلى أبعد من هذا في تكرمه وحسنه : فقدم لنا التسبيق الضروري لتسديد مشترياتنا من القمح لدى «الأهالي» (الجزائريين) .

« بل وفيما بعد منح أيضا حكومة الدريكتوار قرضا عينيا (نقديا) مبلغه خمسة ملايين من الفرنكات ، بدون فائدة » . (I67) و (I68) و (I69) .

وهكذا ، إذن ، وجدنا عند هؤلاء المؤرخين والدبلوماسيين الفرنسيين ، المتعددي الاتجاهات والأفكار ، المتعاقبين في الزمن ، اصطلاحات موحدة للحالة المادية والمعنوية في فرنسا إذ ذاك ، مثل : إسعاف secours ؛ وقحط disette ؛ والفاقة ، والسكنة ، والمتربة détresse ؛ (ومسكين ذو متربة : « اللاصق بالتراب من شدة الفاقة » : لسان العرب) ؛ والمجاعة famine ، « والمسغبة ، أى الموت جوعا périr par la famine ، (والمسغبة والمتربة لفظان قرآنيان) أو عام ، بل أعوام الشر ، كما سبق أن قلنا .

ونفس التشابه ، أو التدرج ، فى الصيغة ، لوصف الحالة المالية في فرنسا إذ ذاك، نجده عند هؤلاء المؤرخين والدبلوماسيين الفرنسيين : عجز مالى : pénurie de finances ; en court d'argent ، ونضوب الخزينة : épuisement de trésor ... والاصطلاح المستعمل اليوم لذلك هو العجز عن التسديد : insolvabilité .

بل ونجد أن أحدهم ، وهو قديم نسبيا ، يبدع ، وينحت اصطلاحا لم يوجد إلا فيما بعد ، وهو هانرى غارو ، الذى

(167) De Grammont : ibid, p. 348-349.

(168) انظر الشكل رقم : 138 أ ، 138 ب .

(169) انظر الشكل السابق رقم : 131 أ ، وب ، وج .

l'amulette de diamants qui fut trouvée sur le corps du Bey valait à elle seule deux cent soixante-quinze mille dinars. Cette victoire n'apaisa pas complètement les craintes du Dey, qui changea deux fois encore le Bey de Titeri en moins de deux ans, et fit surveiller Mohammed-ben-Osman, de la puissance et de l'influence duquel il était jaloux, sans oser le manifester hautement.

Pendant ce temps, Venise, la Hollande et la Suède se voyaient successivement l'objet de menaces de guerre, qu'elles n'écartaient qu'à prix d'or. Le Danemark subissait les mêmes exigences quelque temps après, et le Portugal, qui n'avait pu obtenir la paix, luttait avec courage et empêchait les Reïs de sortir du détroit de Gibraltar. La France, qui voyait à ce moment presque toute l'Europe se dresser contre elle, était tenue de ménager la Régence, de laquelle dépendait l'approvisionnement des céréales, devenu de plus en plus nécessaire. M. Vallière s'y employait de son mieux. Élevé à Alger, où son père avait été consul de 1763 à 1773, il y connaissait tous les personnages influents, avait le grand avantage de pouvoir se passer de drogman, et rendit ainsi d'immenses services dans un temps très difficile. Après avoir essuyé quelques bourrasques dues à l'humeur inconstante du Dey, il était arrivé à acquérir sur lui une véritable influence, dont il se servit habilement dans l'intérêt de son pays, obtenant la permission d'exporter d'énormes fournitures de grains, de viande salée, de cuirs, et d'autres denrées destinées à l'alimentation du Midi et à la subsistance des armées, déjouant ainsi les intrigues des Anglais, qui eussent voulu augmenter la détresse dans laquelle se trouvait à cette époque leur ennemie.

Hassan résista à leurs instances : « J'apprends avec indignation par le Dey lui-même écrit Vallière, que les anglais ont osé lui demander de nous refuser tout secours, afin de nous laisser périr par la famine ; le Dey a répondu en homme maître de son pays et en ami des Français. Le consul Anglais a fait une seconde tentative tout aussi infructueuse que la première... Je te laisse le soin d'apprendre à la République et à ses enfants la conduite du Dey envers eux en

7 in out.

cette occasion : la circonstance en décuple le prix. » En est
 non content de donner des ordres pour que les marchés
 l'est et de l'ouest fussent largement ouverts aux navires
 Marseille. Il accordait la paix à Gènes, à la sollicitation du
 consul, qui se servait de la marine de ce port pour les envois
 de grains, et poussait la bienveillance jusqu'à avancer l'argent
 nécessaire aux marchés conclus avec les Indigènes. Plus tard
 il prêta même cinq millions au Directoire, sans vouloir en
 recevoir d'intérêts : car ce prince n'était pas avare, ne reculant
 devant rien que pour satisfaire ses goûts fastueux et pour
 obéir aux exigences de son entourage. Il était d'une nature
 chevaleresque, et lorsqu'on crut pouvoit l'exciter à s'unir aux
 ennemis de la France en lui représentant qu'elle allait être
 écrasée par la coalition, on obtint un résultat tout contraire,
 et il déclara très hautement qu'il n'abandonnerait jamais son
 ancienne alliée. Malheureusement pour lui, il était atteint à
 plus haut degré de la maladie mentale commune à tous les Deys,
 un manque complet d'équilibre cérébral, qui le faisait agir
 sous l'influence du moment, sans réflexion, et qui, le plus
 souvent, le livrait à des colères immotivées. C'est ainsi, qu'en
 1792, deux jours après avoir ordonné à Vallière de partir
 de faire sortir de France les sujets algériens, il fit étrangler
 ou bâtonner les Reis dont la plainte avait causé ce commen-
 cement de rupture. Il s'agissait de deux chebeks qui avaient
 été goulés, l'un par les Napolitains, l'autre par les Gênois
 dans les eaux de la Provence. Bien que les équipages, pour-
 suivis sur le rivage par les vainqueurs, eussent été sauvés
 par les milices accourues à la hâte et rapatriés par la frégate
 la *Vestale*, les ennemis du consul avaient cru pouvoir profiter
 de cet incident pour le brouiller avec Hassau. Ils se servirent
 à cet effet de l'intermédiaire des Juifs, auxquels ce prince
 avait confié tous ses intérêts, et qui avaient acquis une
 énorme influence dans le conseil privé.

On a vu précédemment que, dès le commencement du
 pouvoir des Deys, les Juifs livournais qui étaient venus
 s'établir à Alger avaient habilement profité des embarras
 financiers des souverains pour monopoliser le commerce à
 leur profit ; ils avaient acquis par ce moyen de très grandes

De Grammont.

استعمل ما يشبه صيغة « الجسر البحرى » - إذ لم تكن الطائرات
إذ ذاك موجودة ليستعمل الجسر الجوى - فيقول :

« وفى السنة التى بعدها (أى فى 1794 م) زاد الداى (حسن)
فى تكرمه خطوة فأهدى فرنسا - التى سارعت إلى انتهاز
الفرصة - مواد غذائية ، وخبولا جيدة ، ومواد استهلاكية
من جميع الأصناف ، ليساعدها فى حروبها ضد أوروبا المتكتلة
فى وجهها ، قائلا فى رسالته الموجهة بتاريخ 16 أكتوبر 1794 م
إلى وزير الخارجية (الذى يرأس مجلس الجمهورية بالتناوب مع
زملائه) (170) : « إن فى الشدة يعرف الأصدقاء » (171) .

ويضيف المؤرخ غارو ، وهنا بيت القصيد ، ومحل الإبداع
منه ، الذى يجسم بأروع صورة وبأبلغ رمز مساعدة الجمهورية
الجزائرية للجمهورية الفرنسية ، أكثر من ذكر أية أرقام كانت ،
مما سبق أن ذكرناه ، اذ يقول :

« وأمام هذا الاستعداد الطيب من داى الجزائر ، ولتسهيل
مهمة نقل المواد الغذائية المشتراة من الجزائر ، والمراسلات
والمواصلات ، اتخذ مجلس الثورة للجمهورية الفرنسية قرارا
يقضى بإقامة خط بحرى منتظم - أى جسر بحرى - بين فرنسا
والجزائر ، وقد كلفت شركة افريقيا باقامة هذا الخط بتاريخ
28 أوت 1794 م » (172) و (173) .

وقد تلاحقت بعد ذلك رسائل المجلس التنفيذى الأعلى
(الدريكتوار) للجمهورية الفرنسية إلى داى الجزائر . وأحيانا
لا يتركون له حتى وقت الإجابة على رسالة حتى تترى منهم عليه

(170) انظر الشكل السابق رقم : 126 .

(171) Garrot : ibid, p. 599.

(172) انظر الشكل رقم : 139 .

(173) Garrot : ibid, p. 599.

qui s'empressait d'en profiter, des vivres, de bons chevaux, des comestibles de toute espèce, pour l'aider dans ses guerres contre l'Europe coalisée, disant dans sa lettre, adressée le 16 octobre 1794 au citoyen Bouchot, commissaire des relations extérieures : "C'est au besoin, qu'un véritable ami doit se faire connaître."

Le comité de salut public, en présence des bonnes dispositions du dey d'Alger, pour faciliter le transport des vivres achetés en Afrique et des correspondances, dut prendre un arrêté organisant un service régulier de paquebots entre la France et Alger, service dont fut chargée la compagnie d'Afrique le 28 août 1794.

Un décret de la convention nationale du 27 pluviose an II, avait changé le pavillon français, modifiant les dispositions du 31 octobre 1790, qui reléguait dans un coin les couleurs nationales.

"Le pavillon national sera formé", dit ce décret, "des trois couleurs nationales disposées en trois bandes égales, posées verticalement, de manière que le bleu soit attaché à la gable, le blanc au milieu, le rouge flottant dans les airs." Deforgues, ministre des affaires étrangères de la République, notifiait ce changement de disposition du pavillon français dans sa dépêche au dey Hassan du 24 mars 1794 (18 germinal an II).

Le Portugal étant toujours en guerre avec Alger, le consul d'Angleterre avec reçu de son gouvernement l'ordre de négocier à quelque prix que ce fut la paix entre la régence et le Portugal, afin de voir rouvrir le détroit aux corsaires qui eussent contrarié la navigation des Américains, les empêchant ainsi de continuer à porter leurs grains dans les ports français. Le consul Vallière rendit cette manœuvre inutile en faisant conclure un traité entre la régence et les États-Unis.

En mars 1795, des frégates espagnoles ayant capturé un navire français dans les eaux d'Alger, Hassan fit sortir immédiatement douze canonniers, qui reprenant le navire de force, exigèrent la restitution de son équipage transbordé, retenu prisonnier.

Joseph Bacri et Nephtali Busnach, fournisseurs du gouvernement français. — Un nommé Joseph Bou-Kris, juif d'origine algérienne, établi à Livourne, où il avait italianisé

رسالة أخرى ، بمناسبة أو بدون مناسبة . وانغرض من كل ذلك هو الإبقاء على تلك العلاقات الخصبة لفرنسا ، وهي محاصرة بالتكتلات الأوروبية السبعة ، كما قلنا ، التي كانت الدولة العثمانية طرفا في بعضها ... ولم يبق لفرنسا في الدنيا إلا الجزائر ، حليفة ، وسندا ، ومزودة لها بأمال ، والقمح ، والمواد الغذائية الأخرى لشعبها ؛ وبالحبوب الجيدة ، والجلود ، واللحوم المجففة ، وغيرها من المواد الاستراتيجية ، خاصة لجيشها ، وعلى رأس جميع هذه المواد : القمح ، الذي هو المادة الاستراتيجية الأولى ، كما يسمى اليوم ، في كل من الحرب والسلم ! وفي كل من الشرق والغرب ، والشمال والجنوب ، من هذه الدنيا !

بل وقد تدخل الداي حسن حتى في بعض المجالات العسكرية لصالحهم : « ففي مارس 1795 م ، مثلا ، أسرت سفن إسبانية سفينة فرنسية في عرض البحر ، فأصدر الداي حسن أمرا - بمجرد أن سمع بالخبر - بإرسال اثنتي عشرة سفينة مدفعية جزائرية لملاحقة السفن الإسبانية ، وافتكاك السفينة الفرنسية منها بالقوة ، فافتكتها منها ، فعلا ، كما أجبرتها على إطلاق سراح ربانها وبحارتها ، وإرجاعهم إلى سفينتهم ، بعد أن كان الإسبان قد أخرجوهم منها ، وجعلوا منهم أسرى » . (174)

وهكذا بعث الدريكتوار في ديسمبر (1795 م) إلى « سيدى حسن ، الصديق الحليف القديم للشعب الفرنسى » (هذه امرأة « للشعب » ، لا للأمة) ، برسالة يعلمه فيها بإنهاء مهام سفيرهم في الجزائر ، فائيسير ، وتعيين خف له (175) ؛ تتلوها رسالة أخرى ، منهم أيضا ، « إلى سيدى حسن ، الصديق الحليف القديم

(174) Garro : il id, p. 599.

(175) انظر الشكل رقم : 140 .

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, frimaire an IV (décembre 1795).

Illustre et magnifique Seigneur,

Le lien du service de la République française dans vos États exigeant le rappel du citoyen Vallière¹, nous nous sommes déterminés à faire passer à Alger pour le remplacer le citoyen Jeanbon Saint-André², dont la probité, le zèle et les talents nous sont parfaitement connus. Nous lui avons donné à cet effet des instructions, avec l'ordre de vous assurer de notre sincère amitié et de notre haute estime. Nous le chargeons en même temps de vous présenter cette lettre, pour l'accréditer auprès de votre personne en qualité de Consul général et Chargé des affaires de la République française. Vous pouvez, en conséquence, ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom, relativement au service et aux intérêts de la nation française dans votre pays. Nous vous le recommandons particulièrement. Sur ce nous faisons des vœux, illustre et magnifique Seigneur, pour votre parfaite prospérité et celle des États que vous gouvernez.

Fait au Palais du Directoire exécutif, dans le mois de frimaire an IV de la République une et indivisible.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,
DE LACROIX³.

Simon Abucaya, en qualité d'Agent général chargé des affaires du Dey d'Alger ». Sidi Hamdan, dans son *Aperçu historique et statistique sur la Régence d'Alger*, pourra donner une idée de la rapidité avec laquelle les Barri faisaient leur fortune. (Paris, 1833, p. 132.)

1. Mercutius, dont le patriotisme turbulent voyait partout des suspects, avait

demandé et obtenu non seulement la révocation de Vallière, mais encore celle de Devoize, notre agent à Tunis, et celle de son secrétaire, nommé Gayet, qu'il avait emmené avec lui dans sa mission en Barbarie. Notre ancien Consul à Alger s'embarqua pour l'Espagne, en mai 1796, et se justifia pleinement aux yeux du Directoire, qui leva le séquestre mis sur sa fortune le 20 nivôse an V. Voy. *État des services du citoyen Vallière. — Rapport au Directoire exécutif sur l'ex-Consul Vallière*, le 4 ventôse an V. — *Réponse justificative du citoyen Vallière aux motifs qui ont déterminé son rappel*, le 3 Nivôse an IV.

2. Jeanbon Saint-André, et non pas Jean Bon Saint-André, comme on l'a toujours appelé, fut d'abord ministre protestant à Montauban, puis Député du Lot à la Convention nationale, membre du Comité de salut-public, envoyé en mission aux armées du Nord, des Ardennes, de la Moselle et du Rhin, ensuite à Brest et à Toulon. Arrêté et incarcéré le 9 thermidor an II (21 juillet 1794), il fut rendu à la liberté par l'amnistie du 4 brumaire an IV (26 octobre 1795). Il arriva à Alger le 3 juin 1796, accompagné de son neveu Bellus, officier de marine, qui devint Chancelier à la place d'Astoin-Sielve, et du citoyen Joseph Labrousche, son secrétaire particulier. Il avait reçu l'ordre de présenter au Dey ce qui restait des cadeaux emportés de France par Mercutius, et au sujet desquels ce dernier n'avait pas cru devoir envoyer des comptes en règle. Voy. *Mémoire pour servir d'instruction au citoyen Jeanbon Saint-André, Consul général de la République française à Alger. — Lettre du citoyen Jeanbon Saint-André au citoyen de Lacroix*, le 22 prairial an IV, rendant compte de son arrivée et de son installation dans son nouveau poste.

3. Un des premiers actes du Directoire, en succédant à la Convention, fut de supprimer les Commissions et de rétablir les Ministères. Celui des relations

للشعب الفرنسي » ، اثر أمر الداي حسن بإيقاف تصدير القمح إلى فرنسا ، لنزاع طارئ ، يقولون له فيها :

« لقد ألمنا أن نسمع أنكم أوقفتم تصدير القمح الذي كان يساعد على تمويننا . وان صداقتنا القديمة التي تربطنا بكم لمن العزة علينا بحيث لا نسمح لأنفسنا بالتواني في البحث عن السبب الذي غيرها ... وقد وجدناه في ممثلنا فالير ، الذي خدعنا ، وخان ثقتنا وثقتكم . ولهذا قررنا استدعاه وتعويضه بآخر ... الخ ... ويطلب المجلس التنفيذي (الدريكتوار) في رسالته من الداي بإلحاح استئناف ترخيص تصدير القمح لصالح فرنسا ، « لأن التفاهم بين الأمتين ... » الخ ، ثم يعبر فيها للداي عن قلقه من أى تعكير لجو المودة السائدة بين البلدين ، ويؤكد صدق عواطفه ، وضرورة زيادة توطيد علاقات أخصب ... وتعزيز انتظام الاتصالات والمراسلات بينهما . (176)

ثم تتبعها رسالة أخرى منه أيضا (أى الدريكتوار) إلى نفس « سيدى حسن ، داي الجزائر ، الصديق الحليف القديم للشعب الفرنسي » ، يشكره فيها على حسن استقباله للمبعوث الخاص للجمهورية إليه ، المسمى هرکولى Herculaïs ، ويقول له : « إننا تأثرنا أشد التأثر بعروضكم المالية التي حملتموه إياها ، والتي استوجبت عرفاننا بالجميل ، ونعتبرها دليلا جديدا على عطفكم على الجمهورية (الفرنسية) . وإننا كلفنا مبعوثنا الخاص بالفصل في الموضوع معكم ... » (177) .

ثم رسالة أخرى منه أيضا إلى نفس سيدى حسن ، تتصل بتبادل أسرى (178) . فيجيبه الداي حسن بضرورة مراعاة مبدأ

(176) انظر الشكل رقم : 141 أ و 141 ب .

(177) انظر الشكل رقم : 142 أ و 142 ب .

(178) انظر الشكل رقم : 143 .

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER;
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, 1^{er} mâle an IV (décembre 1795).

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris avec peine que vous aviez suspendu l'exportation qui favorisait nos approvisionnements ¹. L'ancienne amitié qui nous unit à vous nous est trop précieuse pour négliger de rechercher la cause qui l'avait altérée; nous l'avons trouvée dans la conduite du citoyen Vallière. Il a trahi notre confiance, il a abusé de la vôtre. Nous l'avons rappelé. Le citoyen Jeanbon Saint-André, qui résidera désormais auprès de vous, était ci-devant Représentant du peuple français à la Convention nationale ². C'est le même qui, dans sa mission à Toulon, protégea par le développement de nos forces maritimes le transport du numéraire qui servit au payement du blé que nous achetions en Barbarie. Son caractère personnel et les fonctions éminentes qu'il a remplies nous l'ont fait préférer entre tous. Il a reçu nos ordres relativement aux diverses réclamations que vous nous avez adressées. La justice le caractérise, et si le citoyen Vallière n'eût pas caché ceux que nous lui avons donnés et les motifs qui les déterminèrent, aucune discussion ne se serait élevée entre nous. Le citoyen Jeanbon Saint-André les terminera sans doute. Il réclamera de notre part et en notre faveur la libre exportation des grains ³. Nous savons que la bonne intelligence entre les nations est le résultat du commerce continuel de bons offices, et vous recevrez de nous tous ceux qu'il ne nous sera pas impossible d'accorder. Désormais des rapports plus avantageux et des communications plus fréquentes doivent s'établir entre nous. La victoire qui fonde la République française et qui étend son domaine lui donne chaque jour de nouveaux droits à la consi-

dération de l'Europe. Le peuple français est juste; nul ne lui rendra vainement des services. Ceux qu'il a reçus de vous et qu'il en attend encore seront la mesure de sa reconnaissance.

Recevez de notre part l'assurance qu'il vous donne de ne laisser jamais troubler la bonne harmonie qu'il souhaite de voir se maintenir entre lui et vous.

Donné au Palais du Directoire, sous le sceau national, à Paris, en frimaire de l'an IV de la République française une et indivisible.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,
DE LACROIX.

extérieures fut confié, le 6 novembre 1793, à Charles-Constant de Lacroix, ancien Chef de bureau des Finances, puis Député de la Marne en 1792, membre du Comité de salut public et chargé de diverses missions administratives, notamment dans les Ardennes et dans la Meuse.

1. Un Juif, Samuel Moatty, avait acheté à Marseille des marchandises dont la sortie était prohibée par la loi du 12 pluviôse an III. Le Dey, qui s'était intéressé à cette affaire, avait exigé la restitution en nature et non pas le prix de la cargaison, vendue aux enchères publiques. Il s'était opposé, pour obtenir satisfaction, à la sortie des blés achetés par l'Agence d'Afrique. Voy. *Rapport au Ministre des relations extérieures sur la saisie faite par le bureau des douanes de la commune de Marseille de diverses marchandises embarquées pour Alger par Samuel Moatty*, — *Mémoire du citoyen Guys, Agent général des relations extérieures à Marseille, sur l'affaire du Juif Moatty*. (Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.)

2. Voy. la note 1, p. 433.

الشكل رقم : (141) ب

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, prairial an IV (juin 1796).

Illustre et magnifique Seigneur,

Le négociant Jacob Cohen Bacri, chargé de vos commissions à Marseille, nous a fait parvenir votre lettre en date du 12 juillet 1795 ¹. Nous y avons vu avec plaisir l'expression sincère de votre amitié et de votre reconnaissance pour l'accueil que ce négociant a reçu depuis son arrivée en France. Soyez persuadé qu'il n'aura qu'à se louer également des bons procédés qu'on continuera d'avoir pour lui comme pour tous ceux que vous nous recommanderez, et que nous ne laisserons échapper aucune occasion de resserrer de plus en plus les liens de cette ancienne amitié, qui subsiste et subsistera toujours entre les deux nations.

Nous ne voulons point finir cette lettre sans vous dire combien nous avons été satisfaits nous-mêmes d'apprendre la réception favorable que vous avez faite au citoyen Herculais, Envoyé de la République auprès de vous ¹. Il nous a rendu un compte détaillé des marques d'intérêt et de bienveillance que vous lui avez témoignées, et nous ne doutons point qu'il ne continue à mériter votre confiance; nous vous invitons à la lui accorder. Il nous a en même temps fait connaître toute l'indignation que vous a causée l'outrage qu'ont commis les Anglais, en enlevant deux bâtiments de guerre français qui étaient mouillés dans la rade de La Goulette ²; nous ne vous dissimulons pas que cette perfidie infâme rejaillit particulièrement sur le Bey de Tunis qui, malgré les avis qu'on lui a donnés, a laissé violer d'une manière aussi audacieuse l'asile assuré que nos bâtiments devaient trouver dans ses ports contre les entreprises de nos ennemis. Vous avez si bien senti cette vérité que vous vous êtes empressé de prendre toutes les mesures convenables pour contraindre le Bey à une réparation complète envers la République; nous vous en savons infiniment de gré, et nous sommes persuadés qu'au moyen de votre crédit et de votre influence vous parviendrez à obtenir cette réparation due à la nation française, et devenue

d'ailleurs indispensable pour l'honneur des Puissances musulmanes dont il vous importe de maintenir la considération. Nous nous en reposons donc entièrement sur vous du soin de terminer cette affaire à notre entière satisfaction. Nous avons été extrêmement sensibles aux offres pécuniaires que vous avez faites au citoyen Herculaïs; elles ont excité toute notre reconnaissance, et nous les avons regardées comme une nouvelle preuve de votre attachement et de votre intérêt pour la République. En conséquence, nous chargeons notre Envoyé d'en conférer avec vous conformément aux instructions que nous lui adressons ¹. Vous pourrez ajouter une entière confiance à tout ce qu'il vous dira sur ce point, et compter que les engagements qu'il pourra contracter en notre nom seront remplis avec toute l'exactitude et la loyauté qui caractérisent la nation française, que vous devez mettre au nombre de vos plus sincères et fidèles amis. Vous ajouterez par là de nouveaux droits à sa reconnaissance.

Sur ce nous faisons des vœux, illustre et magnifique Seigneur, pour votre parfait bonheur et la prospérité des États que vous gouvernez.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,

DE LACROIX

1. Si la Régence se vantait de nous rendre des services avec ses fournitures de grains, il est bon de remarquer qu'elle vendait à l'Agence d'Afrique, au prix de 45 piastres, la charge de blé que les étrangers ne payaient que 38 piastres.

1. Voy. p. 451.

2. Voy. la note 2, p. 441.

3. Voy. *Lettres des citoyens Vallière et Herculaïs au citoyen de Lacroix*, des 21 et 24 germinal an IV. Notre Consul informait le Ministre de cette violation de territoire neutre que s'étaient permis les Anglais, en enlevant nos corvettes *La Sardine*, *La Némésis* et le brick *Le Postillon* dans la rade de La Goulette. Il était allé se plaindre au palais de la Jenina de cet acte de perfidie, et le Dey lui avait déclaré « qu'il se chargeait de faire payer au Bey de Tunis la valeur de nos bâtiments, estimant le dommage à 242 000 piastres ».

1. Voy. *Lettre du citoyen de Lacroix au citoyen Herculaïs*, le 16 prairial an IV. Les Bacri, malgré les avances qu'ils avaient faites à la République, offraient encore au Directoire 40 000 quintaux de grains emmagasinés à Marseille. Le Gouvernement manquait d'argent pour payer même un acompte, et faisait tous ses efforts pour obtenir du Dey le prêt d'un million de piastres (3 000 000 de fr.).

OFFICE DU DIRECTOIRE DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
À SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, le 7 vendémiaire an VI (28 septembre 1797).

Illustre et magnifique Seigneur,

Le Directoire exécutif, d'après la demande que vous lui avez fait faire par son Consul, a écrit à Venise pour réclamer 96 Algériens détenus à Corfou¹. Son intervention dans cette affaire a eu l'effet que vous désiriez, et il se fait un plaisir de vous annoncer la mise en liberté de ces individus avec le chebok qui les transportait, et dont le Gouvernement vénitien a donné les ordres nécessaires pour le prompt embarquement et la sûreté de la traversée.

Le Directoire exécutif, en se rappelant que l'ascendant de la République française a en outre garanti de l'esclavage ou arraché à la captivité 400 passagers musulmans à Zante², 32 Algériens à Gênes et 13 à Livourne, pense que vous ne trouverez rien que de très fondé dans la demande qu'il vous adresse de rendre à la liberté quelques Français ou Italiens, pris sous pavillon français, qui sont esclaves à Alger depuis plusieurs années³. Ces malheureux se trouvent aujourd'hui réduits à 80, au moyen de la remise de l'un d'eux que vous avez faite dernièrement au Consul de la République française. Le Directoire exécutif a été très sensible à cet obligeant procédé, et il vous presse d'y mettre le complément en brisant les fers des 80 autres; il espère que vous ne vous refuserez pas à cette compensation des nombreuses restitutions que son influence vous a procurées, et à donner ce gage de la sincérité des sentiments d'amitié que vous professez pour la République française. Le Directoire exécutif vous assure à l'avance de toute sa reconnaissance, ainsi que des vœux qu'il forme pour la prospérité de votre personne et de vos États.

Donné au Palais national du Directoire exécutif, à Paris, le 7 vendémiaire de l'an VI de la République française.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,
TALLEYRAND.

1. Ces Algériens se trouvaient sur un chebek appartenant au Bey d'Oran. Ils n'avaient pas connaissance de la guerre et, pressés par le besoin de provisions de bouche, ils avaient relâché à Corfou et y avaient été aussitôt arrêtés. Voy. *Lettre du citoyen Jeanbon Saint-André au citoyen de Lacroix*, le 24 messidor an V.

2. L'article 5 du traité de Campo-Formio donnait à la République française la souveraineté des îles autrefois vénitiennes de Corfou, Zante, Céphalonie, Sainte-Maure, Cérigo et dépendances.

3. « Le Dey ne peut faire à cet égard aucune difficulté, puisqu'il doit à l'influence de la République la mise en liberté d'une quantité considérable de ses sujets. » Voy. *Lettre du citoyen Talleyrand au citoyen Jeanbon Saint-André*, le 2 ventôse an VI. — Voy. aussi *Note de ce qui a été proposé au Directoire exécutif en faveur des Français esclaves à Alger*, le 1^{er} frimaire an V. (Archives des affaires étrangères, Consulat d'Alger.)

المعاملة بالمثل ، الحسنى بالحسنى ... و «إننا نرغب فى أن يعامل رعايانا المقيمون لديكم بنفس الطريقة التى نعامل بها رعاياكم عندنا ... » (179) .

ثم رسالة أخرى من أعضاء الدريكتوار يجيبون فيها الداي « سيدى » حسن (دائما !) على رسالة منه بخصوص ضرورة نقل ممثلهم الدبلوماسى وتعويضه بآخر ، يعلمونه فيها بأنهم قرروا ترضيته « وتعيين قنصل عام جديد ، قائم بأعمال الجمهورية الفرنسية ، ليؤكد لكم صدق تعلقنا بكم ، وتقديرنا لكم ، ولرعاية حسن التفاهم السائد، لحسن الحظ، بين الأمتين».(180)

ورسالة جديدة منهم أيضا، دائما «إلى سيدى حسن، الصديق الحليف القديم للشعب الفرنسى » ، يعبرون له فيها عن سرورهم بوجوده إلى جنبهم سندا قويا ، « مما أثار الحسد الأعمى لدى خصومنا ، وأثار سخطهم العميق ، وانزعاجهم الشديد من رؤية سيد عظيم مثلكم واقفا إلى جنب الجمهورية الفرنسية ... » (181). والأهم فى هذه الرسالة هو ما فى هامش ص 475 ... عن تصورهم فى ذلك الوقت ... للتعاون ... التقنى ... فليقرأ بتمعن ! (الشكل رقم 146 ب) .

وعند وفاة الداي حسن (يوم 14 مايو 1798 م) ، وتولى مصطفى باشا مكانه ، الذى طالب الدريكتوار بتسديد بعض المستحقات القديمة ، (من الديون طبعا ، لا من المساعدات المقدمة مجانا) ، رأى الدريكتوار أن « يعاقب » الداي مصطفى على ذلك بـ « حرمانه » من صيغة «سيدى» التى كانوا «يتحفون»

(179) انظر الشكل رقم : 144 أ و 144 ب .

(180) انظر الشكل رقم : 145 أ و 145 ب .

(181) انظر الشكل رقم : 146 أ ، و 146 ب .

Alger, le 29 septembre 1797.

Citoyens Représentants,

Nous avons reçu avec un grand plaisir votre lettre du 16 messidor dernier², dans laquelle vous nous faites part des ordres que vous avez donnés à votre Consul Jeanbon Saint-André de faire repartir pour un autre pays les prises neutres que vos corsaires ont conduites ici. Ces ordres arrivèrent à l'époque où nous approchions de la peste, et si nos sujets eussent fait acquisition des effets de ces prises, et qu'il fût mort quelqu'un de ceux qui auraient acheté de ces marchandises, nous aurions eu des casse-têtes pour les paiements. On avait donc jugé qu'il était à propos que ces ordres fussent donnés à votre Consul, pour éviter tout inconvénient entre nous.

A peine eûmes-nous reçu votre lettre que nous nous empresâmes de vous donner des marques du plaisir que nous procure la continuation de notre longue et ancienne amitié et alliance. A cet effet, il a été signifié à votre Consul qu'il ordonnât aux corsaires français de conduire ici et dans tous nos ports leurs prises, tant sous pavillon neutre que les prises ennemies, et qu'elles seraient bien reçues dans tous nos États.

Quant aux insultes que nous a fait la nation britannique, ne croyez pas que nous nous taisions, car nous prétendons pour indemnité du dommage fait à l'un de nos corsaires la somme de 40 000 piastres fortes d'Espagne et tous les dommages qu'ont essuyés nos sujets. Et pour la corvette française qui fut prise par la susdite nation dans le port de Bône, quoiqu'au delà de la portée du canon, on a exigé d'elle qu'elle ramenât la corvette même dans l'état où elle se trouvait à l'époque de la capture, ou qu'elle payât la somme de 60 000 piastres fortes d'Espagne. Et si elle ne satisfait pas à nos prétentions, vous verrez et apprendrez ce qui s'ensuivra avec la susdite nation,

1. L'original est en langue italienne.

2. Voy. p. 464.

car vous serez informés à temps de ce qui sera résulté à ce sujet ¹.

Il y a quatorze mois que votre Consul réside auprès de nous ; il nous a continuellement demandé des faveurs au nom de la République française et nous les lui avons toujours accordées par respect pour elle, et nous continuerons de lui accorder, comme aussi aux individus français, tout ce qui nous sera demandé en votre nom. Mais nous désirons que nos sujets résidant dans vos États soient traités de la même manière, et tout ce que vous ferez à l'avantage de nos sujets, et en particulier de ceux qui vous ont été recommandés dans nos lettres, nous le regarderons comme fait à nous-même, et en récom-

pense nous favoriserons vos sujets dans tout ce qu'ils pourront demander. Nous vous souhaitons le bonheur dans vos conquêtes.

Fait à Alger, le 29 septembre 1797, c'est-à-dire le 7 de Rebi-el-aker, l'an 1212 de l'hégire.

(Sceau)

HASSAN,

Dey et Gouverneur d'Alger.

1. Une frégate française, *L'Unité*, avait été capturée par les Anglais au mouillage de Bône; Jeanbon Saint-André avait eu à ce sujet une entrevue avec le Dey, au cours de laquelle Hassan lui avait déclaré « qu'il romprait avec les Anglais s'ils ne restituaient pas cette prise avant le 1^{er} janvier prochain ». Ceux-ci ayant refusé de nous donner satisfaction, leur Consul reçut l'ordre de s'embarquer. Voy. *Lettres du citoyen Jeanbon Saint-André aux citoyens de Lacroix et Talleyrand*, les 6 messidor an V, 9 et 11 vendémiaire an VI. — Voy. aussi *Lettre du citoyen Guibert, agent d'Afrique à Bône, au citoyen Herculaïs*, le 2 floréal an IV, publiée dans *l'Histoire de La Calle*, par Féraud, p. 535.

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, le 26 frimaire an VI (16 décembre 1797).

Illustre et magnifique Seigneur,

Des circonstances relatives au service de la République française nous ayant mis dans le cas de rappeler d'Alger le Consul Jeanbon Saint-André pour lui conférer un autre emploi¹, nous lui avons donné pour successeur le citoyen Moltedo, dont la probité, le zèle et les talents nous sont connus². Nous sommes

persuadés que le choix que nous avons fait de lui vous sera agréable, et qu'il saura mériter par sa conduite votre amitié et votre confiance. Nous lui donnons l'ordre de vous assurer de notre attachement et de notre estime, et nous le chargeons en même temps de vous présenter cette lettre, pour l'accréditer auprès de votre personne en qualité de Consul général et Chargé des affaires de la République française. Vous pouvez, en conséquence, ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom, soit pour le bien du service dont il est chargé et les intérêts des Français dans votre pays, soit pour le maintien de la bonne intelligence si heureusement établie entre
→ les deux nations. Recevez ici de nouveau, illustre et magnifique

1. Il fut nommé Consul général à Smyrne, fut arrêté par les Turcs en qualité d'otage, conduit à la prison des Sept Tours à Constantinople, puis relégué à Kérasonde, sur les bords de la mer Noire. Remis en liberté en 1801, après trois ans de captivité, il fut chargé par Bonaparte de l'organisation des quatre départements de la rive gauche du Rhin, et devint préfet de Mayence.

2. Dominique-Marie Moltedo, nommé Consul général de la République à Alger par arrêté du 8 frimaire an VI, était alors à Ajaccio. Il avait été nommé commandant d'un des bataillons d'infanterie créés, le 4 février 1793, pour combattre l'insurrection fomentée dans l'île par Paoli, mais il n'avait pu parvenir à réunir ses hommes; il avait été arrêté et emprisonné pendant l'occupation anglaise, sa maison de commerce et ses propriétés avaient été dévastées, et Jean-Fran-

Seigneur, l'assurance de notre haute considération, et l'expression sincère de nos vœux pour votre prospérité et celle des Etats que vous gouvernez.

Donné à Paris, au Palais du Directoire exécutif, le 26 frimaire an VI.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,

TALLEYRAND.

gois Moltedo, son frère, Député à la Convention, avait demandé pour lui un dédommagement pour les pertes qu'il avait subies en servant la République. Il fut conduit à son poste sur la frégate *L'Altesse*, commandée par le capitaine Bané, et y arriva le 18 floréal an VI. Il ne tarda pas à se voir aussi mal vu que son prédécesseur, en raison de son obstination à ne pas donner de présents, et fut même insulté publiquement dans les rues d'Alger. Le Dey lui refusa la liberté de plusieurs esclaves italiens réclamés par le Directoire, et l'obligea à changer la résidence du Consulat, sous prétexte qu'il était désireux d'y loger ses femmes. Nos représentants occupaient cette maison depuis 112 ans, et payaient un loyer annuel de 100 piastres et 5 pica de drap à la famille d'Ismatl-rels qui en était propriétaire. — Si je ne craignais, écrivait Moltedo, de compromettre les vues de mon Gouvernement, je pourrais bien prendre tout ceci pour un honnête congé, mais je crois devoir sacrifier mes motifs personnels à la tranquillité, en disant cependant : Voilà leur crainte et la considération qu'ils ont pour nous. » — Il avait à se plaindre aussi de l'hypocrisie des Bachi, dont Jeanbon Saint-André avait déjà dénoncé les manœuvres antifrANÇAISES, et il suppliait Talleyrand, bien disposé pour eux, de leur retirer la confiance que ces Juifs avaient usurpée. Voy. *Rapport au Directoire exécutif sur les mauvais procédés de la Régence d'Alger à notre égard*, le 9 fructidor an VI. — *Lettres du citoyen Moltedo au citoyen Talleyrand*, les 11, 15 et 20 messidor, 1^{er} thermidor an VI. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*) — Voy. aussi *Procès-verbal de la chancellerie du Consulat d'Alger*, le 4 fructidor an VI. (*Les Archives du Consulat général de France à Alger*, par Devoultz, p. 130.)

الشكل رقم : (145) ب

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
À SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, frimaire an VI (décembre 1797).

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu la lettre que vous avez pris la peine de nous écrire le 22 octobre 1797¹. Vous rappelez d'abord celle que nous vous avons adressée le 16 messidor², et la réponse que vous y avez faite sous la date du 29 septembre³.

Nous sommes bien aisés d'avoir cette occasion de vous en accuser la réception, et de vous dire combien nous avons été sensibles à l'empressement avec lequel vous avez ordonné que les prises, faites par nos corsaires sur les neutres, auraient désormais l'entrée dans ceux de vos ports où elles pourraient être conduites⁴. Nous avons vu dans cette détermination une nouvelle preuve de la sincérité des sentiments d'amitié que vous professez pour la République française, et nous aimons à vous en témoigner notre reconnaissance. Vous nous donnez aujourd'hui de nouvelles assurances de cette ancienne et constante amitié qui a éveillé la jalousie dans l'âme de nos ennemis. Dans leur aveugle et impuissante fureur, ils ont dû voir avec grand déplaisir un Souverain tel que vous rester inviolablement uni à notre République, qu'ils ont attaquée avec tant d'acharnement! Les plaintes amères qu'ils vous ont à cet égard fait parvenir, leurs insinuations perfides, tout démontre qu'ils sentent bien l'avantage de votre alliance. Nous savons comme eux combien elle est précieuse, et autant ils ont fait d'efforts pour nous la ravir, autant nous sommes disposés à en faire pour la conserver dans toute son intégralité. Nous ne saurions trop vous remercier de la fermeté que vous avez opposée à leurs sug-

1. Voy. p. 470.

2. Voy. p. 464.

3. Voy. p. 468.

4. Voy. la note 1, p. 466.

donner à la prédilection toute particulière avec laquelle vous êtes disposé à traiter la nation française nous est le garant le plus sûr, comme le plus flatteur, de la sincérité de vos sentiments. Les nôtres ne sont pas plus équivoques, et c'est notre vœu bien prononcé de continuer à être vos fidèles amis. Nous nous sommes, en conséquence, empressés de consentir à la demande que vous nous avez fait faire d'un constructeur de navires, et aussitôt que votre désir à cet égard nous a été connu, nous avons donné les ordres convenables pour qu'il fût fait choix d'un sujet capable de diriger, d'une manière satisfaisante, les travaux que vous vous proposez de confier à sa surveillance¹. Nous espérons que celui que nous chargerons de cette mission remplira parfaitement vos vœux, et comme on ne saurait trop se presser lorsqu'il s'agit d'obliger ses amis, nous hâterons son départ autant qu'il sera possible.

Avant de recevoir votre lettre, nous avons déjà retiré le citoyen Jeanbon Saint-André du poste qu'il occupait auprès de vous². Nous avons nommé pour le remplacer le citoyen Moltedo³. Nous venons de terminer la guerre, et la paix a été signée le 26⁴. L'Angleterre est donc aujourd'hui notre seul ennemie. Son per-

fide Gouvernement a envers vous des torts trop multiples et trop graves pour que vous hésitiez à lui déclarer la guerre si vous ne recevez pas, dans le délai que vous avez vous-même fixé, les satisfactions que vous avez le droit d'en exiger⁴.

Agréez, illustre et magnifique Seigneur, les assurances de notre parfaite estime et sincère amitié.

Donné à Paris, au Palais national du Directoire exécutif, sous le sceau de la République française une et indivisible, dans le mois de frimaire de l'an VI.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,

TALLEYRAND.

1. Le Consul Jeanbon Saint-André avait offert au Dey « tout ce que l'amitié de la France pouvait faire pour lui ». Hassan lui avait alors parlé de son mécontentement des Anglais, de ses préparatifs de guerre contre eux, et de son désir d'avoir auprès de lui un homme entendu pour diriger les travaux de sa marine, construire plusieurs chebeks et surveiller son arsenal. Notre agent s'était empressé de lui promettre un fondeur, mais le Directoire avait hésité à accueillir cette demande, et « à donner à la Régence le moyen d'augmenter ses forces ». Voy. Rapport au Directoire exécutif sur la demande d'un constructeur de navires, à l'occasion de la guerre que le Dey paraît vouloir déclarer à l'Angleterre, brumaire an VI. « Il paraît convenable d'accorder au Dey le constructeur qu'il demande. En même temps on preserira à celui-ci de mettre beaucoup de lenteur dans ses opérations, d'en entamer beaucoup et d'en achever très peu, en se bornant à mettre le port et la ville d'Alger dans un état de défense respectable, en un mot d'avoir l'air de faire beaucoup, mais de faire réellement très peu de chose. De cette manière, nous atteindrons le seul but qui peut nous intéresser, qui est de fermer aux Anglais les ports de la Régence, sans d'ailleurs ajouter à ses moyens actuels d'agression. » — L'ingénieur Geoffroy arriva à Alger en même temps que Moltedo, mais Hassan vint à mourir, comme on le verra plus loin, et Mustapha, son successeur, déclara à notre fondeur qu'il n'avait pas besoin de lui et qu'il pouvait rentrer dans sa patrie.

2. Voy. la note 1, p. 472.

3. Voy. la note 2, p. 472.

4. Le traité de Campo-Formio, signé le 26 vendémiaire an VI (17 octobre 1797).

بها الداي حسن ، فألفوها (182) ، واختفت تلك الصيغة نهائيا (183) . ودرج نابليون ، عندما تولى القنصلية الأولى (رئاسة الجمهورية بدون لقب) على ذلك الإلغاء ... بل وأضاف إليه إلغاء آخر : هي صيغة « الصديق الحليف القديم للشعب الفرنسى » ، المألوفة . وبقي الأمر كذلك حتى الأخير ... حتى آخر رسالة بعث بها ملك فرنسى إلى داي جزائرى ، كما سنرى ... وذلك لسبب بسيط : هو أن الداي حسن ، بثقافته الواسعة - كان يجيد العربية ، والعثمانية ، والاسبانية،والايطالية - ، وبتفتحه على العالم ، وبتصوراته الفلسفية الثورية - وهو الذى تحمس للثورة الأمريكية (184) على « العجوز البغيضة » : أنكلترا ، المحتلة لها إذ ذاك - كان قد تحمس للثورة الفرنسية أيضا ، وهو أول رئيس دولة فى الأرض اعترف بجمهوريتها ، وأغدق عليها ما أغدق ، قرضا وإهداء ؛ بينما الداي مصطفى بدأ بمطالبتها بتسديد بعض المستحقات عليها من الديون (وليس ما قدم لها مجانا ، طبعاً !) .

(182) انظر الشكل رقم : 146 ج .
(183) إلى أن طفت على السطح من جديد ، فى العهد الاستدمارى ... ولكن لا بمعنى المجاملة ، والتملق ، والتقرب ، ودغدغة العواطف ، كما كان الأمر مع الداي حسن ... بل بمعنى آخر ... مختلف كلية ، ومرادف لـ « بيكو » ، و « بونيول » ، أى تدل على عكس المعنى الأصلى ، تماما ، مثلما صار لكلمتي : « *trabajo mauro* » ، بالإسبانية ، اللتين نشأتا فى اسبانيا تحت تأثير ازدهار الحضارة الإسلامية فى الأندلس خاصة ، والعالم العربى الإسلامى عموما ... « وأعطينا » فى الفرنسية : « *travail arabe* » . ففى الأصل كانتا رمزين للجودة ، والإتقان ، والدقة ، والتمتاز ، كما يصيح الأولاد فى شوارع القاهرة اليوم : « قلم ألماني ! ألماني ! » ، أو : « راديو يابانى يابانى ! » ... أما اليوم ، فـ « *trabajo 'arabe* » ، أو « *travail arabe* » ، له معنى آخر ...

(184) قبل أن يدخل معها فى ضراع ، ثم يعقد معها معاهدة سلم وصداقة .

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

A MUSTAPHA, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, le 24 messidor an VI (12 juillet 1798).

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu votre lettre amicale par laquelle vous nous annoncez votre avènement au trône d'Alger. Nous vous en félicitons d'autant plus sincèrement que nous sommes bien persuadés que vous avez pour la République française les mêmes sentiments d'affection et d'attachement que votre prédécesseur, le magnifique Pacha Hassan, lui avait voués. Les assurances que vous nous donnez à cet égard nous ont infiniment flattés, et vous ne devez pas douter que nous ne soyons très disposés à maintenir par tous les moyens possibles la bonne harmonie qui existe si heureusement entre la République française et la Régence d'Alger.

Votre lettre contient quelques objets de réclamations pécuniaires qui sont particulièrement relatives à des sujets musulmans ou juifs de votre pays. Nous n'entrerons pas ici dans les détails qu'ils pourraient comporter, parce que de pareilles questions ne nous semblent pas devoir être traitées dans une lettre amicale telle que celle que nous vous écrivons. Mais nous allons charger notre Consul, le citoyen Moltedo, de vous donner sur ces divers objets toutes les réponses que vous pouvez désirer. Nous espérons que vous ajouterez foi à tout ce qu'il vous dira de notre part et que vous ne trouverez rien, dans les paroles qu'il vous portera, qui puisse occasionner entre nous de la froideur ou de l'altération. Nous sommes au surplus bien aises de vous prévenir que, dès avant la réception de votre lettre, nous avions pourvu au remboursement des 200 000 piastres qui nous avaient été prêtées par votre prédécesseur, et nous avons à cet égard envoyé à notre Consul des ordres qu'il exécutera très fidèlement et dont nous ne doutons pas que vous ne soyez fort satisfait.

Nous vous réitérons, illustre et magnifique Seigneur, l'assurance de nos vœux pour la prospérité de votre personne et de vos États.

Donné au Palais national du Directoire exécutif, à Paris, le 24 messidor de l'an VI de la République française.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,
TALLEYRAND.

وابتداء من ربيع هذه السنة : 1798 م ، تلاحت أحداث كانت لها تأثيرات على العلاقات الجزائرية الفرنسية ، ستؤدي ، في النهاية ، كعامل إضافي ، ولسبب خارجي ، إلى تحقيق حلم فرنسي قديم ، هو : غزو الجزائر ، كما سبق أن ذكرنا .

توفي الداي حسن في 14 مايو 1798 م . وفي يونيو من نفس العام قام نابليون بونابارت بعدوانه على مصر . وفي طريقه إليها بعث بمذكرة دبلوماسية من مالطا إلى القنصل العام الفرنسي بالجزائر ، القائم بأعمال فرنسا فيها ، يطلب فيها منه القيام بمساع لدى الداي مصطفى لتبادل الأسرى ؛ وأنه بمجرد احتلاله مالطا أطلق سراح جميع الأسرى المسلمين ، ومنهم الجزائريون ، ويطلب منه في رسالة مرفقة أن يحصل « من الداي مصطفى ، بالمقابل ، على إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين والمالطيين في الجزائر بنفس العدد » ...

ويضيف :

« إن حكومة الدريكتور التنفيذية للجمهورية الفرنسية لن تتوانى في إقناع سكان مالطا والجزر التابعة لها بكل ما تكنه للجزائر من عواطف الود والصداقة » (185) .

ولكن هذا الكلام الجميل من نابليون بونابارت عن إطلاق سراح الأسرى المسلمين ، وعن الود والصداقة نحو الجزائر الخ ، كان متناقضا مع غزوه لمصر ... ولذا أعلنت الجزائر الحرب - تضامنا مع الدولة العثمانية التي كانت مصر مجرد ولاية لها ، ولم تكن دولة ذات سيادة مثل الجزائر - ومع الشعب المصري نفسه ، طبعاً ، « ووضعت جميع الفرنسيين في الجزائر في الأغلال ، بما فيهم القنصل العام الفرنسي (مولطيدو

(185) A. Devoulx : ibid, document 130, p. 131.

Molledo (186) ، القائم بأعمال فرنسا ، « كما قام الأسطول
الجزائري بنصيب نشيط ، منع الأسطول العثماني ، لطرد
نابليون من مصر » . (187)

وبعد هذا بعث نابليون ، الذي أصبح في الأثناء القنصل
الأول للجمهورية الفرنسية ، أي رئيسها الفعلي بدون اللقب
الرسمي ، مبعوثا خاصا ، اسمه دوبري تانفيل Dubois Thainville (188) ،
ومعه رسالة (189) و (190) بتاريخ 5 أبريل 1800 م ، إلى الداي
مصطفى لعقد السلم يقول له فيها ، مما يقول :

« من بونابارت ، القنصل الأول للجمهورية الفرنسية (أي
رئيسها بدون انتخاب) ، إلى مصطفى باشا ، داي الجزائر :

« أيها السيد الأمجد الأعظم ،

« ... إن حالة الحرب بين البلدين ليست من مصلحتهما ...

« وإنني أبعث إليكم بالمواطن تانفيل مع تفويض مطلق لإعادة
العلاقات السياسية والتجارية بين الدولتين ، على أساس الوضع
الذي كانت عليه قبل قطعها ... » ، « وإنني لـوائق بأنكم
ستخصصون لهذا المفاوض نفس الاستقبال الذي كنت سأخصصه

(186) A. Devoulx : ibid, document 132, p. 133.

(187) Spencer : ibid, p. 165.

(188) الذي سيخلف بعد قليل في الجزائر مولطيدو (Molledo) ، قنصلا عاما
وقائما بأعمال الجمهورية الفرنسية .

(189) انظر الشكل رقم : 147 .

(190) انظر الشكل رقم : 148 .

Bonaparte,
Premier Consul de la République Française,
A Moustafa-Pacha, Day d'Alger.

« Illustre et magnifique Seigneur,

« L'état de guerre survenu entre la République Française et la Régence d'Alger, ne prit point sa source dans les rapports directs des deux Etats, il est aujourd'hui sans motif.

« Contraire aux intérêts des deux peuples, il le fut toujours aux inclinations du gouvernement Français. Persuadé qu'il l'est pareillement aux vôtres, je n'hésite point à donner au citoyen Dubois-Thainville l'ordre de se rendre près de vous avec des pleins pouvoirs pour rétablir les relations politiques et commerciales des deux Etats, sur le même pied où elles étaient avant la rupture.

« J'ai la confiance que vous ferez à ce négociateur le même accueil que j'aurais fait à celui de vos sujets que vous auriez chargé d'une semblable mission près de moi.

« Recevez, illustre et magnifique Seigneur, l'expression de mes sentiments et de mes vœux pour votre prospérité.

« Donné à Paris, au palais National des Consuls, sous le sceau de la République Française, le 15 floréal an VIII de la République (3 avril 1800).

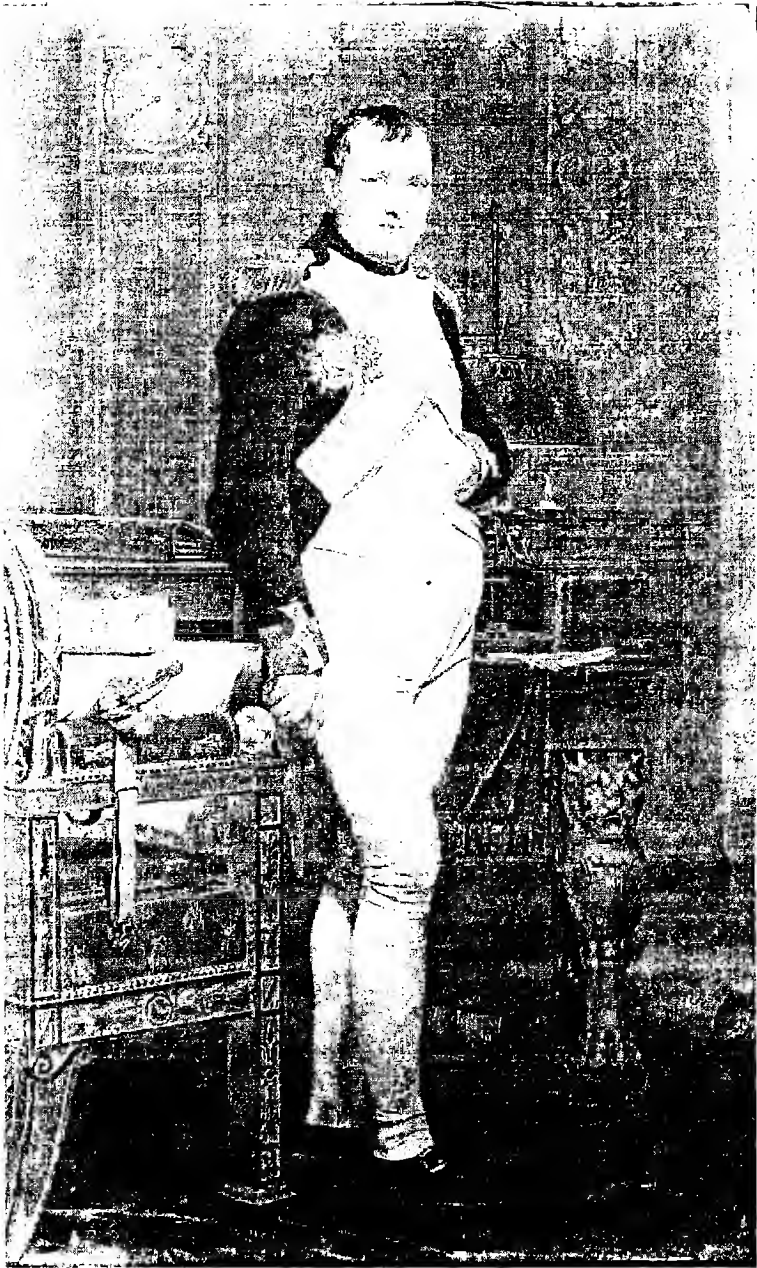
« Signatures de : Le premier Consul, BONAPARTE. — Par le premier Consul Le Secrétaire d'Etat, HUGUES, B. MAXET. — Le Ministre des relations extérieures, CH^r MAN. TALLEYRAND.

A son arrivée à Alger, M. Dubois Thainville conclut un armistice sur lequel les archives du consulat me fournissent les documents ci-après.

N° 133. — Enregistrement de l'armistice illimité, conclu le premier thermidor an huitième (1), entre la Régence d'Alger et la République Française.

« D'ordre du citoyen Dubois-Thainville, commissaire général des relations commerciales de la République Française à Alger, chargé de traiter la paix avec cette Régence, Nous, chancelier de ce commissariat, soussigné, avons enregistré l'armistice illimité conclu aujourd'hui entre cette Régence et la République Française, par le

(1) 20 juillet 1800.



95. — NAPOLEON Ier, par DAVID

نابليون الأول

الشكل رقم : (148)

لأى من رعاياكم تكونون قد كلفتموه بمهمة مماثلة عندي »
... الخ (191) و (192) .

وزيادة على هذه الرسالة إلى الداي مصطفى . التي فيها التفويض المطلق ، جهاز نابليون مبعوثه الخاص برسائل اعتماد لدى الداي ليقتبل به ممثلا جديدا دائما له في الجزائر ، وها هي ترجمة خلاصتها :

« حيث إن القنصل الأول (أى : نابليون) أبقى على المواطن شارل فرانسوا دوبو تانفيل في منصبه بصفته مندوبا ساميا عاما مكلفا بالشؤون التجارية وقائما بأعمال الجمهورية الفرنسية في الجزائر وجدد له الثقة في هذه المهمة ، فهو يرجو

(191) A. Devoux : ibid. doc. n° 132, p. 137.

(192) يلاحظ على شكل هذه الرسالة أن نابليون لم يحتفظ فيها إلا بالصيغة : « السيد الأجل الأعظم » ، التي بدأ باستعمالها لويس الرابع عشر ، ودرج ملوك فرنسا ، ثم قادة الثورة ، والجمهورية ، ونابليون نفسه ، عليها ، ثم لويس الثامن عشر ، ثم شارل العاشر ، إلى آخر رسالة وجهها هذا الأخير إلى الداي حسين يوم 20 سبتمبر 1824 ليخبره ب وفاة أخيه لويس الثامن عشر وتوليهِ العرش مكانه ...

أما صيغة « الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية » ، التي درج عليها قادة الثورة والجمهورية الفرنسية في مراسلاتهم مع الداي حسين فلقد ألغاهما نابليون قبل إلغائه الجمهورية نفسها ... كما ألغى قادة الدريكتوار قبله (المجلس التنفيذي للجمهورية الفرنسية ، أو مجلس الثورة) كلمة « سيدى » ، كما سبق أن ذكرنا ، بمجرد تولى الداي مصطفى ، بعد وفاة الداي « سيدى حسن » ، وكانوا قد درجوا على استعمال « سيدى » هذه منذ أواخر عهد لويس السادس عشر ! (الذي كان أول من استعملها) !

وذلك أن الشكليات لها علاقة بالجوهر : فزيادة على غضب الدريكتوار على مطالبة الداي مصطفى بتسديد الديون ، وغضب نابليون على إعلان الداي مصطفى الحرب على فرنسا ... فهناك أيضا بدء تغير في ميزان القوى : ففرنسا بدأت في صعود من جديد ... والجزائر بقيت حيث كانت ، أو بدأت تتقهقر ، وعدم التقدم نفسه تتقهقر ... والدهر قلب ! ولكل شئ إذا ما تم ...

السيد الأمجد الأعظم ، داي الجزائر، أن يأمر حكامه وضباطه « بالاعتراف للمواطن دويوة تانفيل » بالصفة المذكورة كمندوب سام عام للعلاقات التجارية وقائم بأعمال الجمهورية الفرنسية في الجزائر ، على أساس المعاملة التامة بالمثل لكل من يرسل لديه ويوصى عليهم عنده .

« حرر في باريس بختم الجمهورية ، في هذا اليوم الخامس عشر من شهر الزهور (floréal) من العام الثامن للجمهورية الفرنسية (5 أبريل 1800 م) » (193) .

ويرى القارئ أن نابليون استعمل في رسالته المباشرة الأولى إلى الداي مصطفى، مثل سابقه، كلمات ومفاهيم مثل «الشعبين» و « الدولتين » ، و « العلاقات السياسية والتجارية بين الدولتين كما كانت قبل القطع » ... كما سيعقد معه ، ومع من سيخلفونه ، معاهدات ... كما سنرى ، تنهى بها « حالة الحرب بين الأمتين » .

ونحن لا نظن أن دوغول المؤرخ ، والمولع بالتاريخ وبنابليون لم يقرأ هذه الرسائل ، ولا أنه لم يطلع على تلك المعاهدات، حينما ظل يطبل ويزمر - وآخرون معه ، وقبله وبعده ، بل وإلى اليوم ! - أن « الجزائر لم تكن أبدا دولة ، ولا أمة » ، بل ولا حتى شعبا ، قبل 1962 م ؛ وأن دوغول ، بالذات ، هو الذي جمع « شتات تلك العشائر المتناحرة ، والقبائل المتداخلة ، التي لا أصل لها ولا فصل في سجل التاريخ » ، « وأنعم عليها برفعها إلى درجة شعب ، ومنحها الاستقلال » ، تكرما منه ومنه ، سنة 1962 م ، وكان ذاك « ميلاد شعب وأمة » !

وبعد مجيء المبعوث الخاص إلى الداي مصطفى من نابليون بالتفويض المطلق الممضى منه بصفته القنصل الأول للجمهورية

(193) A. Devoulx : ibid, doc. n° 136, p. 139.

الفرنسية (أى رئيسها بدون انتخاب) ؛ وإمضاء وزير خارجيته ، الشهير الشنيع تاليران (194) ؛ وكاتبه للدولة ، مازى ، وبرسائل الاعتماد للمبعوث الخاص ممثلا دائما ، زيادة عن التفويض المطلق ، عقدت ، فعلا ، بين الجزائر وفرنسا :

(53) هدنة غير محدودة (armistice illimité) بين الداي مصطفى ، « داي الجزائر ، حاكم عاصمتها المحروسة (Dey, Gouverneur d'Alger la bien-gardée) ونابليون بونابارت ، القنصل الأول للجمهورية الفرنسية » (أى رئيسها) ، بواسطة مبعوثه الخاص دوبروة تانفيل ، وبتفويض مطلق منه :

(revêtu des pleins pouvoirs du Gouvernement français)
(كذا فى النص) ، وذلك فى الجزائر بتاريخ 28 صفر 1215 هـ ، الموافق 30 ميسيدور من العام الثامن للجمهورية الفرنسية .
30 Messidor, an VIII de la République Française. (19 يوليو 1800 م) .

وكانت مادتها الأولى هكذا :

« المادة الأولى : ابتداء من اليوم ، تنتهى حالة الحرب بين الأمتين » .

(Art. 1^{er} - A partir d'aujourd'hui toutes hostilités cesseront entre les deux nations) (195).

ثم عقدت :

(54) معاهدة سلم وتجارة بين الداي مصطفى ونابليون بونابارت يوم 30 سبتمبر 1800 م .

وهنا أعلن الداي مصطفى مرة أخرى حربا على نابليون ، حسب المؤرخ الفرنسى دوفو ، يوم 25 يناير 1801 م ، وحسب غارو : يوم 13 أبريل 1801 م (196) .

(194) انظر الشكل رقم : 149 .

(195) a) Devoulx : ibid, doc. n° 133, pp. 137-138.

b) De Clercq : ibid, t. 1, p. 394.

(196) a) Devoulx : ibid, p. 141.

b) Garrot : ibid, p. 609.



122. - TALLEYRAND, PAR PROUD'HON

تاليران

الشكل رقم : (149)

وبعد ثمانية أشهر مفاوضات ، بطلب من فرنسا ، انعقدت
من جديد :

(55) معاهدة سلم وتجارة بين الداي مصطفى ونابليون يوم
22 شعبان 1216 هـ ، الموافق للفتح من الشهر « الثلجي » من العام
العاشر للجمهورية الفرنسية le 1^{er} nivôse de l'an X de la République
(29 ديسمبر 1801 م) .

وقد كانت بعض موادها هكذا :

المادة الأولى : تعاد العلاقات السياسية (أى الدبلوماسية ،
باصطلاح اليوم) ، والتجارية بين الدولتين على الحال التى كانت
عليها قبل قطعها .

المادة الثانية : يجدد الإمضاء على المعاهدات ، والاتفاقيات ،
والتنصيصات السابقة فى اليوم نفسه من كل من الداي وممثل
الجمهورية . أمضاها الداي مصطفى ودوبوة تانزيل ، القائم
بأعمال الجمهورية الفرنسية ومندوبها السامى العام للشؤون
الاقتصادية ، بموجب التفويض المطلق من القنصل الأول
للجمهورية الفرنسية » . (197)

(56) تجديد معاهدة السلم والتجارة يوم 26 ديسمبر 1805 م ،
بين الداي أحمد خوجة والأمبراطور نابليون الأول ، (إذ هذا
هو لقبه الجديد : فبعد أن ألفى الدريكتوار (المجلس التنفيذي
الأعلى للجمهورية الفرنسية المتكون من خمسة أعضاء) ، يوم 9
نوفمبر 1799 م ، ولم يكن عضوا فيه ، أنشأ النظام القنصلى
المتكون من ثلاثة أعضاء يرأسون الجمهورية جماعيا ، وهو الأول
فيهم رسميا وعمليا ، بل الوحيد - والآخرا - صوريان - ، ثم

(197) وقد نشر نص هذه المعاهدة حتى فى ألمانيا ، فى العدد 45 من جريدة
مرانكفورت من سنة 1802 .

أعلن نفسه بقرار منه يوم 02 أوت 1802 م قنصلا أول مدى الحياة ، صادق عليه استفتاء شعبي فيما بعد ؛ ثم ألغى النظام القنصلي هذا وأعلن نفسه ، يوم 18 مايو 1804 م ، أمبراطور الفرنسيين ، بمصادقة أغلبية مجلس الشيوخ الذي أعلن الأمبراطورية وراثية ، متخذا اسم نابليون الأول رسميا ، المشتق من اسم أسطوري في ملحمة جرمانية ، ومستغنيا عن اسمه العائلي الكورسيكي Buonaparte ؛ ولم يذهب إلى الفاتيكان في روما ليتوجه البابا بيوس السابع ، بل هو الذي استدعى البابا المذكور إلى باريس ليتوجه في كنيسة نوتردام يوم 02 ديسمبر 1804 م) .

وهنا نذكر بمعاهدة تيلسيت سنة 1807 م ، ومؤامرة نابليون ضد الجزائر ، وقد مررنا بهما في فصل المؤامرات .

وفي 17 من أكتوبر 1807 م ، كتب وزير خارجية نابليون الأول إلى قنصله العام القائم بأعمال الجمهورية الفرنسية في الجزائر ، دوبري تانفيل ، « إن نابليون ساخط على الجزائر التي لا تزال تأسر سفن جنوة وسردينيا (اللتين أصبحتا من رعايا فرنسا) ، وأنه إذا لم تكف عن ذلك فيأمركم بمغادرتها وسيعلن عليها الحرب » .

وغادر القنصل الفرنسي العام الجزائر فعلا ، ولكن نابليون لم يعلن عليها الحرب .

وبعد أن انتخب الداي الحاج علي يوم 4 مارس 1808 م ، واثرا خلاف حدث مع الممثل الفرنسي الذي بقى وراء القنصل العام ، أمره الداي الحاج علي بمغادرة البلاد . « ولكن عندما أراد القنصل الفرنسي أن يأخذ معه جميع الفرنسيين المقيمين في الجزائر ، معتبرا أمر الداي إشارة قطع للعلاقات الدبلوماسية

وبداية حرب ، منعه الداي من ذلك ، ثم أمر بوضعه ، فجأة وبدون سابق إنذار ، فى سفينة أمريكية على وشك الإقلاع إلى فرنسا . فاغتاز القناصل الأوروبيون ، وقاموا بمسمى جماعى للاحتجاج لدى الداي الحاج علي .

« ولكن الحكومة الفرنسية كتبت إلى مفوضيتها فى الجزائر أنها لا تعتبر ذلك مبررا لإعلان حرب على الجزائر » (198) .

فكما سبق لنا بليون أن أرسل إلى الداي مصطفى بمبعوثين خاصين ، منهم نائب الأدميرال ليسينغ (199) ، والكونت الجنرال هولان (200) ، بل شقيقه أيضا ، جيروم بونابارت (201) ، لإعادة التفاهم مع الجزائر، نجده هذه المرة أيضا يرسل بوفود ومبعوثين خاصين إلى الداي الحاج علي، منهم تروود (202)، Troude ، كما سعى حثيثا من أجل عقد أو تجديد معاهدة أو اتفاقية مع الجزائر .
وفعلا فقد تم :

(57) تجديد الاتفاقية الاقتصادية يوم 7 نوفمبر 1808 م ، بين الداي أحمد خوجة ونابليون الأول .

« وفى 27 أبريل 1811 م ، رجع دوبة تانفيل ، القنصل العام القائم بأعمال فرنسا وإيطاليا (الملحق بها) ، إلى الجزائر ، مكلفا من نابليون الأول بمهمة إعادة حسن التفاهم بين الأمتين
« le rétablissement de la bonne entente entre les deux nations ».

(198) Devoulx : ibid, doc. n° 140, p. 145.

(199) انظر الشكل رقم : 150 .

(200) انظر الشكل رقم : 151 .

(201) انظر قائمة المبعوثين الخاصين من ملوك فرنسا ، ومن قادة ثورتها وجمهوريةها الأولى ، ومن نابليون (قنصلها الأول ثم إمبراطورها) ، ثم من ملوكها العائدين ، إلى قادة الجزائر ، من خير الدين إلى الداي الأخير ، حسين ، فى آخر هذا الفصل .

(202) انظر الشكل رقم : 152 .



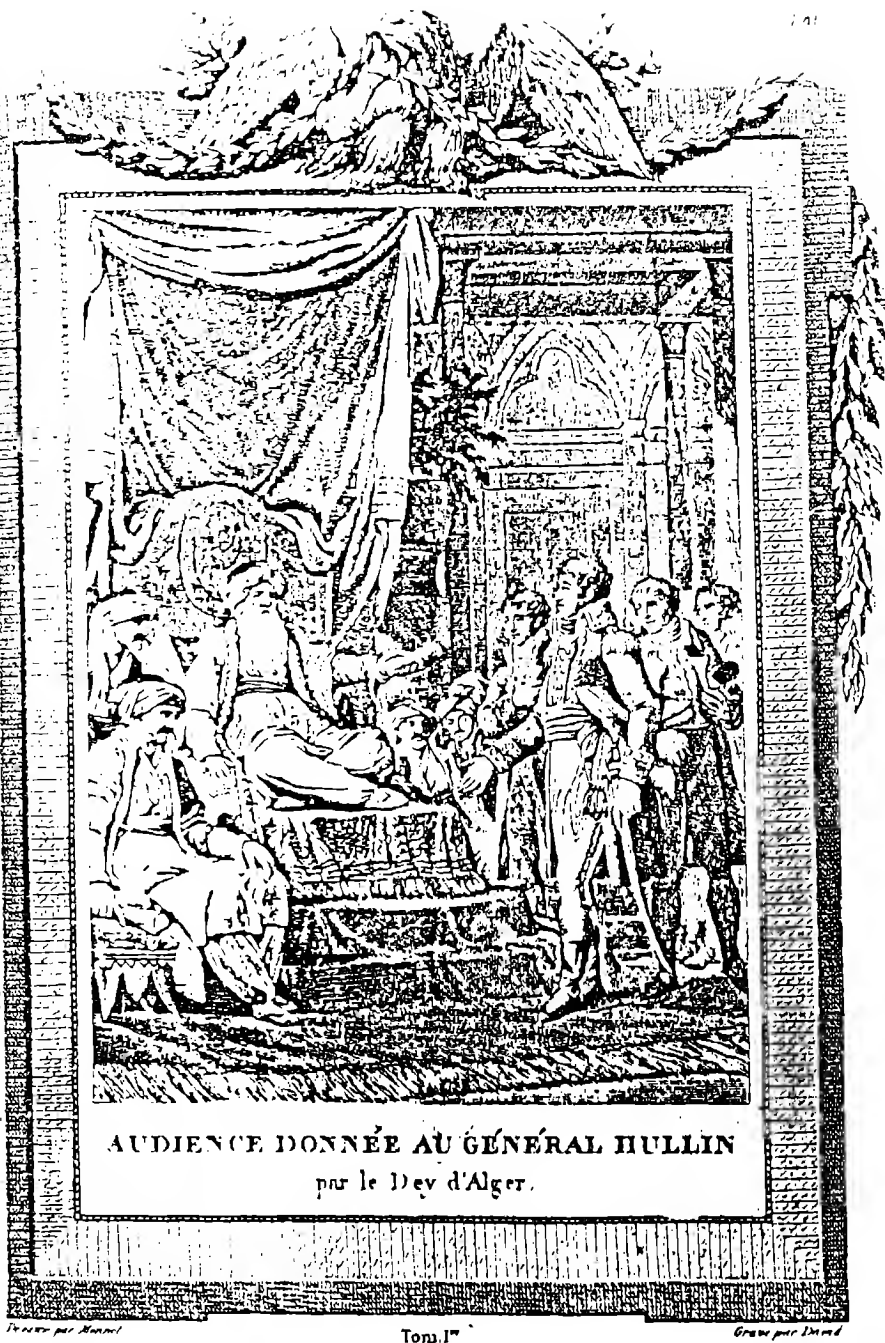
LEISSÉQUES.

Le Vice-Amiral Leisséques

120.- Le Vice - amiral Leisséques

المبعوث الخاص من نابليون إلى الداي مصطفى باشا

ليسيسغ



119. - Audience donnée au général Hullin par le dey d'Alger
(Mustapha Pacha, en 1802)

الداى مصطفى باشا يستقبل الجنرال هولان ، المبعوث الخاص من نابليون (1802)

LISTE DES COMMISSAIRES ET ENVOYÉS
DE LA COUR DE FRANCE PRÈS LA RÉGENCE D'ALGER

De la Forest.....	1531
De Montluc.....	1537
D'Aramon.....	1551
D'Albisse.....	1552-1553
San Pietro d'Ornano.....	1561
De Ménilon.....	1573
Savary de Brèves.....	1604
Du Mas de Castellane.....	1616
De Mortier.....	1619
Napollon.....	1623-1628
D'Estempes, seigneur de l'Isle- Antry.....	1632
Lepage.....	1634-1637
De Mantin.....	1637
De Cocquiel.....	1639
De Montigny.....	1640
De Montmeillan.....	1641
De Rominhac.....	1661
De Clerville.....	1661
Trubert.....	1666
De Martel.....	1668-1672
D'Almeras.....	1673
De Gabaret.....	1675
De Tourville.....	1679
Duquesne.....	1680
Hayet.....	1681
De Virelle.....	1681
Dusault.....	1683
De Tourville.....	1684-1685
De Blainville.....	1686
Dortières.....	1687

Marcel.....	1680-1690
Dusault.....	1697
Duquesne-Monnier.....	1714
Duseult.....	1719
D'Andrezel.....	1724
De Grandpré.....	1724
De Beaucaire.....	1724
De Monts.....	1727
De Gencien.....	1730
Duguay-Trouin.....	1731
De Caylus.....	1731
De Watan.....	1732
De Court de la Bruyère.....	1734
De Massiac.....	1742
Du Revest.....	1748
De Rochemore.....	1762
De Cabanous.....	1762
De Fabry.....	1763-1764
De Sade.....	1764
De Forbin.....	1776
De Bonneval.....	1777
De Tott.....	1777
De Vialis.....	1777
De Martelly.....	1778
De Cypières.....	1781
De Vialis.....	1781
De Martineau.....	1781
De Bessay.....	1783
De Ligondez.....	1785
De Blechon.....	1788
Venture.....	1788

× De Sainneville.....	1789
Do Brueys.....	1791
De Missiessy.....	1791
Gavolty.....	1792
Rondeau.....	1792
Raccord.....	1793
× Herculaïs.....	1796
Bané.....	1797
Demay.....	1801
× Leyssegues.....	1802
Hulin.....	1802
Berge.....	1802
× Bonaparte (Jérôme).....	1805
× Troude.....	1808
× Boutin.....	1809
× De Meynard.....	1811-1814
De Saint-Belin.....	1814

× Touffet.....	1815
De Parseval.....	1815
Raynouard.....	1816
Jurien de la Gravière.....	1819
Duval d'Ailly.....	1819
De Méry.....	1822
Drouault.....	1824
Fleury.....	1826
Feure.....	1827
Collet.....	1827
Bézard.....	1829
De la Bretonnière.....	1829
De Nerciat.....	1829
De Clairval.....	1830
Bézard.....	1830
Da Bourmont.....	1830
Duperré.....	1830

E. Planter.

الشكل رقم : (152)

« ولكن الداي الحاج علي رفض السماح له بالنزول من السفينة ، لأن القنصل العام القائم بالأعمال لم يأت بالهدايا التقليدية (203) ، التي أراد نابليون الأول ، بمجرد توليه الحكم ، وضع حد لها .

« وأخيرا اضطر ، هو أيضا ، إلى الامتناع لشروط الداي ورضخ ... » (204) .

وقد استمر الأمر كذلك ... ولم تطل الحال بنابليون ... إذ حدث له ما حدث لكثير من ... أقرانه وأمثاله - وصدق أبو حيان التوحيدي إذ يقول : « السلطان هو البعيد عن السلطان ! » (205) - فعزله مجلس الشيوخ يوم أول أبريل 1814 م ، ثم تنازل هو نفسه عن العرش في اليوم 04 منه ، وتولى مكانه لويس الثامن عشر عرش أخيه المعزول ، ثم المعدم ، لويس السادس عشر .

وبمجرد عودة لويس الثامن عشر من المنفى في آخر أبريل (1814 م) ، وقبل أن يباشر مهام عرشه كملك جديد ، على كل : قبل أن يصدر الميثاق الدستوري الذي كان أول أعماله الرسمية ، سارع إلى إرسال مبعوث خاص ، في سفينة خاصة ، إلى الجزائر لإبلاغ الداي الحاج علي خبر جلوسه على عرش أخيه ، لويس السادس عشر ، وأجداده ...

واستقبل الداي الحاج علي المبعوث الخاص ، دي مينار De Meynard ، الذي وصل يوم 02 مايو (1814 م) ، ثم أرفده الملك بمبعوث ثان إلى الجزائر ، يحمل وثيقتين : إحداهما رسالة منه إلى الداي

(203) وهذه الهدايا للدولة ، وليست للأفراد ، ويشترط فيها - مثلما

يشترط في الإتاوة - أن تكون عتادا وأجهزة ، لا مالا ، ولا غيره .

(204) Devoulx : ibid, doc. n° 143, p. 146.

(205) أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة .

الحاج علي ، بتاريخ 20 مايو ، يؤكد له فيها خبر صعوده على العرش ، ويطلب « تجديد المصادقة على جميع المعاهدات السابقة بين البلدين ، وكل ما يدعم أكثر فأكثر السلم والصداقة بين المملكتين » ... ويخبره أيضا « بالرغبة في الإبقاء على دبوة تانفيل ، بصفته القنصل العام القائم بأعمالنا لديكم ، وبتجديد اعتماده ... » . (206)

والوثيقة الثانية منه هي تجديد أوراق الاعتماد المذكورة ، يقول فيها الملك الجديد ، مما يقول ، ما يلي :

« ليس لدينا شيء أكثر استعجالا ، منذ جلوسنا على العرش ، من المحافظة على سلم صادقة ، ومودة خالصة ، وتفاهم كامل ، بيننا ومملكة الجزائر ، ورعايا الدولتين .

« ولهذا الغرض خولنا بهذه الأوراق المضاة منا السلطات الخاصة والتفويض المطلق لعزیزنا ، المحبوب منا ، السيد دوبوة تانفيل ، القنصل العام لفرنسا ، القائم بأعمالنا لدى داي الجزائر ، ليمضى مع السيد العظيم ، الداي المذكور ، أو أى شخص مكلف منه بذلك ومخولة له سلطات كافية ، تجديد المعاهدات السابقة بين الدولتين » ... الخ (207) و (208) .

وبعد أيام من هذه الرسالة وقع :

(58) تجديد المعاهدات السابقة فى ١١ يوليو ١8١4 م ، بين الداي الحاج علي ولويس الثامن عشر .

وفى هذه الأثناء ... رجع نابليون الأول إلى العرش ، يوم 20 مارس ١8١5 م ، وفر الملك ، لويس الثامن عشر ، ..

(206) انظر الشكل رقم : 153 أ ، 153 ب .

(207) انظر الشكل رقم : 154 .


(208) Devoulx : ibid, doc. n° 146, p. 150.

Paris, le 20 mai 1811.

Illustre et magnifique Seigneur,

Dieu a daigné mettre un terme aux discordes et aux maux qui affligeaient depuis trop longtemps l'Empire de France. Les

droits de notre naissance et les lois fondamentales de l'Etat nous ont appelé au trône de nos ancêtres, et nous avons pris les rênes de l'Empire français au milieu des acclamations de nos peuples, qui nous ont donné les marques les plus vraies de leur

1. Voy. *État des Français esclaves à Alger réclamés par Dubois-Thainville, Consul général et Chargé d'affaires de France, en vertu des ordres de M. de Champagny, Ministre des Affaires étrangères, le 17 octobre 1807. (Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.)* 

2. Dubois-Thainville finit par obtenir satisfaction, mais, malgré tous ses efforts et toute sa diplomatie, il ne put résister longtemps aux demandes de présents qu'il s'était promis d'éluder. Sa situation devint de jour en jour plus difficile, et dans l'année 1811, poussé à bout par tous les officiers de la Régence, il décida le Gouvernement de l'Empereur à envoyer à Alger les cadeaux si désirés. Voy. *État des présents faits par Dubois-Thainville au Dey et à la Régence d'Alger, le 13 mai 1811.* — Cet état s'élève à 292 307 fr. 55 c. Il comprenait des vases, des candélabres, des tasses à sorbet, des pendules, des pipes à l'orientale, des coupes à fruits, un brûle-parfums, des aiguères, un nécessaire de toilette, 188 aunes de drap, 13 pièces de soie brochée or et argent, 36 aunes de velours, etc. Le Dey envoya à Napoléon deux chevaux magnifiques avec leur harnachement. Famin, chargé de l'Agence des relations extérieures à Marseille, fut spécialement désigné pour surveiller ces envois.

3. Akhmed avait été assassiné le 7 novembre 1808 et remplacé par Ali Khodja.

الشكل رقم : (153) †

respect et de leur amour pour notre personne sacrée ¹. Dieu, qui est dans tous les cœurs, est témoin que nous n'avons d'autre désir que de marcher sur les traces de nos augustes aïeux. La droiture et la justice seront toujours le fondement et le lien de l'attachement de nos sujets comme de l'amitié des nations étrangères.

Nous confirmons d'autant plus volontiers les traités qui existent entre la France et la Régence d'Alger que nous sommes convaincu que vous en remplirez fidèlement les conditions, et que vous rendrez à notre Couronne impériale et à nos sujets tout ce qui peut affermir de plus en plus la paix, l'amitié et la correspondance la mieux établie. C'est dans cette confiance que nous avons voulu vous assurer nous-même de notre affection et de notre haute bienveillance.

Nous envoyons nos pleins pouvoirs au sieur Dubois-Thainville, que nous confirmons dans la place de Consul général et de Chargé de nos affaires auprès de vous ¹. Nous lui donnons ordre de vous présenter cette lettre, et nous vous requérons d'ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom.

Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, illustré et magnifique Seigneur, en sa sainte et digne garde.

Écrit en notre château impérial des Tuileries de Paris, le 20 mai de l'an de grâce 1814, de notre règne le 19^e.

Louis.

étranglé le 4 mars 1809, puis par Hadji Ali, Écrivain des chevaux, du despotisme duquel notre Consul général ne tarda pas à se plaindre. (2)

1. La nouvelle du rétablissement des Bourbons fut apportée à Alger le 2 mai 1814 par la frégate La Junon, commandée par M. de Meynard. Cet officier « remplit avec beaucoup d'adresse et de dignité sa mission », au dire du Consul général, reçut du Dey l'accueil le plus flatteur, et fit saluer sans aucune difficulté le nouveau pavillon blanc par les canons des forts. — Le 6 juillet arriva dans la rade la frégate Le Faune, commandée par le comte de Saint-Belin, qui remit à Hadji Ali les lettres de la Cour des 20 et 23 mai.

2. Voy. Pleins pouvoirs du Roi à Dubois-Thainville pour le renouvellement des traités, le 20 mai 1814. — Voy. aussi Enregistrement de la commission de Louis XVIII en faveur de M. Dubois-Thainville, qui l'autorise à faire confirmer en son nom nos traités avec la Régence. (Les Archives du Consulat général de France à Alger, par Devouls, p. 150.)

N° 140. — Enregistrement de la Commission de Louis 18^e en faveur de M. Dubois de Thainville, qui l'autorise à faire confirmer en son nom nos traités avec la Régence.

« Louis, par la grâce de Dieu, Empereur et Roi très-chrétien de France et de Navarre, à tous ceux qui ces présentes verront, salut. Nous n'avons rien de plus pressé à notre avènement au trône, que de conserver une sainte paix, amitié et bonne intelligence entre nous et la Régence d'Alger et les sujets respectifs des deux Etats. A ces causes, nous avons donné et donnons par ces présentes signées de notre nom, pouvoir, commission et mandement spécial à notre cher et bien aimé le sieur Dubois-Thainville, consul général de France et chargé de nos affaires auprès du Dey d'Alger, de signer avec le dit-Seigneur Dey d'Alger, ou une personne chargée de sa part et munie de pleins pouvoirs suffisants, la confirmation des anciens traités qui existent entre l'Empire de France et la Régence d'Alger. Promettons en foi et parole d'Empereur et de Roi d'avoir agréable et tenir ferme et stable la dite confirmation qui aura été signée par le sieur Dubois-Thainville, sans aller ni souffrir qu'il soit allé directement ou indirectement, au contraire, pour quelque cause et occasion que ce puisse être, et d'en fournir la ratification en bonne et due forme dans les termes dont on sera convenu, car tel est notre plaisir. En foi de quoi, nous avons fait mettre à ces présentes, notre sceau secret Impérial et Royal.

« Donné à notre château Impérial des Tuileries à Paris, le vingtième jour de mai de l'an de grâce dix-huit cent quatorze et de notre règne le dix-neuvième.

« Signé : Louis, timbré des armes royales. Et plus bas contresigné : le prince de Benevent, Ministre et Secrétaire d'Etat au département des affaires étrangères. Enregistré à Alger, le 6 juillet 1814. »

N° 147. — Assemblée des Français résidents ou de passage à Alger, à l'occasion d'une commission émanée de S. M. T. C. en faveur de M. Dubois de Thainville, son consul général et chargé d'affaires de ce royaume.

« L'an mil huit cent quatorze, et le dix du mois de juillet, après-midi, par mandement de M. Dubois de Thainville, consul général de France, chargé d'affaires de S. M. T. C. près le Dey et la Régence d'Alger, ont été convoqués M. M. les Français résidents ou de passage en cette ville, dans la salle de la maison Consulaire, où étant (et

A. Devoulx : Archives du Consulat Général de France à Alger

وبعد عشرة أيام من عودة نابليون ، وقع :

(59) تجديد معاهدة السلم والتجارة فى 30 مارس 1815 م ،
بين الداى محمد خسرو ونابليون الأول (فى عودته للمائة يوم :
« les Cent Jours »).

وتلتها تقريبا مباشرة معاهدة أخرى هى :

(60) إعادة تجديد معاهدة السلم والتجارة فى 16 من أبريل
1815 م ، بين الداى عمر ونابليون الأول .

وكان نابليون الأول أراد أن يزيـد من مفعول هاتين
المعاهدتين الجديدتين بينه والدايين محمد خسرو وعمر ليؤكد
للجميع – وليس فقط للمختصين – رجوعه إلى الحكم ، فرأى أن
يبعث برسالة إلى الداى عمر يتول له فيها : « إنكم لا شك
سمعتم برجوعى إلى باريس ، وذهب عائلة البربون » ... ويؤكد
فيها «المبدأ الصارم للسياسة الفرنسية بخصوص الاحترام المطلق
لاستقلال الأمم الأخرى ...

« ولهذا أسارع إلى كتابة هذه الرسالة إليكم لأعبر لكم عن
مودتنا الخاصة ... الخ » (209) .

ولكن نابليون لم يدم ملكه هذه المرة إلا ثلاثة أشهر ، أو
قاربة مائة يوم ، كما تسمى ، : « les Cent Jours » ، ثم تنازل
للمرة الثانية ، وهذه المرة نهائيا ، يوم 22 يونيو 1815 م ، وعاد
لويس الثامن عشر :

وقد عقدت معه خمس اتفاقيات ومعاهدات :

(61) اتفاقية اقتصادية يوم 15 مارس 1817 م ، بين الداى علي
خوجة (210) ولويس الثامن عشر (211) .

• (209) انظر الشكل رقم : 155 .

• (210) انظر الشكل رقم : 156 .

• (211) انظر الشكل رقم : 157 .

Paris, le 29 avril 1815.

Illustre et magnifique Seigneur,

Vous aurez sans doute appris mon retour sur les côtes de France, mon entrée à Paris et le départ de la famille des

Bourbons ¹. Ce grand événement, inscrit en caractères ineffaçables sur la table de lumière, a été l'effet d'une irrésistible puissance, secondée par la volonté unanime d'une grande nation qui connaît ses devoirs et ses droits. La dynastie que la force avait rendu au peuple français n'était plus faite pour lui. Les Bourbons n'ont voulu s'associer ni à ses sentiments ni à ses mœurs; la France a dû se séparer d'eux, et ils ont quitté son territoire sans qu'il ait été tiré un seul coup de fusil, ni versé une seule goutte de sang pour leur défense.

La voix de mes peuples m'appelait pour libérateur, et du point où j'ai touché le rivage, leur amour m'a porté jusqu'au sein de ma capitale. Le premier besoin de mon cœur est de payer tant d'affection par le maintien d'une honorable tranquillité, et ma plus douce pensée est de concourir par tous les moyens qui sont en mon pouvoir à l'affermissement du repos de l'Europe.

La France se plaît à proclamer avec franchise ce noble but de tous ses vœux. Jalouse de son indépendance, le principe invincible de sa politique sera le respect le plus absolu pour l'indépendance des autres nations. C'est pour vous donner l'assurance de ces sentiments que je m'empresse de vous adresser cette lettre, témoignage sincère de notre affection et de notre haute bienveillance pour votre personne.

Sur ce nous prions Dieu, illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous tienne sa sainte et digne garde.

NAPOLEON.

1. Voy. la note 3, p. 521.

2. Deval.

3. Le despotisme d'Ali avait provoqué une révolte de 70 Janissaires, qui l'avaient fait égorger, le 21 mars 1815, pendant qu'il était au bain. Hadji Mohammed, Khaznadji de la Régence, avait été proclamé à sa place, puis étranglé le 7 avril suivant et remplacé par Omar, alors Agha des spahis. C'était, au dire du Chancelier Ferrier, un homme de caractère. « J'ai lieu de croire, écrivait cet agent, que nous serons plus contents de son administration que de celle d'Hadji Ali, qui n'a laissé ici que des souvenirs de cruauté et de tyrannie. » Voy. *Lettres de Ferrier au comte de Jaucourt*, les 23 mars et 16 avril 1815. — Nos traités avaient été ratifiés par Hadji Mohammed et par Omar les 30 mars et 16 avril 1815.

1. Napoléon avait débarqué au golfe Juan le 1^{er} mars, et avait fait son entrée triomphale à Paris le 20 du même mois. Louis XVIII avait quitté les Tuileries la veille et s'était réfugié à Gand.



الداى علي خوجة

الشكل رقم : (156)



لويس الثامن عشر
ملك فرنسا

الشكل رقم : (157)

(62) تجديدها يوم 26 أكتوبر 1817 م ، بينهما .
(63) تجديد معاهدة السلم والتجارة في 29 مارس 1818 م ،
بين الداي حسين (212) ولويس الثامن عشر (213) .
(64) وثيقة اعتراف فرنسا بدين عليها للجزائر يوم 23
ديسمبر 1819 م ، بين الداي حسين ولويس الثامن عشر (214) .
(65) اتفاقية اقتصادية يوم 24 يوليو 1820 م ، بين الداي
حسين ولويس الثامن عشر .

وفي سنة 1824 م ، تلقى الداي حسين رسالة (215) من شارل
العاشر ، الملك الجديد في فرنسا ، يخبره فيها ب وفاة شقيقه
لويس الثامن عشر ، وبجلوسه على العرش خلفا له .

وقد كان ذلك النعى بعد أربعة أيام فقط من الوفاة ويؤكد
له فيها تمسك فرنسا بالمعاهدات السابقة التي عقدتها مع
الجزائر ، وعلى السلم والصداقة ... ومعها طلب الموافقة على
تجديد الاعتماد للقنصل العام القائم بأعمال فرنسا لديه ،
المشئوم ، نذير الشر ، السوء السمعة ، بيير دو فال Pierre Deval ...
... (216) صاحب حكاية المروحة ... (217) .

وقد كانت هذه آخر رسالة تلقاها رئيس دولة جزائري من
رئيس دولة فرنسي ، من ذلك السيل العرم من الرسائل ، الممتدة
من 1579 حتى 1824 م ... والمحفوظة ، ويجمعها مجلدان في
أكثر من ألف صفحة ...

(212) انظر الشكل رقم : 157 مكرر 1 .

(213) انظر الشكل السابق رقم : 157 .

(214) De Grammont : ibid, p. 387.

(215) انظر الشكل رقم : 157 مكرر 2 .

(216) Devoulx : ibid, doc. n° 148, p. 151-152.

(217) انظر الشكل رقم : 158 .



HUSSEIN,
DERNIER DEY D'ALGER.

« لن تزهر الدفلى الفرنسية في الجزائر ! »

الشكل رقم : (157) مكرر 1

Saint-Cloud, le 20 septembre 1824.

Illustre et magnifique Seigneur,

Dieu vient d'appeler à lui notre très aimé frère Louis XVIII¹, Empereur de France, de glorieuse mémoire. Il nous serait impossible de vous exprimer la douleur et l'affliction où nous a jeté un coup aussi affreux qu'inattendu. Ce Prince a succombé à une maladie qui était la suite de ses anciennes infirmités. La Providence nous a enlevé le plus tendre des frères et a privé la France du meilleur des Empereurs. Les étrangers perdent un ami de l'humanité, un allié fidèle et sincère. Nous connaissons trop les sentiments qu'il vous avait inspirés pour n'être pas assuré que vous donnerez des regrets à la mémoire de cet auguste Monarque. Le droit de notre naissance et les lois fondamentales de l'Empire de France nous ont appelé au trône de nos ancêtres, et nous avons pris les rênes de l'Empire français au milieu des acclamations de nos peuples, qui nous ont donné les marques les plus vraies de leur respect et de leur amour pour notre personne sacrée. Dieu, qui est dans tous les cœurs, est témoin que nous n'avons d'autre désir que de marcher sur les traces de notre auguste frère. La droiture et la justice seront toujours le fondement et le lien de l'attachement de nos sujets comme de l'amitié des nations étrangères.

Nous confirmons d'autant plus volontiers les traités entre la France et la Régence d'Alger que nous sommes convaincu que vous en remplirez fidèlement les conditions, et que vous rendrez à notre Couronne impériale et à nos sujets tout ce qui peut affermir de plus en plus la paix, l'amitié et la correspondance la mieux établie. C'est dans cette confiance que nous avons voulu vous assurer nous-même de notre affection et de notre bienveillance.

Nous envoyons nos pleins pouvoirs au sieur Deval, que nous confirmons dans sa place de Consul général et de Chargé de nos affaires auprès de vous. Nous lui donnons ordre de vous présenter cette lettre, et nous vous requérons d'ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom. Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte et digne garde.

Ecrit en notre château impérial de Saint-Cloud, le 20^e jour de septembre 1824.

CHARLES.

1. Le 16 septembre 1824.

وبوصول القنصل إلى باريز ؛ جهزت دولة فرنسا أساطيلها ، وبعثتها إلى الجزائر
تتظر الأبرال « كوليت » فنازلها . بغاديا القتال وبرأوحها ، واستمر محاصراً لها ،
نحو ثلاث سنين ، حتى لانت قوته . وانفدت ذخائره ، وانقرض معظم جيشه .
وتكسرت أكثر مراكزه . وكانت خائفة أمره بقتله . ذكر بعض المؤرخين : أن
النفقة على هذه الحملة ؛ كانت أكثر من عشرين مليون فرنك . وأما حكومة الجزائر ؛
فلم بلحقها كبير ضرر . ولما علم « حسين باشا » ، أن دولة فرنسا لا ترفع يدها عن الجزائر



الشكل رقم : (158)

سبب النكبة : المير دو فال قنصل فرنسا في الجزائر

وأنها تراجع منازلها لا محالة ؛ أخذ في تثقيف البلد . وتحصين حوزتها . ثم انتقل
بأهله وحاشيته إلى القصبة .

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين وألف هجرية (١٢٤٥) . وتسع وعشرين وثمانمائة
وألف ميلادية (١٨٢٩) ؛ بعثت دولة فرنسا معتدداها « دي لابر » إلى الجزائر ، يطلب
نفقة الجزائر م ٩

وقد حرصنا على إيراد عينات منها ... ولم نورد كثيرا من رسائلنا إليهم ، لأننا لم ننكر وجودهم أبدا ، ولكنهم هم الذين ظلوا، منذ 1830 م ، ينكرون وجودنا في الماضي كدولة ، وأمة ، بل حتى كشعب ... وحتى اليوم نسمع من حين إلى آخر نغمة من ذلك اللحن القديم !

ولهذا جعلناهم هنا يكذبون بعضهم بعضا ... ولهذا أيضا أوردنا صورا لبعض تلك الوثائق بلفتهم ... ليتأكد بعض المشككين هناك ، وبعض المتشككين هنا ، وما أكثرهم هنا وهناك ، على لغة جار الله الزمخشري ، صاحب الكشف ، والزمان كشف ، وصدق الشاعر الأندلسي مؤمن بن سعيد إذ يقول :

ما كل ما قيل كما قبلا

فقد باشر الناس الأباطيلا !

تبقى لنا معاهدة أخيرة ، تكون السادسة والستين (حتى 1830 م) ، ... ورسالة أخيرة ... وهما اتفاقية تسليم الجزائر يوم 05 يوليو 1830 م ، ورسالة من الداي حسين من منفاه بإيطاليا ... إلى لويس فيليب ... سنأتي عليهما في الفصل الأخير من علاقاتنا مع فرنسا قبل 1830 م ... إذ بهما ختمت فصول ، وبدئت أخرى ... طويلة ...

كنا وقفنا عند استعراضنا للنوايا والغارات العدوانية الفرنسية عند إعلان فرنسا الحرب على الجزائر يوم 16 يونيو 1827 م . فلنذكر الآن أسبابه وظروفه :

العدوان وأسبابه : النوايا القديمة ، والديون ، «والمروحة» !

وقبل أن نعرض طريقة الغزو ، نرى من المناسب أن نعود إلى أسطورة المروحة التي كانت المفجر لمشروع قديم عمره ستة قرون !

سبق أن ذكرنا تحفظ غالبري بخصوص « الرواية الرسمية للحدث » ، وهو تحفظ ينم عن نزاهة علمية تشرف المؤرخ الفرنسي وكتابه الضخم ، لولا أنه سارع إلى تعليق آخر ... يبرر فيه الغزو الفرنسي « عقابا » للدائ حسين ، فيقول :

« فحتى لو كان هناك داع لدى الداي للشكوى من القنصل دوفال - وهي شكوى لا يمكننا قبولها بحال - فما كان له أن يضربه » (218) و (219) .

(« s'il avait à se plaindre du Consul, ce que nous ne saurions admettre, il ne devait pas le frapper »).

أى أنه للقنصل دوفال ، الشاب الأرغن ، أن يشتتم الشيخ المسن ، رئيس الدولة ، الداي حسين ، فى عاصمته ، بل وفى قصره ، ويوم عيد ، وأمام حاشيته والسلك الدبلوماسي ، فضلا عن الموضوع نفسه ، وهو رفض فرنسا تسديد الديون ، ولكن ... ليس للدائ أن يرد الفعل ... ولا أن ينفعل ، بل كان عليه أن يبلع الإهانة ... ويسكت !

مع أن المؤرخ المذكور نفسه يضيف ، فى ذات النفس ، فى الفقرة التى بعدها ، هذا الوصف الذى ذكره المؤرخ الجزائرى ، صديق الداي حسين ، حمدان خوجة ، الذى عاين الحادث ، إذ يقول فى كتابه « المرأة » :

« كان جواب دوفال للدائ حسين مقدها ، إذ قال له :

« إن حكومتى لن تتنازل للإجابة عن رجل مثلكم » ، علانية ، وأمام الملأ ، مما أفقد الداي حسين رباطة جأشه ، فطمه بمروحة من سعف النخل كانت فى يده » . (220)

(218) Galibert : ibid, p. 251.

(219) انظر الشكل السابق رقم : 87 .

(220) Galibert : ibid, p. 251.

ويقدم غالبير لتعليقه المذكور بقوله :

« وهكذا يتضح أن الداء هو الظالم فى جميع الحالات ،
المسئول عن هذا القطع للعلاقات بين فرنسا والجزائر . فحتى
لو كان هناك داع لدى الداء ... الخ » ، مما أوردناه فى بدء
عرض هذا الحادث .

ولكن بعد أن أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر يوم 16 يونيو
1827م ، اختلف المسئولون الفرنسيون ، من الملك شارل العاشر ،
ورئيس حكومته ، ووزيرى حربيته وخارجيته ، إلى كبار القادة
المسكريين ، وكبار الموظفين ، على الطريقة ، وليس على الهدف
المشترك .

فبينما كان يرى قادة البحرية الفرنسية عدم جدوى الغزو
البحرى ، متعظين فى ذلك بالتجارب السابقة الفاشلة لجميع
الغارات الفرنسية والأوروبية الأخرى المجابهة للجزائر من
الواجهة البحرية ، « ولهذا : فعلىنا المواجهة من الخلف » ، أى
من سيدى فرج ، واستشهدوا على ذلك بالكوارث التى تعرض
لها أساطين الأساطيل الأوروبية الكبرى أمثال رويتر Ruyter ،
الأميرال الهولاندى الشهير ، وغيره (221) ، كان آخرون متحمسين
له ، ومنهم القنصل العام دوفال ، ووزير الحرب ، الماركيز
كليرمون طونير Clermont-Tonnerre .

ويقول جوليان عن هذا الوزير - « الصاعقة » :

« فقد أخذ هذا المدافع التقى عن العرش والكنيسة يدعو
« حفيد » القديس لويس (لويس التاسع) إلى الانتقام لكل من
الدين ، والإنسانية ، والشتائم التى تلقاها من الداء فى
الوقت نفسه .

(221) Les Productions de Paris, (œuvre collective) : ibid, p. 203.

« وبعد أن برر هكذا مشروعه أخذ يبين الوسائل العملية لتحقيقه : بالإرساء فى سيدى فرج ... معبرا عن أمله ، فى تقريره هذا ، فى تنصير الجزائريين ، إذ كتب فيه إلى الملك : « وربما سعدنا ، بمرور الزمن ، بتنصيرهم ، بعد أن نكون قد حضرناهم » . (222)

ويضيف جوليان :

« كان هناك شيئان اثنان يعدوان بوزير الحرب فى مشروعه هذا ، المعتمد فى الدرجة الأولى على تقرير الرائد بوتان (223) ، وهما الحرب الصليبية ومجد الملك ، اللذان يبرران وحدهما غزو الجزائر .

« وقد عمد فى ذلك ، لتعزيز وجهة نظره ، إلى حجتين من السياسة الخارجية والداخلية شائنا استعملتا فيما بعد :

« فالحجة الخارجية هى أنه يستبعد الدولة العثمانية من الميدان ، مؤكدا « أن الداي ليس إطلاقا من رعايا السلطان ، فنستطيع أن نعلن عليه الحرب ، بدون أن يعتبر الباب العالي نفسه معنيا بهذا الغزو ، ولا مستفزا ، أو ملزما بإسعاف الداي .

« أما الحجة التى هى من باب السياسة الداخلية ، فهى الفائدة السياسية للملك عندما يجرى الانتخابات البرلمانية ومفاتيح الجزائر فى يده » (224) و (225) .

(222) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine, p. 31.

(223) الذى يخاطبه مفدى زكرياء فى إلباذته الخالدة :

أبوتان : هل سيدى فرج - وإن طال ليل - أقر النظام ؟

(224) Ch.-A. Julien : ibid, p. 31.

(225) انظر الشكل رقم : 159 .

l'arrêter à aucune pensée ». Deux hommes se montrèrent particulièrement favorables à un débarquement : parce qu'ils se rendaient compte de la vanité du blocus, le consul Deval et le commandant Collet. Le capitaine de frégate Dupetit Thouars vint plaider, en août 1827, la cause de l'attaque par terre devant le conseil de l'amirauté. Bien qu'il eût convaincu le ministre de la Marine, le comte Chabrol de Crouzol, le jeune officier ne put fléchir le mépris hautain des amiraux, partisans du bombardement, qui lui montrèrent sèchement son béjaune.

Rejeté par les techniciens, au nom des traditions sacrées de la marine, le projet d'expédition fut repris à son compte par Clermont-Tonnerre, finalement converti. Le pieux défenseur du trône et de l'autel invitait « le fils de Saint-Louis à venger à la fois la religion, l'humanité et ses propres injures ». Après avoir légitimé l'entreprise, il indiquait les moyens pratiques de la réaliser par un débarquement à Sidi Ferruch. En six semaines, une armée de 33 000 hommes, munie de 150 pièces de canons, viendrait à bout d'Alger. Les habitants, s'ils étaient assurés de la tolérance des occupants, de leur volonté de ne pas remplacer une tyrannie par une autre et de leur honnêteté dans les transactions les serviraient sans doute mieux « qu'ils ne servent aujourd'hui leurs maîtres mahométans... Peut-être même, avec le temps, aurons-nous le bonheur, en les civilisant de les rendre chrétiens ! » pour atteindre ainsi « à une gloire que la Providence semble avoir préparée ».

Le rapport de Clermont-Tonnerre vaut moins par sa documentation tirée de travaux antérieurs, surtout de Boutin, que par l'esprit qui l'anime. A aucun moment, il n'est question de mettre fin à la course et de protéger le commerce français. Croisade et gloire du roi suffisent à justifier la conquête. Le ministre insiste sur deux arguments : le politique extérieure et intérieure qui furent souvent utilisés après lui. D'une part contrairement à la position prise par Richelieu à Aix-la-Chapelle, il écarte la Turquie du débat en affirmant que « le dey n'est point un sujet du sultan » et qu'on peut lui faire la guerre, sans que la Porte puisse, en aucune manière, se regarder comme provoquée et comme obligée de le secourir » ; d'autre part, il croit au profit politique d'une victoire : « Si un résultat glorieux vient couronner cette entreprise, ce ne sera pas pour le Roi un léger avantage que de clore la session et de demander ensuite des députés à la France, les clefs d'Alger à la main. »

La proximité des élections n'incita pourtant pas Villèle à s'emparer de ces clefs. Le président du Conseil et la majorité des ministres rejetèrent le projet et Charles X n'osa faire. Clermont-Tonnerre écrivit au bas de son rapport : « Lu au Conseil le 4 octobre 1827. Le Roi a ordonné d'attendre. 16 octobre 1827. » Ce croisé attardé ne semblait pas avoir tenu compte que le traité du 6 juillet précédent engageait la France à intervenir avec ses alliés dans l'affaire grecque, qu'elle devait réserver sa flotte pour forcer éventuellement le passage des Dardanelles, qu'une escadre était immobilisée au Brésil depuis que des bâtiments français avaient été saisis au cours des opérations contre les Argentins et qu'un corps d'occupation était immobilisé en Espagne. Le 20 octobre, la destruction de la flotte turque à Navarin tendit encore

وإلى هذا الاعتبار بخصوص الداي ، أورد مؤلفون آخرون ،
من نفس تقرير وزير الحرب المذكور ، كليرمون طونير ، اعتبارا
آخر يخص البلد نفسه ، الجزائر ، إذ يقول فيه :

« سيعترض البعض على مشروع الغزو بأن الجزائر جزء من
الأمبراطورية العثمانية .

« ولكن الجزائر ليست جزءا من هذه الأمبراطورية ، ولا الداي
من رعايا السلطان » . (226)

هذا الخلاف بين القادة الفرنسيين على طرق تحقيق الهدف
المشترك المتفق عليه نشب بعد إعلان فرنسا الحرب على الجزائر
يوم 16 يونيو 1827 م ، كما سبق أن ذكرنا ، وإن كان الاتجاه
الأقوى يميل إلى الغزو العسكري المباشر ثم الاحتلال ، وهو رأي
الملك خاصة ، ووزير حربيته المذكور ، كليرمون طونير .

« ولكن قرب الانتخابات جعل رئيس مجلس الوزراء، فيليل
Villèle ، عازفا ، مؤقتا ، عن الاستيلاء على مفاتيح الجزائر ،
فرفض - ومعه أغلبية الوزراء - مشروع الملك شارل العاشر ،
الذي سكت ، مما جعل وزير حربيته ، طونير (Tonnerre)، يضع الملف
في الدرج ، بعد أن كتب عليه :

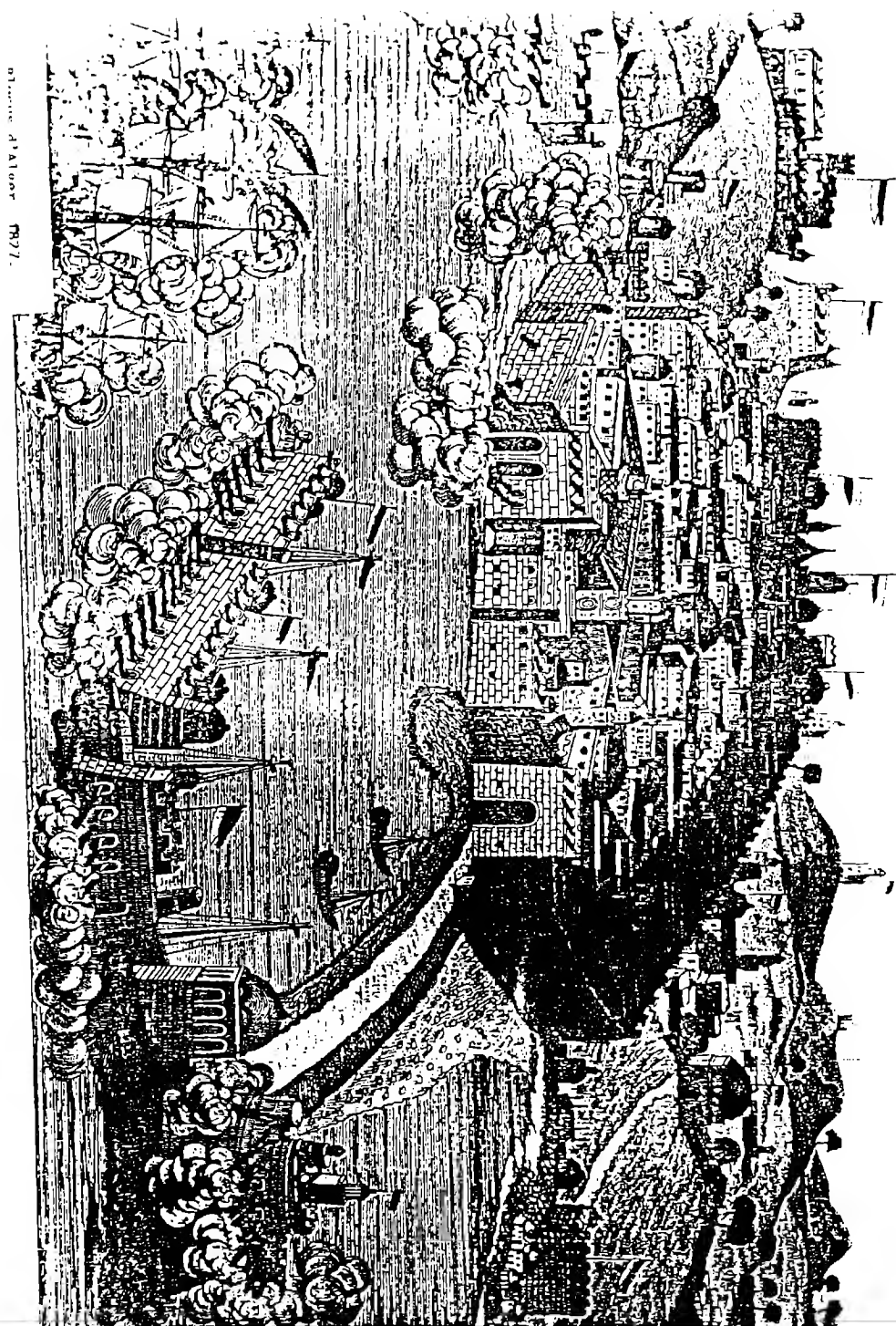
« تلى في مجلس الوزراء يوم 14 أكتوبر 1827 م . وقد أمر
الملك بالانتظار .

« في 16 أكتوبر 1827 م » (227) . واستقر الرأي على الاكتفاء
مؤقتا بالحصار ، حصار ميناء عاصمة الجزائر . (228)

(226) Les Productions de Paris : ibid, p. 203-204.

(227) Ch.-A. Julien : ibid, p. 31.

(228) انظر الشكل رقم : 160 .



ولكن هذا « الصليبي المتأخر عن زمانه » (« ce croisé attardé ») ، كما يسميه جوليان ، ظل متعلقا بمشروعه ، وينتظر الوقت المناسب .

والآن ، قبل أن نأتى على الفصل الأخير للغارة العدوانية واحتلال العاصمة ، نود أن نعود ، بإيجاز ، إلى الأسباب : الديون ، و « الحساسية » الفرنسية لـ « إهانة » الضربة بالمروحة التي كانت المفجر لما حدث .

ولقد فصلنا طبيعة هذه الديون ونشأتها ، وقلنا إنها نشأت عن نوعين من القروض التي قدمتها الجزائر لحكومة الثورة الفرنسية :

الأول هو القرض الحكومى (crédit fournisseur) لاستيراد القمح الجزائري ، « الذى اتفق كل من الفرنسيين واليهوديين ، يوسف بوخريص ، الذى غير اسمه إلى بكرى ، ونفطالى بوشناق ، وكيلى الداي ، على أن مبلغه هو سبعة ملايين وتسعمائة واثنان وأربعون ألف وتسعمائة واثنان وتسعون فرنك وأربعة وخمسون سنتيم (7.942.992,54) » ، للقمح وحده (229) ، وهو ما اعترفت به فرنسا بعد أخذ ورد وفى مفاوضات طويلة عسيرة .

والقرض الذى هو من النوع الثانى ، الذى منحه الداي حسن أيضا حكومة الثورة الفرنسية (الديركتوار) ، كان من طبيعة أخرى ، لأنه عينى ، أى نقدا ، بالمال مباشرة ، قدر مؤرخان فرنسيان : دو غرامون De Grammont ، وكاط Cat ، مبلغه بخمسة ملايين من الفرنكات الذهبية (230) ، كما مر .

(229) Garrot : ibid, p. 607.

(230) انظر الشكلين السابقين رقم : 134 ورقم 136 .

ولا يمكن أن يتهم المؤرخان المذكوران بالمبالغة ، أو الميل إلى
الجزائر : فدوغرامون معروف بنزعتة الصليبية التي يستشفها
القارئ من كل سطر من سطورهِ ، منبئة عن نفسها ، بل صارخة ،
رافعة « عقيرتها » . أما كاط ، فيكفيها أن نورد عنه هذا التعليق
من مواطن له ، هو جوليان ، إذ يقول عنه :

« هذا المؤرخ للجزائر المتحمس لاستدمارها » :

(« Ce fervent colonial, historien de l'Algérie ») (231)

وسواء كانت هذه الديون التي على فرنسا لصالح الجزائر
ثلاثة ملايين ونصف ، حسب بلانطي (232) و (233) ؛ أو مائتي
 وخمسين ألف فرنك ذهبية بلغت فيما بعد سبعة ملايين ، كما
يقول غارو (234) و (235) ؛ ويقولهُ معه سيميونوف أيضا ، أي
سبعة ملايين (236) و (237) ؛ زيادة عن الخمسة ملايين نقدا ،
أي القرض المالي البحت ، الذي ذكرهُ كل من دوغرامون (238)
و (239) ؛ وكاط (240) و (241) ؛ فيكون المبلغ الإجمالي اثني
عشر مليونا من الفرنكات الذهبية (242).

وإذا ما أخذنا بتقدير دوفور سنة 1975 م لمبلغ السبعة
ملايين الذي اعترفت به فرنسا ، إذ قدرهُ في ذلك الغام بسبعة
عشر مليار ونصف مليار فرنك قديم بعملة اليوم (243) ،

(231) Ch.-A. Julien : ibid, p. 138.

(232) Plantet : ibid, p. 29.

(233) انظر الشكل السابق رقم : 135 .

(234) Garrot : ibid, pp. 598 et 607.

(235) انظر الشكل السابق رقم : 134 .

(236) J. Semjonow : ibid, p. 171.

(237) انظر الشكل رقم : 161 .

(238) De Grammont : ibid, pp. 348-349.

(239) انظر الشكل السابق رقم : 138 أ ، و 138 ب .

(240) Cat : ibid, p. 328.

(241) انظر الشكل السابق رقم : 136 .

(242) Dufour : France - Pays-Arabes, avril 1975.

(243) سيميونوف ذكر : 16 مليونا (ص 171) .

Frankreich in baren Geld geliehen und bald wieder zurückerstattet. Mit den übrigen Schulden indes wuchs die Staatsverschuldung. Als Bonaparte Erster Konsul wurde, waren die Staatsschulden ns bis zu 7 Millionen Francs angewachsen.

Am die Begleichung dieser großen Staatsschuld wollte der neue Despot nicht gern warten, aber daß die Franzosen die Sendung der persönlichen „Gratifikationen“ an ihn einstellten, konnte er ihnen nicht verzeihen. Die Beziehungen spitzten sich zu. Im Januar 1802 wurde ein französisches Schiff, das an der algerischen Küste strandete, ausgeplündert, die Besatzung teils ermordet, teils in die Sklaverei fortgeschleppt. Im Juni des gleichen Jahres „blockierte“ ein algerisches Piratenschiff den kleinen französischen Hafen Saint-Tropez unweit von Toulon, wo sich die ganze französische Flotte befand.

Napoleon geriet in Wut. Seine Ertele flogen wie Blitze in alle Himmelsrichtungen. An die Admiräle nach Toulon: „Une situation deshonorante pour la République!“ Dem Konsul nach Algier: „Ich habe beschlossen, den algerischen Banditen eine bonne leçon zu geben.“ An den Dei: „Ich habe das Reich der Mameluken zerstört, weil sie, nachdem sie die französische Fahne beleidigt hatten, auch noch wagten, von mir Geld zu fordern. Fürchten Sie das gleiche Schicksal!“

Dem türkischen Gesandten in Paris wurde der Beschluß des Ersten Konsuls mitgeteilt, die algerische Küste zu erobern und „keinen Stein dort auf dem anderen zu lassen“. Als Bonapartes Botschaft in Algier eintraf, hatte der Dei vom Sultan bereits Ratschläge erhalten. Alle empfahlen ihm „Vernunft“. Der Dei verstand wohl Bonapartes Anspielung auf das Geld, das die Mameluken in Ägypten forderten, und verzichtete auf seine „Gratifikation“.

Aber die alten Schulden beglich Frankreich noch immer nicht. Vor allem hatte Bakri zwei Rechnungen im Gesamtbetrage von ungefähr 16 Millionen Francs präsentiert. Auf Talleyrands Veranlassung wurde ihm eine Zahlung von 3 725 000 Francs zugesagt. Jedoch auch das bekam er jetzt nicht, da die französische Regierung eine Gegenrechnung für Verluste durch Piraten vorlegte. Sehr bald begannen die Piraten ihre Tätigkeit von neuem.

Napoleon beschränkte sich nicht auf Drohungen, sondern hatte tatsächlich die Absicht, mit den Barbaresken Schluß zu machen. Er

وقد رنا بهذه النسبة المبلغ الذى طالبت به الجزائر ، وذكره غارو ، وهو أربعة عشر مليون (أو بالضبط : 13.893.844) فرنك ذهبى ، فىكون مجموع مبلغ الديون التى على فرنسا اليوم لصالح الجزائر خمسة وثلاثين مليار فرنك قديم ، بعملة اليوم ، فضلا عن الخمسين مليون فرنك التى صادروها من الخزينة الجزائرية يوم احتلوا العاصمة فى 05 يوليو 1830 م ، وهى بالتفصيل هكذا بالضبط ، حسبما ذكر غالير : 48.684.527 فرنك ، أى نحو الخمسين مليون فرنك .

هذا إذا ما أخذنا بالمبلغ الأدنى الذى ذكره غالير . على أنه هو نفسه قد ذكر فى كتابه هذا «أن هذا المبلغ هو آخر ما وجدته لجنة التحقيق فى خزينة الجزائر » ، بعد النهب - الذى اتهم به كبار ضباط الجيش الفرنسى - ، وذكر هو نفسه مبالغ أخرى « تتراوح بين الثمانين مليونا ، وأكثر من المائة والخمسين مليونا - وهو المبلغ الذى ذكره القنصلان العامان لبريطانيا وأمريكا ، أودونيل وشيلر ؛ والقنصل العام الفرنسى نفسه ، دوفال ؛ والوزير الأول لبائ تونس ؛ ومائتى وخمسين مليون فرنك ، حسب آخرين ، بل وقد قيل إنه بلغ ثلاثمائة مليون فرنك من ذهب وقضة (244) .

ويضيف غالير :

« ولكن التقرير الرسمى أورد الذى ذكرناه : ثمانية وأربعين مليون وستمائة وثلاثة وثمانين ألف فرنك (48.683.000) ... بعد النهب الذى اتهم به كبار الضباط الفرنسيين . » أرسل منها ثلاثة وأربعون مليونا إلى فرنسا حملت منها العملة الفضية على ظهر السفن : le Scipion, le Nestor, le Venus ؛ والعملية الذهبية

(244) Galibert : ibid, p. 329.

على ظهر السفينتين دو كين Duquesne ومارنغو Marengo ؛ واحتفظ
بالباقى فى الجزائر للمصاريف العامة » (245) و (246) .

فإذا كان دوفور قد قدر مبلغ السبعة ملايين من فرنكات ذلك
الوقت بسبعة عشرة مليارا ونصف مليار من الفرنكات القديمة ،
وهو المقياس الذى قدرنا به المبلغ الحقيقى الذى ذكره آخرون
لليون الجزائرية المستحقة على فرنسا : وهو 14 مليونا من عملة
ذلك الوقت ، وقلنا إنه إذن يبلغ خمسة وثلاثين مليار فرنك
قديم بعملة وقيمة 1975 م ، فإن مبلغ الخمسين مليونا هذا ،
المصادر من الخزينة ، تكون قيمته اليوم مائة وخمسة مليارات
فرنك قديم . هذا إذا ما أخذنا بالحد الأدنى ، وبأضعف رواية ،
وهى رواية لجنة التحقيق الفرنسية بعد السلب والنهب من كبار
الضباط الفرنسيين . أما إذا أخذنا بالحد الأعلى الذى ذكره
غالير نفسه ، رواية عن آخرين ، وهى ثلاثمائة مليون ، فتكون
قيمة المبلغ الذى صادرتة فرنسا من خزينة الجزائر يوم 5 يوليو
1830 م ، بعملة اليوم ، حسب تقويم دوفور سنة 1975 م ، هى ،
بحساب بسيط ، مع العلم أنى لست فارس أرقام : ثلاثمائة
مليار فرنك قديم . وإذا ما أضفنا إليه مبلغ الديون (35 مليارا) ،
يكون المجموع المستحق على فرنسا للجزائر اليوم حوالى ثلاثمائة
وخمسين مليارا من الفرنكات القديمة ، بدون الفائدة ... وفتوى
المجلس الإسلامى الأعلى تجيز أخذ الفائدة ! وبدون حساب
استغلال البلاد والعباد من 1830 م إلى 1962 !

وقد اعترف الفرنسيون ، على الأقل ثلاث مرات ، رسميا ،
وبمعاهدات ، بديون عليهم للجزائر ، وآخر مرة كان بمبلغ
السبعة ملايين ، والوثائق هى كما يلى :

(245) Galibert : ibid, p. 329.

(246) انظر الشكل رقم : 162 أ ، 162 ب .

En effet, toutes ces supputations ne reposaient sur aucune appréciation positive, sur aucun document digne de foi. Les caissiers de l'ouïjark ne tenaient aucun livre d'entrée ni de sortie; le dey et ses ministres ignoraient complètement l'importance de leur trésor; comment les consuls étrangers auraient-ils pu avoir des indications plus positives? Tous ces prétendus chiffres officiels n'étaient que des fables auxquelles la crédulité donna cours et que l'évidence eut peine à détruire. N'a-t-on pas cru pendant trois siècles à l'existence de l'Eldorado, et pendant tout ce laps de temps n'y a-t-il pas eu constamment des expéditions très-sérieusement formées pour aller à la découverte du pays où la terre et les montagnes étaient d'or? C'est à cet amour aveugle du merveilleux que l'on doit attribuer les exagérations dont le trésor d'Alger a été l'objet.

M. le lieutenant-général Desprez, dans son excellent *Journal sur la campagne d'Alger*, dit que les lingots d'or et d'argent enlevés par effraction dans la fonderie, et les quatre mille sequins d'or soustraits d'une cassette qui appartenait à l'aga, furent les seules valeurs dérobées soit par le vainqueur, soit par le vaincu. En définitive, si des soustractions considérables avaient eu lieu à la Kasbah, des plaintes sérieuses se seraient propagées et maintenues dans l'armée; bien au contraire, après les premières irritations du moment, on oublia les largesses qui avaient été promises, et M. de Bourmont ayant ordonné la distribution de quelques armes de prix entre les principaux officiers, tout le monde parut satisfait. Ces armes se trouvaient dans le salon d'audience du dey et n'étaient pas sa propriété particulière; M. de Bourmont crut devoir les faire distribuer aux officiers généraux et supérieurs de l'armée, comme un souvenir glorieux de leur coopération à la conquête algérienne. La répartition

s'imposer à elle-même. Les matières d'or et d'argent enlées depuis longues années dans le même lieu avaient laissé sur la muraille des traces très-visibles de leur présence : on mit à profit ces fugitives indications; on pensa qu'en prenant toutes les hauteurs et en les cubant, on parviendrait à déterminer l'importance des valeurs concentrées à la Kasbah. M. Guy, capitaine du génie, procéda à cette opération, et constata que l'or avait pu occuper un espace de quatre mètres quatre cent soixante sept millimètres cubes, et l'argent, trente-quatre mètres quatre cent soixante-quatre millimètres cubes. D'après ce volume et le poids spécifique des métaux, le trésor de la Kasbah aurait contenu plus de trois cents millions de francs. Pour arriver à la vérité, il fallut détalquer les interstices vides qui existent toujours dans une réunion de pièces détachées de corps multiples; c'est ce que l'on fit, et, après de longs calculs géométriques, on établit qu'en déduisant quarante pour cent pour la différence du plein au vide, et dix pour cent pour l'alliage des monnaies, on ferait une large part à l'inconnu. Le véritable résultat fut donc que le nombre de mètres cubes qui étaient remplis d'espèces monnayées d'or et d'argent représentait, toute compensation faite, au-delà de cent cinquante millions; » chiffre, ajoute le *Mémoire*, qui est en parfait accord avec les déclarations du consul d'Angleterre, sur l'importance du trésor d'Alger, reçues par M. de Bourmont, le jour de la capitulation; avec le document historique publié par M. Schœler, consul général d'Amérique près la régence d'Alger; avec le rapport que M. Derval, consul de France près de ladite régence, avait envoyé au gouvernement le 30 février 1838 et enfin avec la déclaration du premier ministre du bey de Tunis, reçue par M. le chef de bataillon du génie Ghy, le même qui a procédé à l'opération matérielle du cubage.

et ces armes fut réglée de la manière suivante : on remit aux lieutenants-généraux un fusil, un sabre, un yataghan et une paire de pistolets ; aux maréchaux-de-camp, un fusil, un yataghan et deux pistolets ; aux officiers supérieurs, un yataghan. Tel fut, pour les officiers d'une armée qui avait fait une riche conquête, le seul fruit matériel de la victoire.

Certes, lorsque l'on rapproche ces minces trophées de ceux que tous les généraux de Rome rapportèrent de l'Afrique, de ces richesses prodigieuses de Sulluste, Marius, Sylla, Bélisaire lui-même recueillirent dans leurs expéditions de Numidie et de Mauritanie ; lorsqu'on les compare au butin que de nos jours les armées russe et anglaise se sont approprié dans leurs expéditions contre les Asiatiques¹, on ne pourra s'empêcher de reconnaître que si, dans la conquête d'Alger, il y a eu quelques malversations partielles, la masse de notre armée n'obéissait du moins qu'à ces sentiments de gloire et d'honneur si sont si puissants sur l'esprit français et qui ont toujours été le principal mobile de nos conquêtes.

Maintenant que nous avons fait la part de l'exagération, occupons-nous de reconnaissance exacte du trésor algérien. La commission fit d'abord le tri des pièces et des lingots qui se trouvaient dans les différentes salles ; puis elle procéda à leur pesage. Cette opération délicate et qui dura plusieurs jours eut lieu par les soins des officiers d'état-major et de la trésorerie, sous la surveillance de la commission des finances. Ses résultats donnèrent :

7,212 kilogrammes d'or, à 3,434 fr. le kilogramme.	fr. 24,768,000
108,704 kilogrammes d'argent, à 220 fr. le kilogramme.	23,915,000
<hr/>	
115,916 kilogrammes représentant ensemble.	fr. 48,683,000

Huit sous-officiers d'artillerie furent chargés d'emballer ces matières. Assurée que les caisses étaient clouées, ficelées et cachetées, elles recevaient un numéro d'ordre et on les plaçait méthodiquement dans l'un des caveaux, où elles ne sortaient que pour être transportées à bord des vaisseaux de guerre par des militaires de corvée, commandés par des officiers, et sous la conduite du payeur-général et des agents de la trésorerie. Quarante-trois millions seulement furent envoyés en France. *Le Marengo* et *le Duquesne* reçurent à bord les matières d'or ; celles d'argent furent réparties entre *le Scipion*, *l'Estor* et *la Vénus*. Les cinq millions restant, qui se composaient d'espèces monnayées, ayant cours dans la régence, furent employés au service des dépenses publiques.

Après que cette reconnaissance minutieuse fut achevée, les membres de la

¹ La conquête seule du Mysore fit la fortune de tous les officiers généraux qui composaient l'armée anglaise. Chaque soldat reçut pour sa part 100 livres sterling (2,500 fr.).

1) اتفاقية 9 مسيدور (28 يونيو) 1796 م ، بين الداي حسن والدريكتوار (المجلس التنفيذي الأعلى للجمهورية الفرنسية » (247) .

2) وفي معاهدة 29 ديسمبر 1801 م ، بين الداي مصطفى ونابليون بونابارت (248) ، التي يقول عنها دوغرامون :

« رغم أن معاهدة 1801 م قد أكدت هذا الحق لداي الجزائر ، إلا أنه لم يسدد له شيء من ذلك » (249) .

3) ثم أخيرا بين الداي حسين ولويس الثامن عشر في معاهدة 28 أكتوبر 1819 م ! (250) .

وعنوان هذه المعاهدة في جميع فهارس المعاهدات الدولية الفرنسية هو : «الديون الجزائرية» «Créances algériennes» (251) ، أى الديون المستحقة على فرنسا نحو الجزائر .

ويقول دوغرامون أيضا عن هذه المعاهدة الثالثة بخصوص ديون الجزائر على فرنسا :

« وقد اعترفت حكومة لويس الثامن عشر بهذا الدين . وفي يوم 28 أكتوبر 1819 م عقدت اتفاقية بين البلدين (الداي حسين ولويس الثامن عشر) ، اتفق الجانبان بموجبها على أن مبلغ هذا الدين هو سبعة ملايين من الفرنكات (الذهبية) .

(247) a) Garrot : ibid, p. 598, 701.

b) Plantet : ibid, p. 592.

(248) a) Bardon : ibid, p. 139.

b) Plantet : ibid, p. 592.

c) Garrot : ibid, p. 701.

(249) De Grammont : ibid, p. 387.

(250) a) Garrot : ibid, p. 646.

b) Garrot : ibid, 701.

c) Plantet : ibid, p. 592.

(251) مثلا : المرجعان المذكوران أعلاه : بلانطى (Plantet) ص 592 ؛ وغارو

(Garrot) ص 701 ؛ ودغرامون ص 387 .

« ثم صادق مجلس النواب يوم 24 يوليو 1820 م على هذه الاتفاقية وعلى قرار الحكومة تسديد هذا الدين للجزائر » (252).

فواضح من كل هذا أن الداي كان له الحق كل الحق في المطالبة بحقوق الدولة التي يرأسها والتي هو مسئول عنها: الديون التي اعترفت بها فرنسا في عديد من المعاهدات ، على الأقل في ثلاث! فلم إذن كل هذا الشر الذي يدبر ثم يشرع في تنفيذه ضد الجزائر؟ جزاء سنمار؟ اتق شر من أحسنت إليه؟ نعم! هذا كله وأكثر!

فلأن الجزائر طالبت بحقها ، بتسديد الديون التي كانت قد قدمتها قروضا لفرنسا ، وهي في ظروف الشدة ، تتلقى منها الجزائر الضربة ، وهي في حالة ضعف (قلنا : بعد كارثة نافاران البحرية) !

ونورد هنا نصين اثنين عن هذا الجزاء السنماري ، أحدهما لمؤرخ ألماني ، والثاني لمؤرخ فرنسي :

يقول سيميونوف ، في كتابه الذي ألفه سنة 1937 م ، ونشر في برلين من دار نشر نازية ، وفي صميم الحرب، سنة 1942م... ومع ذلك نجده متعاطفا مع فرنسا ، بحكم التضامن الأوروبي ، والتعاطف الآري ، حسب الرأي القائل : « أخوك أخوك ، فلا يفرنك صاحبك » !

يقول المؤرخ الألماني ، إذن :

« لقد كانت فرنسا حريصة على علاقاتها بالجزائر . راجعتها إلى القمح كانت من أهم الدواعي . وهي التي تفسر العلاقات الودية بين المستبد الداي حسن وحكومة الثورة الفرنسية

252) De Grammont ibid. p. 387.

« فلقد كانت هذه قابلة لدفع أى ثمن ، من أجل هذا القمح ، بل وأكثر من هذا : فقد منح الداي فرنسا قرضا » . (253)
هذا عن حكاية القمح فى بدايتها . ثم يعود إليها فى نهايتها فيقول :

« وهكذا كانت هذه المادة السلمية ، الأكثر سلمية من بين جميع المواد : القمح ، الذى صدره دايات الجزائر إلى فرنسا ، هو السبب الأخير لهلاكهم » « die letzte Ursache » (254) .
أما قرينه الفرنسى ، إيغروطو ، الذى صدر كتابه سنة 1961م ، عن دار نشر شيوعية ، فيقول :

« وبالضبط فلأن فرنسا لم تف بالتزاماتها بهذا الخصوص (تسديد القرضين : الاستيرادى crédit fournisseur لشراء القمح ، والقرض المالى البحت prêt financier ، اللذين منحهما الداي حكومة الثورة بدون فائدة) ، فقد حيكت فيما بعد حول هذا الموضوع المناورات التى كانت من باب المفارقات التى أدت فى النهاية إلى حملة العدوان ضد الجزائر سنة 1830 » (255) .
(من باب المفارقات لأن الخير قبول بالشر) .

ولم تكن أسطورة المروحة « والإهانة » هى السبب ، لأن الإهانة جاءت من القنصل العام دوفال للداى ، ومن حكومة القنصل التى كانت أمرته باستفزاز الداي ، واستدراجه إلى القيام بتصرف تتذرع به كحجة لغزو الجزائر ، كما ذكر ذلك غارو وذكرناه فى محله برقم الصفحة .

(253) Juri Semjonow : ibid (Glanz und Elend des franzoesischen Kolonialreiches), p. 175.
Deutscher Verlag, Berlin, 1942.

(ازدهار الأمبراطورية الاستدمارية الفرنسية وانهارها) ص 175 .

(254) Semjonow : ibid, p. 205.

(255) Marcel Egretaud : ibid (La réalité de la nation algérienne) (Editions Sociales, Paris 1961), p. 42.

فلو كانت رغبة فرنسا في الانتقام « لشرفها » هي السبب لكانت قامت بهذه الحملة قبل ذلك بقرون ... بإحدى المناسبات العديدة التي رأت فيها فرنسا نفسها « مهانة » . فإلى الأمثلة العديدة التي ذكرنا بعضها ، نضيف أن حادثاً آخر وقع لقنصل عام فرنسي آخر هو « ليون دولان Léon Delane » ، فارس سان لازار ، وضابط من حاشية الملك الفرنسي لويس الخامس عشر ، طرده الداي محمد كور عبدى من الجزائر لنفس التصرفات التي قام بها القنصل الانكليزي العام فريزر « ، ولم يعلن الملك الفرنسي الحرب على الجزائر ! (256) .

وحادثة أخرى أيضاً لقنصل فرنسي عام آخر ، قائم بأعمال نابليون الأول في الجزائر ... بعد أن كان ممثل لويس السادس عشر ، ثم ممثل الجمهورية الفرنسية ، دوبة تانفيل ، عندما أمر الداي الحاج علي بإلقائه في سفينة أمريكية على وشك الإقلاع إلى فرنسا ، وكتبت وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 19 أكتوبر 1811 م (أى في عهد نابليون الأول ، أمبراطور الفرنسيين) ، إلى خلف قنصلها العام ، القائم بأعمالها في الجزائر ، تقول : « إن باريس لا ترى أن مثل هذه المعاملة من الداي تعتبر بمثابة إهانة للقنصل العام القائم بالأعمال . فلا تستحق أن تتخذ كحجة لإعلان حرب » (257) .

وقد ذكرنا لذلك أمثلة أخرى « من عهد هنرى الرابع (258) » سنة 1604 م ، حيث « أهين » في الجزائر مبعوثه الخاص ، أحد نبلاء قصره ، سافارى دو بريف Savary de Brèves ، الذى كاد أن يقتل

(256) Spencer : ibid, p. 178.

(257) Devoulx : ibid, p. 146.

(258) انظر الشكل رقم : 163 .



١٦. — HENRI IV, PAR FRANÇOIS POURBUS

هنرى الرابع

الشكل رقم : (١٦٣)

فى الجزائر « ، وابتلع « هنرى الرابع الإهانة لأنه كان حريصا على التحالف مع الجزائريين ضد اسبانيا » (259) .

ويضيف المؤرخ دوغرامون فيقول :

« ولم تكن أسباب الحرب - أو المظالم - من طرف الجزائر - هى التى كانت تعوزنا » . ثم يلقى « اللوم على الدول المسيحية التى كانت مختلفة فيما بينها ، مما لم يسمح بتخريب أمة (nation) (الجزائر) لم يكن لديها فى الواقع من قوة حقيقية » ... (260) ؛ إلى لويس الخامس عشر ، حيث « كان الداي بابا إبراهيم يعامل بسوء قناصلنا العامين ، بل أرسل جميع الفرنسيين المقيمين بالجزائر مقيدين للعمل فى المحاجر (carrières) (261) ؛ إلى نابليون بونابارت ، الذى ألقى الداي الحاج على سنة 1810م بقنصله العام بالقوة فى سفينة ، وطرده من الجزائر ، ولم يطالب نابليون بالاعتذار عن هذه الإهانة ، لأنه كان مشغولا فى جهة أخرى » (262) .

ولنصف إلى ما ذكرنا ، وما لم نذكر ، من تلك « الإهانات » الجزائرية لفرنسا ، واحدة كان ينبغى أن تكون أبلغها إيذاء لفرنسا ، وأعمقها تأثيرا فى نفسها ، وأجرحها لـ «كرامتها» ، من حكاية المروحة !

فلقد أورد المؤرخ الألمانى ، المذكور منذ لحظة ، سيميونوف ، حادثة ، إن وقعت حقا ، كان يمكن أن تكون أبلغ جميع « الإهانات » ، والضربة بالمروحة تكون راحة ، وملاطفة ، ومداعبة ، وتديلا ، بالمقارنة معها :

(259) De Grammont : ibid, p. VIII : Introduction.

(260) De Grammont : ibid, p. VIII : Introduction.

(261) Cat : ibid, p. 318.

(262) Cat : ibid, p. 333.

يقول سيميونوف :

« وفي يناير 1802م داهم جزائريون سفينة فرنسية كانت راسية على شاطئ جزائري ، وأخذوا ما فيها من متاع ، ثم قتلوا بعض من فيها ، وأخذوا الآخرين أسرى وعبيدا .

« وفي يونيو من نفس العام (1802م) حاصرت سفينة جزائرية الميناء الفرنسي الصغير سان طروبي (St Tropez) ، قريبا من ميناء طولون (أكبر ميناء حربي فرنسي)، حيث كان مجموع الأسطول الفرنسي راسيا .

« وقد اشتط نابليون غضبا ، وبعث برسائل في سائر اتجاهات السماء مثل البرق . فإلى أمراء بحريته (الأميرالات) في طولون كتب (263) :

« إنها لفضيحة للجمهورية » (Une situation déshonorante pour la République) (بالفرنسية في الأصل الألماني) .

« وإلى قنصله العام في الجزائر كتب :

« لقد قررت أن ألقن هؤلاء قطاع البحر الجزائريين درسا !

(265) - (264) « Ces bandits algériens »

كان هذا سنة 1802م ... وحادث القنصل الفرنسي العام الملقى به في السفينة قسرا كان سنة 1810م ... ومع ذلك لم يفعل نابليون شيئا ضد الجزائر ... - وإن كان قد بعث بالرائد بوتان ليعد خططه ... - بل واصل في إرسال أقرب مساعديه مبعوثين خاصين - ومنهم أخوه جيروم - إلى الداين مصطفى والحاج علي ، طالبا تجديد المعاهدات ، ومؤكدا « ضرورة

(263) Semjonow : ibid, p. 171.

(264) Semjonow : ibid, p. 171.

Touren, um die ... Der Tra Freich ... haben ... gleichen ...
... zuehnd zu ... erstatter ... Mit ... übrigen ...
... schließ ... Als Bonaparte Erster ... Konsul wurde, waren die ...
... zu 7 ...
... Beginn ... dieser großen ...
Der Mustafa gern waren, aber daß die Franzosen die Sendung der
persönlichen „Gratifikationen“ an ihn einstellten, konnte er ihnen
nicht verzeihen. Die Beziehungen spitzten sich zu. Im Januar 1802
wurde ein französisches Schiff, das an der algerischen Küste stran-
dete, ausgeplündert, die Besatzung teils ermordet, teils in die
Sklaverei fortgeschleppt. Im Juni des gleichen Jahres „blockierte“ ein
algerisches Piratenschiff den kleinen französischen Hafen Saint-Tropez
unweit von Toulon, wo sich die ganze französische Flotte befand.

Napoleon geriet in Wut. Seine Briefe flogen wie Blitze in alle
Himmelsrichtungen. An die Admiräle nach Toulon: „Une situation
deshonorante pour la République!“ Dem Konsul nach Algier: „Ich
habe beschlossen, den algerischen Banditen une bonne leçon zu
geben.“ An den Dei: „Ich habe das Reich der Mameluken zerstört,
weil sie, nachdem sie die französische Fahne beleidigt hatten, auch
noch wagten, von mir Geld zu nehmen. Sie das gleiche
Schicksal!“

Dem türkischen Gesandten in Paris wurde der Beschluß des
Ersten Konsuls mitgeteilt, die algerische Küste zu erobern und
„keinen Stein dort auf dem anderen zu lassen“. Als Bonapartes Bot-
schaft in Algier eintraf, hatte der Dei vom Sultan bereits Ratschläge
erhalten. Alle empfahlen ihm „Vernunft“. Der Dei verstand wohl
Bonapartes Anspielung auf das Geld, das die Mameluken in Ägypten
forderten, und verzichtete auf seine „Gratifikation“.

Aber die alten Schulden gegen Frankreich noch immer nicht.
Vor allem hatte Bakri zwei Rechnungen im Gesamtbetrage von
ungefähr 16 Millionen Francs präsentiert. Auf Talleyrands Veran-
lassung wurde ihm eine Zahlung von 3 725 000 Francs zugesagt.
Jedoch auch das bekam er jetzt nicht, da die französische Regierung
eine Gegenrechnung für Verluste durch Piraten vorlegte. Sehr
bald begannen die Piraten ihre Tätigkeit von neuem.

Napoleon beschränkte sich nicht auf Drohungen, sondern hatte
tatsächlich die Absicht, mit den Barbaresken Schluß zu machen. Er

استمرار علاقات السلم والصداقة ، « بين الشعبين »
(« entre les deux peuples ») « وبين » الدولتين القويتين «
(« entre les deux puissances ») «وبين الأمتين» (« entre les deux nations ») !
أين يكمن السبب ، أو : السبب الحقيقي ، للمدوان إذن ،
سنة 1830 م ؟

السبب الحقيقي هو ما شرحناه مطولا في هذه الدراسة من
تخطيط قديم لغزو الجزائر ، خاصة ، منذ لويس التاسع ، أو
لويس « القديس » (St Louis) ، الذى رام احتلال بلدان المغرب
سنة 1270 م ... ونضم فقط إلى تلك القائمة الطويلة من
المناورات ، والمؤامرات ، والنوايا ، والطوايا العدوانية ، هذين
المشروعين ، أو هاتين الخطتين الآتيتين :

إحدهما فى عهد لويس الخامس عشر ، وضعها النقيب لوفور
(le Capitaine Lefort) سنة 1763 م ، وعنوانها : « مذكرة لتخريب
الجزائر (266) (Mémoire pour détruire Alger) .

والثانية فى عهد نابليون بونابارت ، وضعها القنصل
الفرنسى العام جان بون سانت أندرى (Jean Bon Saint-André)
سنة 1802 م ، وعنوانها : «مشروع لحملة ضد الجزائر »
(« Projet d'expédition contre la Régence d'Alger ») (267) ، زيادة
عن المشروع الآخر فى عهده ، المدروس أكثر ، والمعد بتمعق ،
وجدية ، وتفصيل أكبر ، وهى خطة بوتان سنة 1808 م ، التى
فصلناها فى محلها .

(ويلاحظ هنا شئ : وهو أن الجزائر ، بينما كانت تسمى
فى المعاهدات الجزائرية الفرنسية فى العقود الأولى ، منذ عهد

(266) Plantet : Les Consuls de France à Alger avant la conquête (1579-1830), p. 31.

(267) Plantet : Les Consuls de France à Alger avant la conquête (1579-1830), p. 31.

لويس الرابع عشر حتى آخر عهد حكومة الثورة للجمهورية الفرنسية ، بـ « جمهورية الجزائر » فى الرسائل ، وبـ « مملكة الجزائر » فى المعاهدات ، أصبحت منذ نابليون تسمى « la Régence d'Alger » ، التى لا اجد لها ترجمة دقيقة ، ثم إنى لا أريد أن اجدها لها ، لأنها لا معنى لها إطلاقا) .

فلقد ظل الفرنسيون ، إذن ، يحلمون باحتلال الجزائر وتخريبها منذ لويس التاسع ، أو « القديس » ، فى الربع الأخير من القرن الثالث عشر م . وآخر محاولة جربوها ، قبل 1827 م ، هى سعيهم لتجنيد أوروبا بكاملها فى مؤتمر آخن (إيكس لاشايل) فى نوفمبر 1818 م ، (انظر نص بروتوكول هذا المؤتمر بتاريخ 20 نوفمبر 1818 م ، المرفق بهذه الدراسة (268) ، « ضد الغارات البربروسية » (أى من الجزائر ، وتونس وليبيا) ، « وخاصة ضد الجزائريين » ، إذ اقترح الدوق دو ريشوليو ، رئيس وزراء فرنسا ، على المؤتمر ، باسم فرنسا ، « حلفا دفاعيا » من جميع الدول ، وعرض عليه مشروعا جديدا لغزو بعضى موحد يشكون من أساطيل الأمم الآتية : أنكلترا ، وفرنسا ، وبروسيا (ألمانيا) ، وروسيا ، والنمسا ، واسبانيا ، والبرتغال ، و نابولى ، وطوسكانيا ، وسردينيا ، والدول الرومانية (أى الدول الإيطالية قبل الوحدة) ، والمدن البحرية الألمانية (الشمالية ، قبل الوحدة أيضا) ، وهانوفر (ألمانيا) ، والدانمارك ، والسويد ، والأراضى المنخفضة (هولاندا وبلجيكا) (269) و(270) ؛ أى ست عشرة دولة كبرى وصغرى ... وهكذا ، فعندما يستطيعون التخريب ، يحاولون !

(268) انظر الشكل رقم : 165 أ ، و 165 ب .

(269) Planter : ibid, t. 1, p. LXXIII (= 73) Introduction et pp. 542-545, t. 2.

(270) انظر الشكل رقم : 166 .

NOTIFICATION DES GRANDES PUISSANCES EUROPEENNES
A HUSSEIN, DEY D'ALGER ¹.

En rade d'Alger, le 5 septembre 1819.

Prince,

Les Puissances de l'Europe qui se sont réunies l'année dernière à Aix-la-Chapelle ont déferé à la France et à la Grande-Bretagne le soin de faire, au nom de toutes, des représentations sérieuses aux Régences barbaresques sur la nécessité de mettre un terme aux déprédations et aux violences exercées par les bâtiments armés de ces Régences ¹.

Nous venons au nom de Sa Majesté le Roi de France et de Navarre, de Sa Majesté le Roi du Royaume-Uni de la Grande-Bretagne et d'Irlande, comme leurs Commissaires, vous notifier les dispositions des Puissances de l'Europe.

Ces Puissances sont irrévocablement déterminées à faire cesser un système de piraterie qui n'est pas seulement contraire aux intérêts généraux de tous les États, mais qui encore est destructif de toute espérance de prospérité pour ceux qui le mettent en pratique. Si les Régences persistaient dans un système ennemi de tout commerce paisible, elles provoqueraient inévitablement contre elles une ligue générale des Puissances de l'Europe, et elles doivent considérer, avant qu'il en soit trop tard, que l'effet d'une telle ligue peut mettre en danger leur existence même.

الشكل رقم : (165) 1

1. Le Dey Omar, qui avait déjà échappé à une conspiration des Janissaires, fut étranglé le 8 septembre 1817 et eut pour successeur Ali Khodja qui, pour se mettre plus en sûreté, quitta la Jenina pour transporter sa résidence à la Casbah. Il mourut de la peste le 28 février 1818, et la Milice proclama son Khaznadji, Hussein, qui avait autrefois fait partie du corps des Topjis (canonniers du Sultan) à Constantinople. Quelques jours après son arrivée au pouvoir, le nouveau Dey ratifia nos traités, le 29 mars 1818, et donna à notre Consul un cheval et un éventail, en lui témoignant les meilleures dispositions à notre égard.

1. Le Congrès d'Aix-la-Chapelle, qui s'était réuni le 30 septembre 1818 pour fixer les conditions de l'évacuation de notre territoire, encore occupé par les troupes des alliés de 1815, avait résolu d'exiger des trois Régences barbaresques l'abolition absolue de la course. Les représentants de l'Angleterre, de l'Autriche, de la Prusse et de la Russie avaient signé avec le duc de Richelieu, notre Plénipotentiaire, le protocole du 20 novembre, qui invitait notre Gouvernement et celui de la Grande-Bretagne, « dont l'autorité avait le plus de poids auprès de ces Régences », à notifier à ces Puissances la décision relative « à leur système hostile au commerce pacifique ». Les amiraux Freemantle et Jurien furent donc chargés de signifier à Hussein les volontés du Congrès, et reçurent l'ordre d'insister pour faire cesser l'usage qu'avaient les corsaires algériens d'envoyer des détachements de leurs équipages, pour vérifier leurs passeports, à bord des bâtiments européens. Les vaisseaux anglais et français *Le Colosse*, *Le Rochefort* et *La Galathée*, accompagnés d'un brick, de deux frégates et de deux goélettes, se réunirent à Mahon le 28 juillet 1819 et arrivèrent à Alger le 4 septembre suivant. Le Dey donna deux audiences aux Envoyés de France et d'Angleterre; il écouta avec indifférence la lecture du protocole du 20 novembre, et déclara qu'il ne pouvait renoncer à son prétendu droit de visite sur les navires, afin de reconnaître ses amis et ses ennemis; il expliqua que ses sujets n'avaient point de commerce qui pût les indemniser des bénéfices de la course, et fit entendre qu'il continuerait à faire la guerre aux pavillons des nations qui refuseraient de traiter avec lui. Il refusa de donner aux deux négociateurs la réponse écrite qu'ils avaient l'ordre d'exiger, et ceux-ci furent contraints de remettre à la voile sans avoir pu obtenir la plus légère satisfaction. Voy. *Protocole de la séance du Congrès d'Aix-la-Chapelle*, le 20 novembre 1818, — *Instructions pour M. le Contre-Amiral Jurien*, le 8 juillet 1819, — *Rapports de MM. les Commissaires de France et d'Angleterre auprès du Dey d'Alger sur les audiences des 5 et 8 septembre 1819*, — *Lettres de Deval et du Contre-Amiral Jurien au marquis Dessolle* les 10 et 11 septembre 1819.

تابع للشكل رقم : (165) أ

Mais en même temps que nous vous faisons entrevoir les conséquences funestes qu'entraînerait la continuation des pirateries qui excitent les plaintes de l'Europe, nous nous empressons, Prince, de vous assurer que, si les Régences renoncent à un système aussi désastreux, les Puissances sont non seulement disposées à maintenir avec elles des relations de bonne intelligence et d'amitié, mais encore à encourager toute espèce de rapports commerciaux qui pourraient être avantageux aux sujets respectifs. Les Puissances au nom desquelles nous avons l'honneur de nous exprimer sont parfaitement unies sur l'important objet de la mission que nous avons été chargés de remplir près de Votre Altesse, et nous sommes les fidèles interprètes de leurs intentions.

Nous espérons, Prince, qu'éclairé sur vos véritables intérêts, vous n'hésitez pas à répondre d'une manière satisfaisante aux demandes que nous venons vous présenter. Les Puissances alliées se bornent à vouloir que les Régences barbaresques respectent des droits et des usages consacrés par toutes les nations civilisées, et si les Régences prétendaient pouvoir inquiéter à leur gré le commerce des autres nations, elles attireraient inévitablement sur elles les armes de toute l'Europe.

Veillez donc bien, Prince, nous donner les assurances que Leurs Majestés les Rois de France et de la Grande-Bretagne attendent de vous et sont impatientes de transmettre à leurs alliés, sur un objet qu'elles ont si profondément à cœur. Mais, dans une circonstance aussi grave, des promesses verbales ne suffiraient pas. Il s'agit d'un pacte solennel de la plus haute importance pour la sécurité des navigateurs et du commerce

de tous les Etats, et puisque nous vous déclarons par écrit les intentions des Puissances alliées, nous sommes fondés à croire que vous répondrez de la même manière à une telle démarche.

Nous nous empresserons de faire parvenir à nos Gouvernements l'engagement positif que vous nous remettrez, car nous vous le répétons, Prince, nous n'admettons pas que vous puissiez repousser des propositions qui tendent à vous faire recueillir promptement tous les avantages des rapports commerciaux garantis par le respect pour le droit des gens.

Nous sommes avec respect,

Prince,

De Votre Altesse,

Les très humbles et très obéissants serviteurs.

FREEMANTLE,

JURIEN,

Vice-Amiral de l'escadre bleue de la flotte, Chevalier grand-croix du Bain, des Guelfes, de Saint-Ferdinand et du Mérite, de Saint-Michel et de Saint-Georges, Chevalier commandeur de Marie-Thérèse, Commandant en chef les forces navales de Sa Majesté le Roi du Royaume-Uni de la Grande-Bretagne et de l'Irlande et Commissaire de Sa Majesté près les États barbaresques.

Contre-Amiral Commandant en chef les forces navales de la Méditerranée, Chevalier de l'ordre royal et militaire de Saint-Louis, officier de l'ordre royal de la Légion d'honneur et Commissaire de Sa Majesté le Roi de France près les Régences barbaresques.

A bord du vaisseau *Le Colosse*, le 5 septembre 1819.

تابع للشكل رقم : (165) ب

qu'il blessât la dignité de la France, à qui sa situation ne permettait pas alors de prétendre au premier rang dans l'association. Il éluda, en conséquence, les propositions de Lord Castlereagh, et demanda qu'on intervint directement auprès de la Porte, pour faire rentrer ses vassales dans les limites du droit des gens.

Les Conférences, suspendues pendant plus d'une année, furent reprises au mois de janvier 1818. L'Angleterre déclara son intention de séparer les deux questions pour s'attacher exclusivement à celle des Barbaresques; la Russie demanda également cette séparation, et fit remettre un mémoire où l'on insistait sur la nécessité d'une expédition navale des Puissances coalisées. Elle demanda qu'on s'assurât au préalable de l'impuissance où se trouvait la Porte de faire prévaloir ses droits de suzeraineté. L'Autriche et la Prusse se rangèrent à cet avis, mais le Cabinet de Londres fit entendre qu'il verrait avec plaisir adopter son projet de ligue.

Quelques mois après, la discussion fut reprise au Congrès d'Aix-la-Chapelle. On reparla du plan élaboré aux Conférences de Londres¹, et l'on invoqua l'opinion du baron de Humboldt, qui, dans la Diète de Francfort, en décembre 1817, avait réclamé un engagement général de l'Europe contre les agressions des Barbaresques (et en particulier des Algériens). Le duc de Richelieu proposa, au nom de la France, (une alliance défensive) de toutes les Puissances, et soumit à l'assemblée une nouvelle combinaison d'armée navale formée des contingents des nations intéressées. Les Etats qui devaient y prendre part étaient l'Angleterre, la France, la Prusse, la Russie, l'Autriche, l'Espagne, le Portugal, Naples, la Toscane, la Sardaigne, les Etats romains, les villes hanséatiques, le Hanovre, le Danemark, la Suède et les Pays-Bas. Metternich, Ministre d'Autriche, vit des inconvénients à toute expédition ayant un caractère militaire: Le comte Capo d'Istria, au nom de l'Empereur Alexandre, déclara que faire perpétuellement la police dans la Méditerranée n'était pas un résultat proportionné aux désirs du Congrès, et qu'il fallait arriver à mettre les Régences hors d'état de nuire, au premier acte attentatoire aux droits des nations chrétiennes.

1. Voy. *Projet de ligue contre les Barbaresques* (Archives des Affaires étrangères, Alger). — Voy. aussi *Recherches pour servir à l'histoire et à l'extirpation des pirates barbaresques*, par Azuni (Genève, 1816).

ولكنهم عند المعجز عن « التخريب » ، و « إبادة الجزائريين »
 (272) - (271) « devant l'impossibilité d'anéantir les Algériens » يتفاوضون
 مع الجزائري ، ويسعون لديها لعقد معاهدات معها ، ويعثون إليها
 بمبعوثيهم الخاصين على المستوى الأعلى ، ويتحببون إليها ،
 ويطلبون منها المعونات ، والقروض ، ويوجهون إليها نداءات
 « للإسعاف » () ، و « للإنقاذ من التفتت والخراب » على أيدي
 الإسبان ، والأنكليز ، والهولانديين . ولكن فرنسا كانت إذ ذاك ،
 في حاجتها إلى المعونة ، : إلى التأييد الدبلوماسي ، والإسعاف
 المادي والمالي ، والإنجاد العسكري ، تتوسل ، وتتمسكن ، أو ،
 كما عبر عن موقفها ذاك قنصلها العام القائم بأعمالها في الجزائر ،
 جان بون سانت أندري Jean-Bon Saint-André ، عندما سلم خلفه
 مولتيديو Molledo المهام يوم 06 مايو 1798 :

« عند وصولي إلى هنا لاستلام مهامى يوم 03 يوليو 1796 م
 وجدت فرنسا جاثمة هنا على ركبتيه » (273) .
 (« J'avais trouvé la France ici à genoux »).

كما نجد نابليون بونابارت نفسه يقول فى رسالة منه إلى
 الداي مصطفى باشا سنة 1803 :

« إذا كنتم تريدون أن تعيشوا معى فى وئام فلا تعاملونى
 هكذا كما لو كنت دولة ضعيفة » :
 (274) . (« Il ne faut pas que vous me traitiez comme une puissance faible »).

كل هذا عند المعجز عن تحقيق النوايا القديمة ، بدون أن
 ينسوها . وعندما سنحت لهم أول فرصة جدية ، تأكدوا فيها
 من ضعف الأسطول الجزائرى (بعد نافاران يوم 20 أكتوبر

(271) Plantet : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France (1579-1830).
 Introduction, p. 46 (XLVI), t. 1.

(272) انظر الشكل رقم : 167 .

(273) De Grammont : ibid, p. 354.

(274) Galibert : ibid, p. 242.

sailles, et de quarante employés ou marins français¹. Ce n'est pas chose facile que d'obtenir de ces brigands la signature d'un nouveau traité. Il faut régler d'avance le voyage de l'ambassadeur Mehemet Elemin à Versailles², et les excuses « humbles et soumises » qu'il doit offrir à Louis XIV³, débattre des clauses contestées avec la plus insigne mauvaise foi, échanger et rapatrier sept à huit cents esclaves français, discuter la valeur de chacun des captifs, distribuer à propos des cadeaux sans lesquels aucune convention ne peut aboutir. Notre négociateur Dusault et Marcel, Commissaire de la marine, seront constamment « traversés par les Anglais », et ne rempliront leur tâche qu'en dépensant 100 000 livres. C'est encore Dusault qui rétablira « la bonne correspondance » en 1696, lorsque nos affaires paraîtront se gâter par suite de la parcimonie forcée de nos Consuls; enfin c'est lui qui, en 1720, ira de nouveau à Alger, escorté par un détachement de vingt-huit soldats et deux sergents, « pour remplir sa mission avec décoration », restituera les esclaves turcs employés sur nos galères, ramènera nos nationaux, rachètera les bonnes grâces des fonctionnaires de la Jenina et apaisera la Milice.

En succédant à Scignelay au Département de la marine, Pontchartrain avait compris ce que Dusault s'était vainement efforcé de démontrer, à savoir l'inutilité de nos mesures coercitives et de nos démonstrations belliqueuses à l'égard de la Régence. Il avait reconnu que les ruptures avec la Barbarie étaient plus dangereuses pour le commerce que la piraterie telle que la pratiquaient les reïs, et que nos bombardements n'avaient pas abouti à extirper le mal dans sa racine. Devant l'impossibilité d'anéantir les Algériens, il devenait de toute nécessité de vivre le moins mal possible avec eux; ce fut à quoi la Cour décida, de guerre lasse, jusqu'en 1792. On dut, il faut le dire, cette trêve de cent années à l'habileté et surtout à la patience de nos Consuls. La politique de la résignation n'était-elle pas plus difficile à suivre que celle de la résistance? Céder presque chaque jour à de tyranniques exigences, maintenir, en dépit des profusions de l'Angleterre, le prestige du pavillon royal

1. Voy. t. I, p. 171.

2. Voy. t. I, p. 276.

3. Voy. t. I, p. 277.

1827 م ، كما ذكرنا) ، قلبوا للجزائر ظهر المجن ، وانقضسوا عليها بقضهم وقضيضهم ، كما يقول القدماء ، مستخرجين من خزائن الوثائق والأرشفات الخطط التي لم تنس ، ومحققين المشاريع القديمة المتوارثة عبر القرون والأجيال ... ويستشهدون بتحريضات من الفيلسوف الألماني ليبنتز Leibnitz ، وفولتير ، وبتنبؤات القسيس - الأسقف - الكاتب بوسوى Bossuet ، التي تفيض حقدا وتهديدا ، إذ خاطب الجزائر العاصمة بقوله :

« ستسقطين تحت أقدام غالبك ! تقولين ، يا جزائر ، الفنية بغنائمك من النصرانية ، : « إني اسود البحار ، والأمم هي فريستى » ! وخفة سفنك كانت تملوك ثقة بنفسك . ولكنك ستهاجمين في عقر دارك ، مثل نسر يصطاد في عشه ، من بين الصخور المستعصية ...

« إنك مثل صيدا (عاصمة الفينيقيين في لبنان) . ومع ذلك فقد سكنت هي في أعماق البحار ! » (275) و (276) و (277) .

وفي دول تقدر قيمة الوثائق ، وتحتفظ بها ، وتستثمرها في الوقت المناسب ، لا تضيع وريقة !

يقول سيميونوف (278) :

« فلقد كان نابليون يعرف أن لويس السادس عشر نفسه كان يفكر ، مثل لويس الرابع عشر قبله ، ومثل سابقيهما في فرنسا منذ القرن الرابع عشر الميلادي (بل منذ لويس التاسع ،

(275) Plantet : les Consuls, p. LXXV : Introduction.

(276) انظر الشكل رقم : 168 .

(277) انظر الشكل رقم : 169 .

(278) Semjonow : ibid, p. 172.

fois, sans être admis à s'en plaindre, et l'opinion publique de toute l'Europe réclama enfin un vengeur contre tant d'attentats supportés au mépris des droits les plus sacrés. Notre représentant auprès d'Ilussein avait écrit en 1819 : « Si l'heure des « Turcs algériens a sonné, si la divine Providence daigne per-
 « mettre la délivrance des peuples de la Méditerranée, livrés
 « depuis trois siècles à la merci de ces brigands dévastateurs qui
 « ne rêvent que pillages et massacres, il serait honorable pour
 « notre pays qu'on lui dût cet immense et éternel bienfait. » Or, en 1830, l'indignation de la France était à son comble. Les outrages infligés à Deval et au comte de la Bretonnière ne furent que la goutte d'eau qui fit déborder le vase. Notre Gouvernement avait essayé, en effet, plus que tous les autres, de civiliser cette race malfaisante; dans l'impossibilité démontrée de la châtier utilement, il la supprima. Quelques jours nous suffirent pour assurer ce triomphe, et pour justifier ces paroles prophétiques de Bossuet : « Tu céderas ou tu tomberas sous ton
 « vainqueur, Alger, riche des dépouilles de la chrétienté. Tu
 « disais en ton cœur avare : Je tiens la mer sous mes lois et
 « les nations sont ma proie. La légèreté de tes vaisseaux te
 « donnait de la confiance; mais tu te verras attaquée dans tes
 « murailles comme un oiseau ravissant qu'on irait chercher
 « parmi ses rochers, et dans son nid où il partage son butin à
 « ses petits. Nous verrons la fin de tes brigandages. Tu es sem-
 « blable à Tyr, et pourtant elle s'est tue dans le milieu de la
 « mer! »

NOTA. — Voy. à la fin du tome II :

1^o La liste des Pachas, Aghas et Deys d'Alger ;

2^o La liste des Consuls, Vice-Consuls, Commissaires et Envoyés extraordinaires de France dans la Régence ;

3^o La liste des Traités et Conventions passés entre la France et la République algérienne ;

4^o Le firman d'investiture d'Ibrahim, nommé Dey d'Alger, par le Sultan Mahmoud 1^{er}, en 1746.

1. Plantet : Les Consuls de France à Alger avant la conquête française



12. BOSSUET, PAR RIGAUD

بوسو ————— دى

الشكل رقم : (169)

فى الربع الأخير من القرن الثالث عشر ، كما رأينا) ، فى احتلال الجزائر .

« فقبل إرسال بونابارت مهندسه العسكرى البحرى بوتان سنة 1808 م إلى الجزائر لوضع خطة لغزوها ، كان لويس السادس عشر قد كلف منذ ست وعشرين سنة مضت ، عام 1782م ، قنصله العام فى الجزائر ، دوكرسى De Kersey ، بوضع خطة . ولكن المشروع لم يتحقق إلا بعد اثنتين وعشرين سنة أخرى بعد نابليون ، أى سنة 1830 م .

« وهكذا بلغت الثورة الفرنسية هذه الوصية من فرنسا القديمة (الملكية القديمة) إلى الملكية العائدة (la Restauration) . وذلك أن أنظمة الحكم تذهب ، ولكن الأهداف الوطنية تبقى » (279) .

وذلك ... أن ميزان القوى قد تغير ، أثناء هذه المدة ! وكما كتب إروين الأمريكى :

« الآن حان وقت تصفية الحساب بين أمريكا والجزائر لصالح أمريكا » سنة 1815 م ، والجزائر فى حالة حرب مع سبع دول : كما مر ، وهى اسبانيا ، وإيطاليا ، والدانمارك ، وهولاندا ، وبروسيا (ألمانيا) ، وروسيا ، وأمريكا ؛ وكما كتب مواطنه سبنسر عن خدعة أنكلترا سنة 1816 م للجزائر ، وقال إنه بعد أن كانت أنكلترا « تبتلع الإهانات من الجزائر ، مثلاً عندما طرد الداى محمد عثمان قنصلها العام فريزر Fraser سنة 1767 م من قاعة الاستقبال أمام جميع الدبلوماسيين ، وقال له إنه سيكسر له سيفه على رأسه بيديه إذا ما عاد لتقلده على جنبه ،

(279) انظر الشكل رقم : 170 .

erweiterte diese Frage sogar zu internationalen Ausmaßen, indem er sich vornahm, auch England, Österreich und Rußland hinzuzuziehen. Natürlich lehnten sich die Engländer gegen dieses Vorhaben auf: es entsprach nicht ihren Gewohnheiten, Frankreich bei der Lösung seiner imperialen Probleme zu helfen. Zar Alexander aber antwortete zustimmend, und wenn er auch nicht beabsichtigte, seine Soldaten nach Algerien zu schicken, so hatte er doch nichts dagegen, wenn Napoleon dies tat. Im Jahre 1807 war der türkische Sultan auf die bevorstehende französische Expedition nach Algerien gefaßt — nur die neuzeitlichen europäischen Wirren retteten den Dei.

Aber es blieb eine Spur der französischen Vorbereitungen zurück. Der Genie-Offizier Boutin wurde 1808 mit geheimer Weisung nach Algerien abkommandiert. Wie bezeichnend für Napoleon klingt ein Satz aus seiner Instruktion: „Bei der ersten Gelegenheit sofort Notizen machen, um mir nachher nicht aus dem Gedächtnis etwas vorzufabeln.“ Boutin streifte einen ganzen Monat lang verkleidet um Algier herum und machte nicht nur Notizen, sondern zeichnete auch Kartenskizzen. Auf der Rückreise fiel sein Schiff in die Hände der Engländer. Er hatte gerade noch Zeit, die Skizzen zu vernichten; die Notizen jedoch bewahrte er auf — selbst in der Gefangenschaft auf der Insel Malta. Er entfloh von dort, als Matrose verkleidet, nach Konstantinopel, von wo aus er sich nach Paris durchhalf; seine Notizen brachte er mit. In seinem Bericht erläuterte er klar und deutlich, wie der Dei in kürzester Frist mit dem Mindestmaß an Verlusten aus seiner Hauptstadt vertrieben werden könne. Vor allem — schrieb er — darf man nicht versuchen, sie vom Meere aus anzugreifen. Man muß auf Kap Sidi-Ferruch, westlich von Algier, landen und von da aus von hinten auf die Forts marschieren, die währenddessen, so viel sie wollen, ihre Geschosse ins Meer verpuffen können.

Den gleichen Gedanken hatte schon unter Ludwig XVI., sechsundzwanzig Jahre vor Boutin, der französische Konsul in Algier, Kercy, geäußert. Aber Boutin hatte den Gedanken zu Ende gedacht und in militärisch-technischer Beziehung ausgearbeitet. Nach weiteren zweiundzwanzig Jahren wurde sein Plan aufs genaueste verwirklicht. Die Revolution übergab das Vermächtnis des alten Frankreich der Regierung der Restauration. Staatsformen sterben ab, nationale Aufgaben aber dauern.

(كما هي العادة إذ ذاك في البلدان الأوروبية) وتخلي القنصل العام عن كبريائه ، وامتلئ كسائر الدبلوماسيين الآخرين « (et fit comme tout le monde ») ، ومع ذلك فقد طرده الداي محمد عثمان من الجزائر نهائيا في يناير 1783 م ، ورفض طلب أنكلترا تعويضه بآخر ، رغم توسط السلطان العثماني (280) ؛ فضلا عن أحداث أخرى كثيرة كانت أنكلترا تعتبرها إهانات لها من الجزائر « (281) ، أنكلترا هذه التي كانت تخطب ود الجزائر ، إلى حد أن ملكها جورج الثالث عرض على الداي الحاج علي التحالف ضد أمريكا وغيرها ... انتهزت أول فرصة ، بانتهاء وضع الحرب بينها (أنكلترا) وأمريكا ، وعودة السلم إلى أوروبا ، وانسحاب نابليون من الساحة الأوروبية ، لتنقلب على الجزائر ، وتقلب لها ظهر المجن ، وتخدعها ، وتغرس المننجر في ظهرها سنة 1815 م ، ثم خاصة 1816 م ، برفع العلم الأبيض ثم الضرب المفاجيء عند الوصول إلى جدران العاصمة ... (282) فكذا فرنسا تماما ، قلبت ظهر المجن ، وكشرت عن أنيابها !

يقول نفس المؤرخ الأمريكي ، سبنسر :

« إن تغير السلوك الفرنسي (نحو الجزائر) ، من الترجي المتواضع إلى التهديد الاستفزازي ، قد أدى إلى إنهاء فترة اتصالات بين دولة « القرصان » وقلب بلاد الحضارة الأوروبية ، وهي الاتصالات الطولى (283) ، أى لا مثيل لها في تاريخ مدينة الجزائر .

(280) Rapport de Vallière in : Devoulx : ibid, p. 122.

(281) De Grammont : ibid, p. 323-333

(282) Spencer : ibid, p. 158-159.

(283) ولا يقال الاتصالات الأطول ، كما أن صيغة « الدولتين الأعظم » ، التي نحتها محمد حسنين هيكل ، وتبعه ، ولا يزال يتبعه ، في ذلك آخرون ، هنا وهناك ، خطأ . فالصحيح : الدولتين العظميين .

« فقد احتفظت فرنسا بقناصل ونواب ممثلين دبلوماسيين في عاصمة «القرصان» باستمرار من سنة 1579 م إلى 1827 ، ووقعت أول معاهدة بين الدولتين الكبيرتين سنة 1619 م » (284) .

ولكن ميزان القوى قد جنح، ومال ، كما قال المؤرخ الأمريكي سبنسر ، بمرور الزمن ، ونظرا لتغير الظروف في أوروبا ، وبين أنكلترا وأمريكا . مال هذا الميزان لغير صالح الجزائر . ولذا رأت كل من أمريكا وأنكلترا ، اللتين تفاهمتا إذ ذاك ، أن « تصفيا حسابهما مع الجزائر » ؛ كما رأت فرنسا أن الفرصة مواتية ، وأن الوقت قد حان لتحقيق الحلم القديم ، خاصة وكان أسطولنا - كما قلنا - قد تحطم في نافاران ، بعد أن قام بدور مشرف ، يوم 20 أكتوبر 1827 م ، إلى جانب الأسطول العثماني الذي أبيد ، فبقى وحده أمام أساطيل أنكلترا ، وروسيا ، وفرنسا مجتمعة !

حملة العدوان وسيدي فرج

كنا توقفنا ، في استعراضنا لنيات فرنسا ضد الجزائر وغاراتها عليها ، عند حصارها ميناء الجزائر في يونيو 1827 م ، وإعلانها الحرب عليها يوم 30 مارس 1830 م . فلنختم السلسلة إذن بالفارة الأخيرة ، وهي :

(284) كان سبنسر نفسه ذكر أن أول معاهدة بين الجزائر وفرنسا كانت في آخر القرن الثاني عشر ، بين ملك بجاية وحكومة مرسيليا ؛ كما ذكر دوفور (Dufour) أن معاهدة ثلاثية عقدت بين الجزائر والدولة العثمانية وفرنسا سنة 1534 ، وهي معاهدة شاتيلرو ، التي ذكرناها . ونعيد ذكرها في الأخير .
وبهذا فتكون معاهدة 1619 هذه هي الثالثة بين الجزائر وفرنسا ، وليست الأولى .

15) غارة الجنرال دوبرمون (285) والأميرال دوبرى (286) فى عهد شارل العاشر سنة 1830 م :

تجمع الأسطول الفرنسى فى الميناء البحرى الرئيسى : طولون ، فى غضون مايو 1830 م (287) . أقلع نحو الجزائر فى الخامس والعشرين منه (288) ، تحت القيادة العامة للجنرال دوبرمون ، والقيادة البحرية للأميرال دوبرى ؛ وأرسى بسيدى فرج ، طبقا لخطة الرائد بوتان ، بالضبط (289) ، بدون تغيير فاصلة ولا نقطة ، يوم 14 يونيو 1827 م (290)، وقابلته المقاومة الجزائرية ، تحت قيادة الآغا إبراهيم ، صهر الداى حسين ، ووقعت معارك رهيبة ، خاصة عند سيدى فرج (291)، ثم الأسطى والى (سطاولى) (292) ، ثم لدى برج الكدية (293) . وكان دخول الجيش الممتدى العاصمة يوم 04 يوليو مساء (294) ، والاستيلاء عليها ، بعد مجازر، وفداء، واستشهاد (295) ، وكان ما أسموه باستسلام الداى حسين وتوقيع :

66) اتفاقية تسليم الجزائر العاصمة يوم 05 يوليو 1830 م ، على الرابعة صباحا ، بين الداى حسين وشارل العاشر ، أمضاها

(285) انظر الشكل رقم : 171 .

(286) انظر الشكل رقم : 172 .

(287) انظر الشكل رقم : 173 .

(288) انظر الشكل رقم : 174 .

(289) Semjonow : ibid, p. 209.

(290) انظر الشكل رقم : 175 .

(291) انظر الشكل رقم : 176 .

(292) انظر الشكل رقم : 177 .

(293) انظر الشكل رقم : 178 .

(294) انظر الشكل رقم : 179 .

(295) انظر الشكل رقم : 180 أ ، و 180 ب .



Le général de Bourmont.

الجنرال دي بورمون

الشكل رقم : (171)



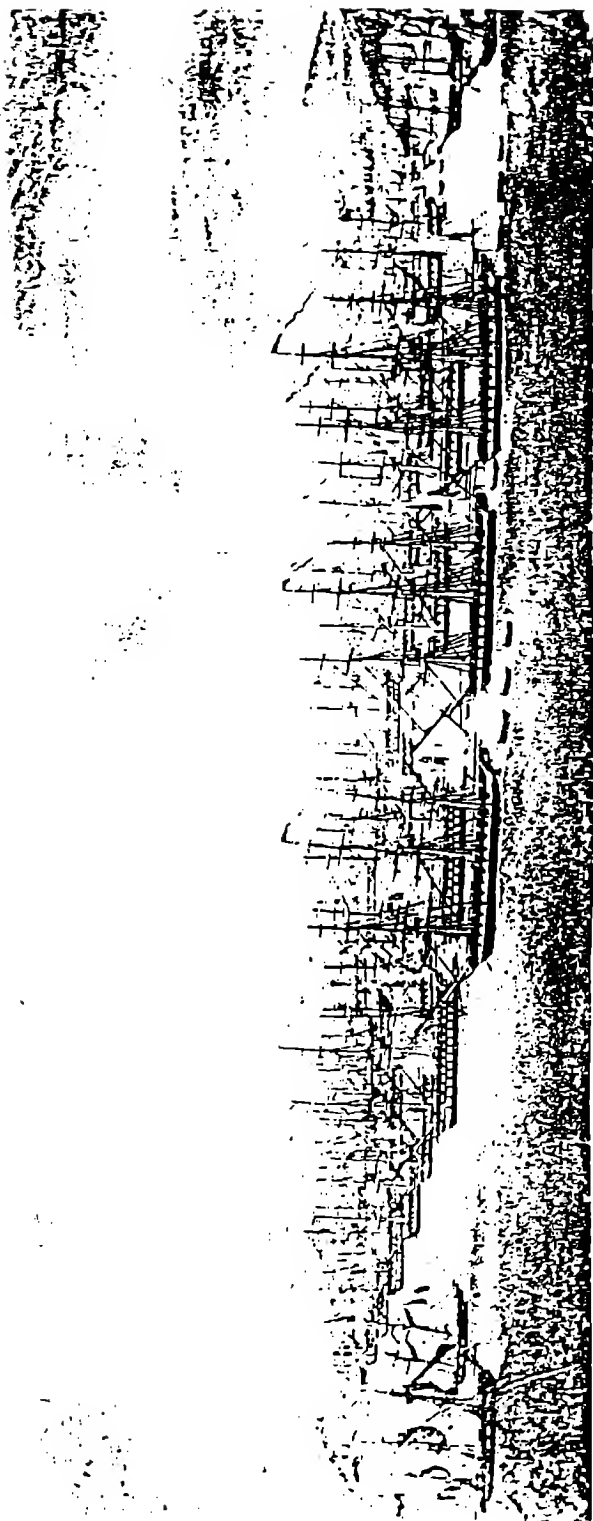
الأميرال دوبيري. L'amiral Duperré.

الشكل رقم : (172)



165.- La Flotte Française à Toulon (1830)

الشكل رقم : (173)



166.- Toulon . Départ de la Flotte Française
(25 Mai 1830)

الشكل رقم : (174)



الشكل رقم : (175)



COMBAT DES FRANÇAIS CONTRE LES ALGÉRIENS

- Combat des Français contre les Algériens

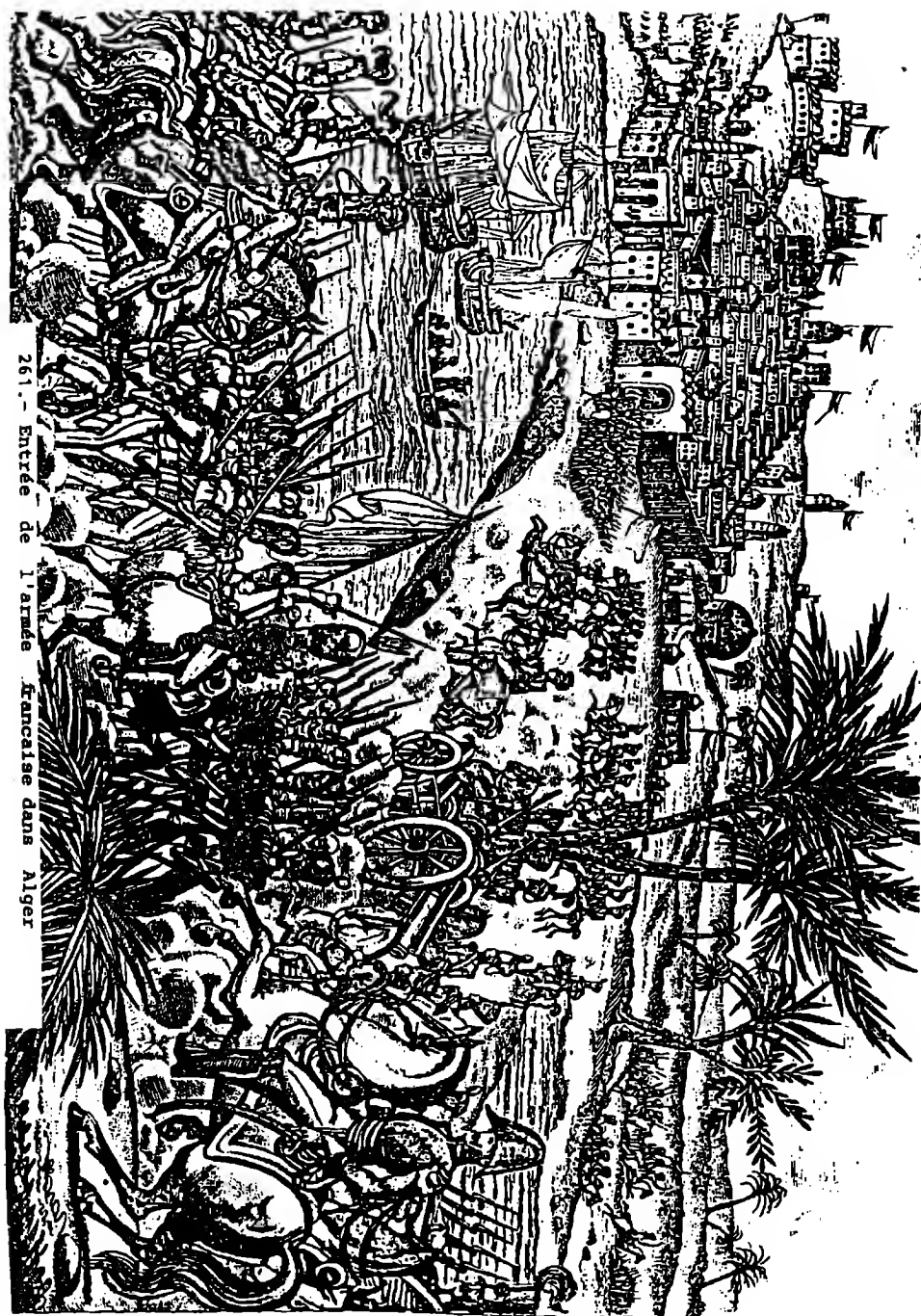


- Épisode de la bataille de Staouéli (24 juin 1830)

(177) : 5, Ucall



Attaque du Fort l'Empereur



261.- Entrée de l'armée française dans Alger



257.- Prise d'Alger

الشكل رقم : (180) أ



عنه الجنرال دوبرمون (296)، (297)، (298)، (299)، وفي العشرين يوليو أبحر الداي حسين على ظهر باخرة جان دارك إلى منفاه في ليفورن Livourne (إيطاليا) (300)، ثم سمح له بالانتقال فيما بعد إلى الإسكندرية حيث توفي سنة 1838 م .

وبهذه الاتفاقية تكون الجزائر وفرنسا قد عقدتا ستا وستين اتفاقية ومعاهدة إلى سنة 1830 م ، وسنوزعها على العهود المختلفة فيما بعد .

وندرج هنا مراسلة أخيرة بين دايات الجزائر وملوك فرنسا، وقادة ثورتها وجمهوريتها الأولى ، وأمباطورها ، ثم ملكيها الآخرين : وهي رسالة من الداي حسين إلى شارل العاشر ، من منفاه بإيطاليا ... يتساءل فيها « عما إذا كانت الدفلى الفرنسية ستزهر في التربة الجزائرية » ... في لهجة من التشكك ، مع مسحة من الهزؤ والسخرية ... ومع بصيص من أمل في العودة ... (301) و (302) .

ويوم احتلال العاصمة تنافس الضباط الفرنسيون الكبار في السلب والنهب من خزائن قصر الداي في القصبة ...
فأما الجانب المالى فقد طرqnه فى فصل الديون المستحقـة للجزائر على فرنسا .

وأما الجانب المادى الآخر ، فها هى نبذة عنه :

(296) انظر الشكل رقم : 181 .

(297) انظر الشكل السابق ، رقم : 157 مكرراً .

(298) انظر الشكل رقم : 182 .

(299) a) Plantet : Correspondance, p. 592.

b) Garrot : ibid, p. 701.

(300) انظر الشكل رقم : 183 .

(301) انظر الشكل رقم : 184 ، 184 ب .

(302) Plantet : Correspondance, p. 570.

CONVENTION
ENTRE LE COMTE DE BOURMONT, GÉNÉRAL EN CHEF DE L'ARMÉE FRANÇAISE,
ET HUSSEIN, DEY D'ALGER ¹

Alger, le 5 juillet 1830

Le fort de la Casbah, tous les autres forts qui dépendent d'Alger et le port de cette ville seront remis aux troupes françaises ce matin à 10 heures (heure française) ²

Le Général en chef de l'armée française s'engage envers Son Altesse le Dey d'Alger à lui laisser sa liberté et la possession de toutes ses richesses personnelles ³.

Le Dey sera libre de se retirer avec sa famille et ses richesses particulières dans le lieu qu'il fixera, et tant qu'il restera à Alger il y sera, lui et toute sa famille, sous la protection du Général en chef de l'armée française. Une garde garantira la sûreté de sa personne et celle de sa famille ⁴.

Le Général en chef assure à tous les soldats de la Milice les mêmes avantages et la même protection ⁵.

L'exercice de la religion mahométane restera libre. La liberté des habitants de toutes les classes, leur religion, leurs propriétés, leur commerce et leur industrie ne recevront aucune atteinte; leurs femmes seront respectées. Le Général en chef en prend l'engagement sur l'honneur.

L'échange de cette convention sera fait avant dix heures ce matin, et les troupes françaises entreront aussitôt après dans la Casbah et successivement dans tous les forts de la ville et de la marine.

Au camp devant Alger, le 5 juillet 1830.

DE BOURMONT ¹.

(Sceau du Dey)

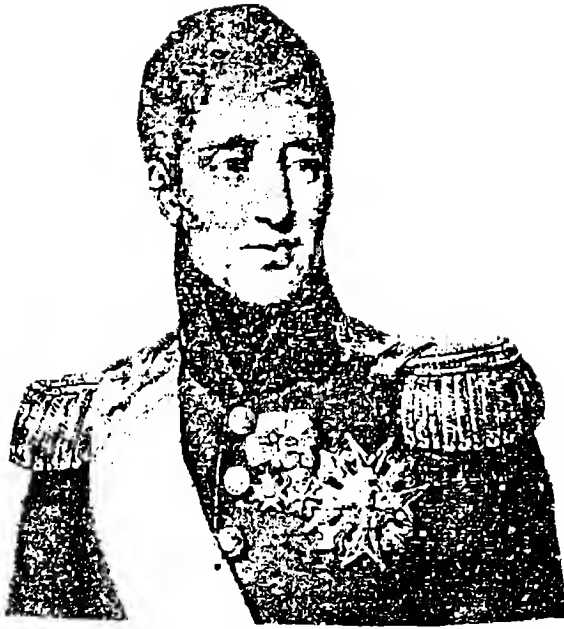
1. Cette convention fut dictée par le Commandant en chef au général Desprez, et l'intendant Denniée en remit une copie à l'Envoyé Mustapha. M. Braecwicz, interprète de l'armée, accompagna ce dernier chez le Dey, qui ne fit aucune difficulté pour y apposer son sceau et qui demanda seulement un délai de deux heures pour l'entrée des troupes françaises. Voy. *Moniteur universel*, 1830, p. 229, 750 et 162.

2. Le Trésor de la Casbah s'élevait à 48 634 527 fr.; il fut expédié en France et compensa les frais de notre expédition. Voy. *Note sur le Trésor de la Casbah. (Anecdotes historiques et politiques pour servir à l'histoire de la conquête d'Alger,* par Merle, secrétaire particulier du comte de Bourmont. Paris, 1831, p. 290.)

3. Hussein reclama 30 000 sequins (270 000 fr.) comme étant sa pleine propriété, disant qu'il les avait laissés à la Casbah. De Bourmont ordonna aussitôt qu'on les lui remit, et l'autorisa à enlever, le 7 juillet et les deux jours suivants, les armes, meubles, étoffes et tapisseries qu'il désirait conserver.

4. Hussein s'embarqua le 20 juillet sur la frégate *La Jeanne d'Arc* avec sa famille, son harem et sa suite, soit au total 110 personnes dont 55 femmes. Il avait demandé de se réfugier à Malte, mais le Commandant en chef ne lui avait pas permis de chercher un asile chez des ennemis. Il avait alors déclaré qu'il se retirerait à Naples, et il y débarqua en effet le 31 juillet. Il y séjourna quelque temps et vint ensuite se fixer, le 25 octobre, à Livourne. Voy. *Moniteur universel*, 1830, p. 803, 830, 840, 993, 990 et 1431.

5. 2 500 Janissaires, après avoir été entièrement désarmés, furent embarqués



شارل العاشر ملك فرنسا

الشكل رقم : (182)



الداي حسين باشا يغادر مدينة الجزائر

- عن كتاب بروجير -

الشكل رقم : (183)

HUSSEIN, ANCIEN DEY D'ALGER,
A LOUIS-PHILIPPE.

* Naples, le 25 septembre 1830.

Sire,

Ce n'est pas pour me plaindre de ma situation malheureuse que j'ose m'adresser à Votre Majesté. Je ne connais que trop les vicissitudes de la fortune, et je croirais mériter toutes les injustices si je n'avais pas la force de soutenir ses rigueurs.

Mais parmi les infortunes dont je suis accablé, il y en a auxquelles je puis avouer être fort sensible sans témoigner de la faiblesse, et que Votre Excellence ne pourrait refuser de connaître sans blesser la noblesse de son caractère.

Toute l'Europe a retenti des violences dont j'ai été accusé envers le Consul de France, M. Deval¹. Une guerre affreuse, la

désolation de mon pays, ma défaite et mon exil en ont été la conséquence.

Je pardonne volontiers à la fortune la perte de mon pouvoir, de mes richesses et de mon indépendance, mais je ne saurais me soumettre à l'opinion injurieuse que mes emportements aient attiré tant de malheurs sur ma patrie et sur moi.

Si je voyais sur le trône de France ce même Roi qui a employé toute sa force pour renverser le mien, j'étoufferais mes chagrins au fond de mon cœur. Je ne croirais pas que ma justification pût se faire jour à travers les préventions de ses Ministres. Mais il a voulu que je fusse l'avant-coureur de sa chute, et maintenant je puis plaider la cause de mon innocence sans irriter les auteurs de mon infortune.

le même jour que leur ancien Chef, et transportés à Smyrne sur quatre vaisseaux de ligne. Au moment de leur départ, chacun d'eux reçut une gratification de 5 piastres, équivalant à deux mois de leur solde.

1. Le double de cette Convention fut remis par Hussein, au moment de son départ d'Alger, entre les mains du Consul d'Angleterre.

2. Voy. la note 2, p. 363.

Votre Majesté trouvera dans le mémoire ci-joint le récit fidèle des intrigues qui ont allumé la discorde contre moi et Charles X ¹, et qui enfin ont amené cette guerre calamiteuse dont j'ai été la victime. Votre justice sera bien surprise de voir que des marauds algériens ², qui avaient été mis d'accord par un avocat de Paris ³ et qui jouissaient de la confiance de M. Deval, Consul de France, et de ses protecteurs ⁴, aient été à portée de soustraire malgré moi à quelques-uns de mes sujets une propriété de plusieurs millions ⁵. Je n'ai pas pu me résoudre à dissimuler un tort aussi grave; ma sensibilité à cet outrage a été regardée par la Cour de France comme un crime impardonnable, et elle a fait tomber sur moi et sur mon pays la peine du vol que j'avais souffert et qu'elle devait réparer ⁶. Je ne sais pas si les choses sont maintenant en état de retourner en arrière. Votre Majesté verra mieux que moi si les lauriers des Français peuvent s'enraciner en Afrique, et si cette plante stérile arrosée par des mains étrangères peut produire le fruit de la civilisation.

Mais si la nature du sol, la force du climat et la fermeté inébranlable des habitudes résistent pour toujours à la réalisation de cette espérance, elle voudra bien examiner une question assez digne de sa haute politique. Doit-on permettre que l'ambition expose à des risques la gloire des Français? Ne sera-t-il pas mieux que la générosité la conserve, et que l'humanité en profite pour établir par des moyens naturels les institutions les plus utiles dont l'Afrique soit susceptible?

En attendant ce sera assez pour moi si, d'après l'histoire de l'origine de la guerre, Votre Majesté veut bien m'honorer de son estime, et si elle tire quelque avantage de mes infortunes pour se tenir en garde contre les hommes qui m'ont trahi, et qui sont toujours dans la funeste attitude de tromper et de nuire.

Je suis, Sire, avec une pleine confiance dans la haute justice de Votre Majesté,

(Sceau)

HUSSEIN PACHA.

1. Le mémoire qui accompagne l'original de cette lettre est relatif aux Juifs Bacri, à la transaction concernant les dettes de la France à leur égard, et au séquestre des sommes réservées à leurs créanciers. Voy. les notes 1 et 4, p. 553 et 559.

2. Les Juifs Bacri et Busnach.

3. Nicolas Pléville.

4. Pas plus que ses prédécesseurs à Alger Deval n'eut confiance en ces Juifs, qui furent toujours signalés à la Cour comme des intrigants dangereux, et qui ne trouvèrent d'appui qu'auprès du prince de Talleyrand.

5. Allusion aux 2500 000 francs remis à la Caisse des Dépôts pour le compte des créanciers des Juifs.

6. Ces récriminations étaient de mauvaise foi, car le Dey savait fort bien que la transaction de 1819 n'était que le résultat des stipulations du traité du 17 décembre 1801 (article XIII), et il en avait formellement approuvé les articles, notamment le IV^e, ainsi conçu : « Il est bien entendu que sur la somme à délivrer

- au sieur Nicolas Pléville en sa qualité de fondé de pouvoirs des sieurs Jacob
- Cohen Bacri et Busnach, le Trésor royal retiendra le montant des oppositions
- et transports des créances signifiées au Trésor à la charge de ses deux commet-
- tants, jusqu'à ce que le dit sieur Pléville ait obtenu à l'amiable ou devant les
- tribunaux français la mainlevée des dites oppositions ou le règlement des droits
- des cessionnaires, de même qu'il est entendu que la partie de la somme non
- grevée d'oppositions ou de significations de transports lui sera immédiatement
- délivrée. »

تابع للمشكّل رقم : (184) ب

وقبل أن يورد غالير الفنائم المالية والمادية التي أخذوها يوم 5 يوليو 1830 م ، من قصر الداي ومخازن الدولة في القصبة والبحرية ، بدأ بالجانب « الروحي » ، أو الصليبي ، طبقا لحلم لويس التاسع (St Louis) ، ولما كتبه حفيده شارل العاشر في رسائله إلى جميع الدول الأوروبية - ونكرر إيراد هذه الفقرة - في 12 مارس 1830 م ، إذ قال :

« غزو الجزائر في صالح النصرانية كلها ! »

« إن غزو الجزائر في صالح النصرانية (أو « المسيحية ») كلها » (303) . فقال هو ، غالير ، بدوره :

« إن احتلال فرنسا عاصمة الجزائر يضمن انتصار كل من الحضارة والمسيحية في الوقت نفسه في أرض افريقيا » :
« La prise d'Alger par les Français assurait à la fois sur la terre d'Afrique le triomphe de la civilisation et du christianisme » (304)

ثم أورد غالير ، زيادة عن الفنائم المالية البحتة ، المختلف في قيمتها الإجمالية ، حسب الروايات ، من الثلاثمائة مليون إلى خمسين مليون فرنك ، هذه الكميات من مختلف المواد ، فقدرها ، وقال :

« وصودرت في مخازن القصبة والبحرية أصناف من مواد وعتاد نذكر منها :

« قيمة الأصواف والمواد المختلفة : (ثلاثة ملايين) 3.000.000 من الفرنكات ؛ قيمة المدافع البرونزية : (أربعة ملايين) 4.000.000 من الفرنكات » (305) .

(303) De Grammont : ibid, p. 397.

(304) Galibert : ibid, p. 318.

(305) انظر الشكل رقم : 185 .

Ainsi, par un hasard heureux, la conquête d'Alger, loin de grever la France couvrit ses propres dépenses et fit rentrer plusieurs millions dans les caisses publiques ; car, outre le trésor, la Kasbah contenait encore des quantités considérables de laine, de peaux, de cuirs, de cire, de plomb et de cuivre ; dans les magasins de la marine on trouva aussi du blé, du sel, de la toile, des cordes, des ferrures et du chanvre en abondance. En résumé, voici l'état des recettes et des dépenses de l'expédition jusqu'à l'époque du retour des forces navales à Toulon :

Le trésorier de la Kasbah, à Alger, consigna à la commission française de finances, en juillet 1830.	48,684,527 fr.
Valeur des laines et denrées diverses.	3,000,000
<i>Idem</i> , des pièces d'artillerie de bronze.	4,000,000
Total.	55,684,527 fr.

هذا هو السجل والنزاع
 في الممتلكات التي كانت
 في الجزائر في سنة 1830
 في الممتلكات التي كانت
 في الجزائر في سنة 1830

الشكل رقم : (185)

ثم يلخص غالبيير الفرق بين المصروف على « الحملة » والمدخول منها ، فيقول :

« وعوض أن يكبد غزو الجزائر فرنسا خسارة ، فقد غطى تكاليفه ، وأدخل فائضا إلى خزانة الدولة قدر عدة ملايين .

« وذلك أنه ، زيادة عما صودر من مال فى خزانة القصبية (قصر الداى ومخازن الدولة الجزائرية) ، فقد أخذنا منها أيضا كميات هائلة من أصواف ، وجلود ، وشمع ، ورصاص ، ونحاس ؛ ومن مخازن البحرية كميات أخرى من قمح ، وملح ، وقماش مقوى (toile)، وحبال، وقضبان حديدية، وغيرها» (306)

ثم يرجع إلى الغنائم المالية :

« ومن المال فقط غطينا تكاليف الحملة ، وبقي لنا فائض قدر سبعة ملايين ومائة وأربعة وثمانين ألف وخمسمائة وسبعة وعشرين فرنك (7.184.527 فرنك) » (307) و (308) .

وهذا بعد أن ذكر قبل ذلك بضعة أرقام . ليست كاملة - عن المدافع البرونزية التى أخذوها بنفس « المناسبة » ، فقال :

« وكانت ، من جملة الغنائم التى أخذناها ، مدافع برونزية كثيرة كان شارلكان يوم 25 فبراير 1525 م قد غنمها عن فرانسوة الأول فى بافيا (Pavia ، حيث غلبه وأخذ أسيرا) ؛ وغنمها الجزائريون بدورهم عن شارلكان فى أكتوبر 1541 م ؛ وكان الداى حسين خصوصا يريها القناصل والمبعوثين الخاصين للدول الأوروبية كشهادة مجد للدولة الجزائرية .

(306) Galibert : ibid, p. 330.

(307) Galibert : ibid, p. 331.

(308) انظر الشكل رقم : 188 .

Les dépenses de tout genre pour l'expédition, celles de la marine et de la guerre réunies, se sont élevées à 48,500,000 fr.

Excedant des recettes. 7,184,527 fr.
 على أساس الحساب الأرشى : وهو خمسة مليون أمان على أساس

Nous nous sommes livrés à cette espèce de digression que nous avons jugée indispensable; maintenant nous allons reprendre le fil de notre histoire.

L'ex-dey d'Alger, qui pendant quelques jours avait cru que M. de Bourmont viendrait lui faire une visite, attendait paisiblement dans une maison particulière cette marque de déférence. On lui fit comprendre que le général en chef ne lui accorderait jamais une telle satisfaction, et qu'il était d'ailleurs de son intérêt de provoquer une entrevue, car il avait encore beaucoup d'objets précieux à réclamer. Ces motifs décidèrent Hussein à comprimer son orgueil et à demander une audience; M. de Bourmont mit la meilleure grâce du monde à la lui accorder.

Le jour désigné, plusieurs aides de camp du général en chef, le consul et le vice-consul de France, allèrent prendre le dey et l'accompagnèrent à pied jusqu'à la Kasbah, où il se rendit monté sur un très-beau cheval arabe richement caparaçonné; cinquante Turcs, Maures ou Nègres, formaient son escorte. Hussein paraissait supporter son malheur avec résignation. Quoique âgé de soixante-trois ans, il était encore plein de vigueur; son costume était d'une extrême simplicité: il ne portait de broderies ni sur son manteau ni sur ses autres vêtements; un burnous blanc était négligemment jeté sur ses épaules, et un turban en cachemire cramoisi couvrait sa tête. Partout sur son passage on lui rendit les honneurs militaires: en entrant dans la Kasbah, la garde lui présenta les armes et les tambours battirent aux champs.

Le général en chef le reçut dans la grande cour; après l'avoir embrassé affectueusement, il l'invita à déjeuner, et le fit asseoir le premier à table. Hussein mangea peu et ne but point de vin, malgré l'invitation répétée que lui en fit le général. Au commencement du repas, il n'avait pu se défendre d'une certaine émotion; on lui en demanda la cause: « Que voulez-vous, » répondit-il en souriant, je suis peu habitué à de telles réunions, je me remettrais bientôt.... » En effet, il fut pendant tout le reste du déjeuner d'une sérénité parfaite. On lui parla de son prochain départ sans qu'il témoignât la moindre surprise; sa réponse était toute prête: il désigna l'île de Malte pour le lieu où il désirait se retirer; mais une lettre du président du conseil avait prévenu M. de Bourmont que les relations de la France avec le cabinet britannique étant devenues moins amicales, on ne pouvait consentir à ce que le dey choisît, comme lieu de retraite, une contrée soumise à la domination anglaise. Lorsqu'on lui eut fait sentir qu'il fallait renoncer à son projet, il n'insista point, et désigna Livourne. M. de Bourmont lui donna l'assurance qu'il y serait transporté immédiatement.

الجزيرة المذكورة هي 330
 الكرفية منها.

« وكان أحد تلك المدافع مصنوعا في فرنسا في عهد لويس الثاني عشر ، وسبعة منها في عهد فرانسوة الأول ، وواحد في عهد ابنه هانرى الثانى، وواحد في عهد لويس الثالث عشر» (309).

ونحن نضيف إلى هذه الأرقام أرقاما أخرى لمدافع أخذوها بنفس « المناسبة » أيضا ، وهى ألفا (2000) مدفع ، منها سبعمائة مدفع برونزية كنا غنمناها عن فشل معركة الدوق دوفوفور فى جيغل فى عهد لويس الرابع عشر ، يوم 23 يوليو 1664 م ، (ذكرها غالير نفسه ، أو غارو ، أو Aperçu ، لا أذكر بالضبط ، مع الأسف) ، وثلاثة صنعت فى عهد الأمير عبد القادر سنة 1833 م ، فى تلمسان (310) ، (وكانت معروضة بالانفاليذ فى باريس ، ثم سحبت منه إلى المتحف الحربى فى فنسان ، فى باريس) .

ويقول غالير ، بعد ذكر هذه الأرقام :

« سمعنا لنفسنا بهذا الاستطراد الذى بدا لنا ضروريا . ولنعد الآن إلى خيط السير » .

ولا نجد ، نحن ، أليق من هذه الصيغة ، ولهذا نستعيرها منه ، ونستعملها بدورنا ، فنقول :

لنقف عند هذا العام ، سنة 1830 م ، الذى يضعه لنا عنوان هذه الدراسة ، ويحدده لنا إطارها ، لنعود إلى تلخيص لب الموضوع ، فنقول :

(309) Galibert ibid. p. 321.

(310) محمد بن الأمير عبد القادر : تحفة الزائر فى تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ؛ وأمين سعيد : تاريخ الاستعمارين (الاستعمارين) الفرنسى والإيطالى فى بلاد العرب .

خلاصة العلاقات بين الجزائر وفرنسا قبل 1830 م :

وإذا ما أردنا الآن أن نلخص في أسطر علاقاتنا بفرنسا قبل 1830 م ، قلنا :

إن العلاقات الرسمية بين الجزائر وفرنسا ترجع إلى أواخر القرن الثاني عشر ، بمعاهدة بجاية ، حسبما ذكر المؤرخ الأمريكي سبنسر ؛ ثم معاهدة خير الدين وسليمان القانوني وفرنسوة الأول ، سنة 1534 م ، حسبما ذكر دوفور ، ولم تنتظر أواخر القرن السادس عشر ، خلافا لما كتبه بلانطى فى أول سطر من مقدمة كتابه « المراسلات بين دايات الجزائر وملوك فرنسا » إذ يقول :

« تعد نشأة العلاقات الرسمية بين الجزائر وفرنسا إلى أواخر القرن السادس عشر ؛ وتواصلت تقريبا بدون انقطاع حتى يوليو 1830 » . (311) و (312)

ولا نود أن نكرر مرة أخرى أهمية النجيدات العسكرية « لإنقاذها من التفتت ، والتمزق ، والخراب » ؛ ولا قيمة للتأييد الدبلوماسى للثورة الفرنسية بالاعتراف الأول بجمهوريتها الأولى ؛ ولا حجم ولا نوعية الإنجاد لتلك الثورة وجمهوريتها بالقروض الاستيرادية ، والعينية ، والهبات ، والمساعدات العسكرية بالتدخل المباشر أحيانا ، وبالحيل ، والوسائل الاستراتيجية الأخرى ، والمواد الغذائية ، والاستهلاكية العديدة ...

(311) Plantet : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, t. 1, p. 1.

(312) انظر الشكل رقم : 187 .

AVANT-PROPOS

Les relations officielles de la Régence d'Alger avec la France datent de la fin du xvi^e siècle; elles se sont continuées presque sans interruption jusqu'en juillet 1830. Pendant cette longue période de deux siècles et demi, les Pachas et les Deys ont échangé avec la Cour de nombreuses lettres que les historiens n'ont pu consulter encore, car elles n'ont jamais fait partie d'une collection spéciale dans les Archives de l'État. Lorsque les Princes barbaresques écrivaient à l'« Empereur de France » ou à son « Grand Vizir », leurs correspondances parvenaient à la Cour, par l'entremise de nos Consuls, soigneusement enveloppées dans des sachets de soie blanche. Elles étaient aussitôt remises entre les mains des Secrétaires-interprètes chargés d'en faire la traduction¹. Quand nos Rois jugeaient à propos de répondre aux « Illustres et Magnifiques Seigneurs », leurs dépêches étaient transmises également par nos agents aux Souverains de la Jenina⁽²⁾ et ces der-

1. Dans nos investigations, nous avons vu plusieurs originaux qui n'étaient plus accompagnés de leur complément français. Nous avons été, par suite, obligé de suppléer à la négligence des gardiens de nos papiers consulaires, et, pour combler certaines lacunes, nous avons fait traduire de la langue turque les documents dont la version française faisait défaut.

(2) du colonial Square Bresson, actual Square Port-Saïd, l'emplacement.

الشكل رقم : (187)

E. Plantet: Correspondance des deys d'Alger avec la Cour de France, (1579 - 1833)

فنكتفى هنا بإيراد قوائم القناصل العامين الفرنسيين الدائمين في الجزائر ، والمبعوثين الخاصين من ملوك فرنسا ، وقادة ثورتها وجمهوريتها ، وأمباطورها ، ثم من ملوكها من جديد ... إلى دايات الجزائر ، وبعض رسائلهم إليهم ، حتى آخر رسالة من الملك المنحوس شارل العاشر إلى الداي حسين ؛ ثم بقائمة القوائم : قائمة المعاهدات الجزائرية الفرنسية ... وهى بعدد السبعين ، لا سبع ، ولا سبع عشرة ، ولكن سبعون ! ونختم تلك القوائم بقائمة رؤساء الدولة الجزائرية - أو دولة الجزائريين (313) (l'Etat des Algériens)، كما سماها بابا عروج سنة 1516 ، - طوال تلك القرون الثلاثة الطويلة التى جاءت فى تيار المد الصليبي عقب سقوط غرناطة فى 02 يناير 1492 ، والتى جابهت فيها الجزائر أوروبا بكاملها - غربا وشرقا ، كما نقول اليوم - ، وقد انضمت إليها أمريكا فى الفصل الأخير ؛ ليعرف شبابنا أسماءهم ، بمختلف صيغهم وألقابهم ، ويتذكروها عند ذكر أسماء ملوك ورؤساء الدنيا ... وليتيقن أنه ، هو أيضا ، كان له قادة وأبطال مفاويز على مختلف مراحل تاريخه الطويل ، العريق ؛ فلا استقل سنة 1962 ، ولا ولدت أمته حديثا ، ولا كانت الجزائر « فتية » ، بل عريقة ، أثيلة ، قديمة قدم الإنسان ، كما كان يقول دوغول عن فرنسا : « بلادى العزيزة العريقة » : (« Mon cher et vieux pays ») ، لا بمعنى الشيخوخة ، والهرم ، ولكن بمعنى القدم - والقدم لله - ، والعراقة ، والأصالة ، والأثالة ، كما قال جيسكار ديستان بعده : « فرنسا التاريخية تحيي الجزائر المستقلة » ، المولودة بالأمس القريب ، سنة 1962 ؛ أو كما قال رئيس ما على شاطئ النيل : « مصر ليست من اليوم ، مثلكم يا أقزام - » لزملائه الرؤساء

(313) انظر الشكل رقم : 187 مكررا ، ب .

LISTE DES PACHAS, AGHAS ET DEYS D'ALGER

ARODJI BARBEROUSSE, Fondateur de la République d'Alger. 1516.

PREMIÈRE PÉRIODE.

PACHAS.

Keir-ed-din	1518	Chaban.....	1592
Hassan-Agha.....	1533	Mustapha.....	1595
El-Hadji, <i>intérimaire</i>	1545	Kheder (2 ^e fois).....	1595
Hassan-ben-Keir-ed-din.....	1546	Mustapha (2 ^e fois).....	1596
Saïfa, <i>intérimaire</i>	1551	Ali Hassan.....	1598
Salah-reïs.....	1552	Soliman.....	1601
Hassan-Corso, <i>intérimaire</i>	1555	Kheder (3 ^e fois).....	1603
Tekeli.....	1556	Mehemet.....	1604
Youssouf, <i>intérimaire</i>	1556	Mustapha Koussa.....	1605
Yahia, <i>intérimaire</i>	1557	Redouan.....	1607
Hassan-ben-Keir-ed-din (2 ^e fois)	1557	Mustapha Koussa (2 ^e fois)....	1610
Hassan-Agha, <i>intérimaire</i>	1561	Hossein.....	1613
Guca Mohammed, <i>intérimaire</i> .	1561	Mustapha Koussa (3 ^e fois)....	1613
Akmed-ben-Salah-reïs.....	1562	Hossein (2 ^e fois).....	1617
Yahia, <i>intérimaire</i> (2 ^e fois)...	1562	Sidi Saref.....	1620
Hassan-ben-Keir-ed-din (3 ^e fois).	1562	Kheder.....	1621
Mohammed-ben-Salah-reïs...	1567	Mourad.....	1621
Hadji Ali.....	1568	Khosreff.....	1621
Memmi, <i>intérimaire</i>	1571	Hossein (3 ^e fois).....	1622
Achmed.....	1572	Ibrahim.....	1623
Ramadan.....	1574	Sidi Saref (2 ^e fois).....	1624
Hassan Veneziano.....	1577	Hossein (4 ^e fois).....	1624
Djaffer.....	1580	Younès.....	1624
Hassan Veneziano (2 ^e fois)....	1582	Hossein (5 ^e fois).....	1624
Mamet.....	1583	Ioussouf.....	1631
Achmed (2 ^e fois).....	1586	Ali.....	1637
Kheder.....	1589	Cheik-Husseïn.....	1640

E. Plantet.

Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France (2^e v.)

الشكل رقم : (187) مكرراً

Jouset Kortandji.....	1640	Ahmed.....	1654
Mourad.....	1641	Ibrahim.....	1655
Jouset Kortandji (2 ^e fois).....	1642	Ahmed (2 ^e fois).....	1656
Omar.....	1642	Ibrahim (2 ^e fois).....	1657
Jouset Kortandji (3 ^e fois).....	1647	Ali.....	1659
Mohammed-el-Alem.....	1652	Ismail.....	1659

DEUXIÈME PÉRIODE.

AGHAS.

Khalil.....	1659	Chaban.....	1661
Ramdan.....	1660	Ali.....	1664
Ibrahim.....	1661		

TROISIÈME PÉRIODE.

DEYS.

Hadji Mohammed.....	1671	Cur-Abdi.....	1724
Baba Hassan.....	1681	Baba Ibrahim.....	1732
Hadji Hussein (Mezzomorto).....	1683	Baba Ibrahim-el-Seghir.....	1745
Ibrahim Khodja.....	1686	Mehemmed-el-Retorto.....	1748
Hadji Chaban.....	1689	Baba Ali.....	1754
Hadji Ahmed.....	1695	Baba Mohammed-ben-Osman.....	1766
Cara-ben-Ali.....	1698	Sidi Hassan.....	1790
Baba Hassan.....	1698	Baba Mustapha.....	1798
Ali.....	1699	Akhmed Khodja.....	1805
Baba Hadji Mustapha.....	1700	Ali Boursali Khodja.....	1808
Hussein Khodja.....	1705	Hadji Ali.....	1809
Mohammed-ben-Ali.....	1707	Hadji Mohammed.....	1815
Deli Ibrahim.....	1709	Omar.....	1815
Ali-Chaux.....	1710	Ali Khodja.....	1817
Mehemed-ben-Hassan.....	1718	Hussein.....	1818-1830

E. Plantet

الشكل رقم : (187) مكرر ب

والملوك العرب - بل هي بنت سبعة آلاف سنة ! » ، ويجيبه زميل له من الرافدين : « بل نحن أقدم : فدولتنا وحضارتنا ترجعان إلى سبعة آلاف وخمسمائة سنة ! » ، ويرسل بمعرض يجوب العالم ليؤكد ذلك بصور عن سومر ، وآشور ، وبابل وحمورابي !

ولنعد إلى إدغار فور ، ودوغول ، وجيسكار ، وآخرين قبلهم وبعدهم ، لنقول لهم ، بشهادة وثائقهم ، - لأن وثائقنا عندهم - : فمن سنة 1564 إلى سنة 1827 اعتمد الفرنسيون - حسب مصادرهم ، المرفق بعضها هنا - واحدا وستين قنصلا عاما مقيما لدى الجزائر ، كثيرون منهم يحملون ، زيادة على ذلك ، لقبى « مستشار الملك ، القائم بأعماله لدى داي الجزائر » . (314) ، وسلكتهم هو السلك الدبلوماسى ، أى سلك السفراء . (315)

ومن سنة 1534 إلى سنة 1830 أرسل ملوك فرنسا ، وقادة ثورتها وجمهوريتها الأولى ، وأمباطورها ، ثم ملكاها الأخيران إلى الجزائر ستة وتسعين (96) مندوبا ومبعوثا خاصا ، كثيرون منهم أعلى من مستوى وزير ، ومنهم شقيق نابليون الأول ، جيروم بونابارت . (316) و (317)

ويلاحظ القارئ ، من نظرة خاطفة إلى القائمة ، أن كثيرين من هؤلاء المندوبين والمبعوثين الخاصين جاءوا عدة مرات إلى الجزائر ، أى قاموا بعدة مهمات لديها ، إذن فالعدد الحقيقى للمهمات أكثر من ستة وتسعين الذى هو عدد المندوبين والمبعوثين الخاصين .

(314) انظر الشكل رقم : 188 .

(315) Egretaud : ibid, p. 49.

(316) انظر الشكل رقم : 189 أ ، 189 ب .

(317) H. Garrot : ibid, p. 698-700.

Liste des consuls et vice-consuls de France à Alger

Bartholle	1564
Maurice Sauron	1578-1585
François Guighigotto, consul suppléant	1579
Le P. Bionneau	1585-1587
Jacques de Vias	1587-1627
Jean Ollivier, consul suppléant	1587-1596
François Chaix	1618-1623
Etienne	1623-1624
Thomassin	1624-1625
Martelly	1625-1626
Anselme	1626-1627
Balthazar de Vias	1627-1646
Clavel, consul suppléant	1627-1628
Thomas Fréjus, consul suppléant	1628-1629
Thomas Ricou	1629-1631
Blanchard, consul suppléant	1631-1634
Jacques Plou, consul suppléant	1634-1639
Thomas Picquet, consul suppléant	1639-1646
Charles Moulard	1646
Lambert aux Cousteaux	1646
Le P. Jean Barreau	1646-1661
Le P. Jean-Armand Dubourdieu	1661-1673
Laurent d'Arvieux	1674-1675
Le P. Jean Leyacher	1673-1683
Denis Dusault, consul suppléant	1683-1684
Sorhainde, consul suppléant	1684-1685
André Piollé	1685-1688
Le P. Michel Montmasson, consul suppléant	1688
Barthélémy Mercadier, consul suppléant	1689-1690
René Lemaire	1690-1697
Jean de Clairambault, consul suppléant	1697
Philippe-Jacques Durand	1698-1705
Jean de Clairambault	1705-1717
Jean Baume	1717-1719
Antoine-Gabriel Durand	1720-1730
Thomas Natoire, consul suppléant	1731
Léon Delane	1731-1732
Benoît Lemaire	1732-1735
Alexis-Jean-Eustache Taitbout	1735-1740
De Jonville, consul suppléant	1740-1743
François d'Evant	1742
De Jonville, consul suppléant	1740-1742
Pierre Thomas	1743-1749
André-Alexandre Lemaire	1749-1756
Le P. Bossu, consul suppléant	1757
Joseph-Barthélémy Perou	1757-1760
Le P. Théodore Groissele, consul suppléant	1760-1763
Jean-Antoine Vallière	1763-1773
Robert-Louis Langoisseur de la Vallée	1773-1782
Recaudot, consul suppléant	1782
Jean-Baptiste-Michel de Kersey	1782-1791
Philippe Vallière	1791-1796
Louis-Alexandre Herculaïs, consul suppléant	1796-1798
Jeanbon Saint-André	1796-1798
Dominique-Marie Molledo	1798-1800
Charles-François Dubois-Thainville	1800-1814
Alexandre-Louis Ragueneau de la Chalsnaye, consul suppléant	1809-1810
Roche-Ferrier, consul suppléant	1814
Pierre Deval	1815
Charles-François Dubois-Thainville	1815
Pierre Deval	1815-1827

**Liste des commissaires et envoyés de la cour de France
près la régence d'Alger**

De la Forest	1534
De Montluc	1537
D'Aramon	1551
D'Albisse	1552-1553
San-Pietro d'Ornano	1561
De Ménillon	1573
Savary de Brèves	1605
Du Mas de Castellane	1618
De Mortier	1619
Sanson Napollon	1625-1628
D'Estampes, seigneur de l'Isle-Antry	1632
Sanson Le Page	1634-1637
De Mantin	1637
Du Coquel	1639
De Montigny	1640
De Montmeillan	1641
De Rominhac	1650
De Clerville	1661
Trubert	1666
De Martel	1668-1672
De Vivonne	1668
D'Alméras	1673
Dé Gabaret	1675
De Tourville	1679
Duquesne	1680
Hayet	1681
De Virelle	1681
Dusault	1683
De Tourville	1684-1685
De Blainville	1686
Dortières	1687
Marcel	1689-1690
Dusault	1697
Duquesne-Monnier	1714
Dusault	1719
D'Andrezel	1724
De Granpré	1724
De Beaucaire	1724
De Monts	1727
De Gencien	1730
Duguay-Trouin	1731
De Caylus	1731
Dé Watan	1732
De Court de la Bruyère	1734
De Maissiac	1742
Du Revest	1748
De Rochemaure	1762
De Cabanous	1762
De Fabry	1763-1764
De Sade	1764
De Forbin	1776
De Bonneval	1777
De Tou	1777
De Vialis	1777
De Martelly	1778
De Cypières	1781
De Vialis	1781

De Martineng	1781
De Bessay	1783
De Ligondez	1785
Dé Blachon.	1788
Ventura	1788
Dé'Sepneville	1789
Brueys	1791
Dé Missiessy	1791
Gavoty	1792
Rondeau	1792
Racobrd	1793
Herculais	1796
Barré	1797
Demay	1801
Leyssègue	1802
Hulin	1802
Berge	1802
Bonaparte (Jérôme)	1805
Troude	1808
Boutin	1808
De Meynard	1811-1814
De Saint-Belin	1814
Touffet	1815
De Parseval	1815
Raynouard	1816
Jurien de la Gravière	1819
Duval d'Ailly	1819
De Méry	1822
Drouault	1824
Fleury	1826
Faure	1827
Collet	1827
Bézard	1828
De la Bretonnière	1829
De Nerciat	1829
De Clairval	1830
Bézard	1830
De Bourmont	1830
Duperré	1830

الشكل رقم : (189) ب

كما يلاحظ أن قادة فرنسا كانوا يرسلون أحيانا أكثر من مبعوث ، وأكثر من مرة ، فى العام الواحد ، لدى « السادة الأمجاد العظام » ، دايات الجزائر

(Illustres et magnifiques Seigneurs, Deys d'Alger).

ومن أواخر القرن الثمانى عشر إلى 1830 عقدنا مع فرنسا عددا « محترما » من الاتفاقيات والمعاهدات .

فإذا كان غارو يورد قائمة بثمان وخمسين منها (318) و (319)؛ وبلانطى يقول فى مقدمة كتابه « ان عددها لم يكن أقل من 59 » ، (320) و (321) ، ويؤكد ذلك فى خاتمته ، فيورد قائمة بها بالعدد المذكور، (322) و (323) ، لأنه أورد معاهدة سنة 1662 التى غفل عنها غارو ، فإن كلا منهما قد أغفل عددا من معاهدات أخرى بين البلدين ذكرها مؤرخون آخرون ، مثل معاهدة بجاية فى أواخر القرن الثمانى عشر الميلادى ، التى ذكرها كل من المؤرخ الفرنسى دوفو (Devoulx) ، والمؤرخ الأمريكى سبنسر (Spencer) ؛ ومعاهدة شاتيلرو الثلاثية سنة 1534 التى ذكرها دوفور (Dufour) ؛ وأخرى ذكرها المؤرخ السويدى ريفتيلوس (Reftelius) ، والمؤرخ الألمانى دومارتينس (De Martens) (324)، والمؤرخ الفرنسى دوكليرك (De Clerq) . وقد أوردناها جميعها ، نقلا عنهم ، فى القائمة المفصلة التى بينا فيها تواريتها ، وأسماء الأطراف الجزائرية والفرنسية التى عقدتها ، وأحيانا الظروف التى انعقدت فيها . ومن بين تلك الاتفاقيات

(318) H. Garrot : ibid, p. 700-701.

(319) انظر الشكل رقم : 190 .

(320) انظر الشكل رقم : 191 .

(321) Plantet : Correspondance, p. LXVII.

(322) Plantet : ibid, p. 591-592.

(323) انظر الشكل رقم : 192 . ا . 192 ب .

(324) Georg Friedrich von Martens : ibid (Goettingen, act. = RFA) 1817.

(C) la régence d'Alger

Paix et commerce	21 mars 1619
Paix et commerce	1619
Concessions d'Afrique	septembre 1628
Concessions d'Afrique	7 juillet 1646
Concessions d'Afrique	9 février 1661
Paix et commerce	17 mai 1666
Paix et commerce	février 1670
Concessions d'Afrique	11 mars 1679
Paix et commerce, Concessions d'Afrique	28 avril 1684
Renouvellement, Concessions d'Afrique	1686
Concessions d'Afrique	13 mars 1689
Paix centenaire	24 septembre 1689
Concessions d'Afrique	5 mai 1690
Renouvellement, Paix et commerce	27 décembre 1690
Concessions d'Afrique	3 janvier 1694
Renouvellement, Paix et commerce	4 mars 1698
Renouvellement { Paix et commerce	23 juillet 1698
{ Concessions d'Afrique	
Renouvellement, Concessions d'Afrique	19 juillet 1700
Renouvellement { Paix et commerce	novembre 1705
{ Concessions d'Afrique	
Renouvellement, Concessions d'Afrique	18 mars 1707
Renouvellement, Concessions d'Afrique	30 mars 1710
Renouvellement, Concessions d'Afrique	14 août 1710
Concessions d'Afrique	15 juillet 1714
Renouvellement, Paix et commerce	26 janvier 1718
Renouvellement, Concessions d'Afrique	6 avril 1718
Renouvellement, Paix et commerce	7 décembre 1719
Paix et commerce	20 février 1720
Renouvellement, Concessions d'Afrique	20 mars 1724
Renouvellement, Concessions d'Afrique	6 juillet 1731
Concessions d'Afrique	23 septembre 1731
Concessions d'Afrique	10 juin 1732
Renouvellement, Concessions d'Afrique	6 septembre 1732
Renouvellement, Concessions d'Afrique	15 décembre 1743
Renouvellement, Concessions d'Afrique	2 novembre 1745
Renouvellement, Concessions d'Afrique	18 février 1748
Renouvellement, Concessions d'Afrique	29 décembre 1754
Paix et commerce	16 janvier 1764
Concessions d'Afrique	23 mai 1767
Renouvellement, Concessions d'Afrique	10 juin 1768
Renouvellement { Paix et commerce	23 mars 1790
{ Concessions d'Afrique	
Concessions d'Afrique	23 juin 1790
Renouvellement { Paix et commerce	1 ^{er} juillet 1791
{ Concessions d'Afrique	
Renouvellement, Concessions d'Afrique	20 mai 1793
rêt de 250.000 francs par la régence d'Alger au Direc- toire <i>et vers l'armée de la République française</i>	1793
Amnistie illimitée	19 juillet 1800
Paix et commerce	30 septembre 1800
Paix et commerce	29 décembre 1801
Renouvellement { Paix et commerce	26 décembre 1805
{ Concessions d'Afrique	
Renouvellement, Concessions d'Afrique	7 novembre 1808
Renouvellement, Paix et commerce	11 juillet 1814
Renouvellement, Paix et commerce	30 mars 1815
Renouvellement, Paix et commerce	16 avril 1815
Concessions d'Afrique	11 mars 1817
Concessions d'Afrique	26 octobre 1817
Renouvellement, Paix et commerce	29 mars 1819
Éclairation, créances algériennes	23 décembre 1819
Concessions d'Afrique	24 juillet 1820
ession d'Alger	5 juillet 1830

et 1662

(voir Plantet p.591)

الشكل رقم (190)

IN DE LA DEUXIÈME PARTIE

	58	
	<u>+ 1</u>	le Traité de Bidjaïa, 13 ^e siècle, cité
"	= 59	par Duvoulx et Spencer .
	<u>+ 1</u>	le Traité de Châtellerault, 1534, cité
	60	par Dufour
	<u>+ 1</u>	
"	= 61	de 1662, cité par Plantet
	<u>+ 9</u>	cités par Reftelius; Galibert;
	=70	La Pléiade et d'autres.

arrot : ibid

تابع للشكل رقم : (190)

En ce qui nous concerne, nous n'avons pas en moins de cinquante-neuf traités ou confirmations de traités avec la Régence, et nous avons à mentionner quinze expéditions militaires. L'une fut faite par un archevêque, qui se souvint sans doute des encouragements donnés par la Papauté à ce genre de croisade; une autre fut accompagnée d'un débarquement, celle du duc de Beaufort en 1664, deux de bombardements dirigés par Duquesne en 1682 et 1683, par d'Estrées en 1688. Trois fois nous essayâmes de nous installer sur le territoire algérien. Charles IX voulut y trouver un trône pour Henri d'Anjou, Louis XIV tenir une garnison à Jijelli, Napoléon I^{er} recommencer l'expédition d'Égypte¹. Il est certain que *la question d'Alger* préoccupa presque tous nos ministres, et que les Concessions d'Afrique, estimées 120 000 l. à l'actif immobilier des Compagnies marseillaises, furent toujours considérées comme infiniment plus précieuses aux yeux de nos hommes d'État. Tantôt ce fut Richelieu qui négocia avec les chevaliers de Malte, les plus anciens ennemis de l'Odjak, pour établir dans leur île un de nos postes militaires afin de contenir les reïs, tantôt ce furent Mazarin et Colbert qui, pour arriver aux mêmes fins, accueillirent les propositions des armateurs provençaux pour s'emparer de l'île de la Galite². La possession de Tabarque fut particulièrement l'objet des convoitises de la Cour. En 1724, le voyageur et diplomate Peyssonnel en conseilla l'acquisition; en 1731, le Roi envoya à Gênes un agent secret, Fougasse, pour traiter cette affaire avec le Consul Coutlet, et pour convenir d'un prix de vente avec Jacques Lomellini, propriétaire de cette île. « Ce serait, écrivit alors le chevalier de Caylus à Maurepas, le plus sûr moyen de se faire respecter et craindre en Barbarie³. » Le jour où le Bey de Tunis, mis au courant de nos projets, s'empara de vive force du comptoir génois, un courageux officier, de Saurins, fit approuver à Versailles, en 1741, son dessein de l'assiéger, et ce fut dans les bureaux de la

→ 1. Voy. *Mémoires pour détruire Alger*, contenant la description avec plans du port et des murailles, et la proposition d'un débarquement à deux lieues à l'ouest de la ville, par le capitaine Lefort, 1703 (*Archives de la Marine, Levant et Barbarie*, B¹ 392). — *Projet d'expédition contre la Régence d'Alger*, par Jeanbon Saint-André, 1802 (*Archives historiques de la guerre. Algérie*).

2. Voy. *Moyens faciles pour brider la Barbarie et accroître le commerce* (*Archives des Affaires étrangères. Consulat d'Alger*).

3. *Lettre du chevalier de Caylus au comte de Maurepas*, le 25 septembre 1731 (*Archives coloniales de la Marine*).

LISTE DES TRAITÉS ET CONVENTIONS ENTRE LA FRANCE ET LA RÉGENCE D'ALGER

Paix et commerce. Concessions d'Afrique.....	21	mars	1619
Paix et commerce.....	19	septembre	1628
Concessions d'Afrique.....	23	—	1628
—	7	juillet	1640
—	9	février	1681
—	—	—	1652
Paix et commerce.....	17	mai	1686
—	—	février	1670
Concessions d'Afrique.....	11	mars	1679
Paix et commerce. Concessions d'Afrique.....	28	avril	1684
Renouvellement. Concessions d'Afrique.....	—	—	1686
Concessions d'Afrique.....	13	mars	1689
Paix centenaire.....	24	septembre	1689
Concessions d'Afrique.....	5	mai	1690
Renouvellement. Paix et commerce.....	27	décembre	1690
Concessions d'Afrique.....	3	janvier	1694
Renouvellement. Paix et commerce.....	4	mars	1698
Renouvellement { Paix et commerce... }	23	juillet	1698
Renouvellement { Concessions d'Afrique }	19	—	1700
Renouvellement { Paix et commerce... }	—	novembre	1705
Renouvellement { Concessions d'Afrique }	8	mars	1707
—	30	mars	1710
—	14	août	1710
Concessions d'Afrique.....	15	juillet	1714
Renouvellement. Paix et commerce.....	26	janvier	1718
Renouvellement. Concessions d'Afrique.....	6	avril	1718
Renouvellement. Paix et commerce.....	7	décembre	1719
Paix et commerce.....	20	février	1720
Renouvellement. Concessions d'Afrique.....	20	mars	1724
—	6	juillet	1731
Concessions d'Afrique.....	23	septembre	1731
—	10	juin	1732

non cité par Garrot
E. Plantet.

الشكل رقم : (192) أ

592 TRAITÉS ET CONVENTIONS ENTRE LA FRANCE ET ALGER

Renouvellement. Concessions d'Afrique.....	6 septembre	1732
— — — — —	13 décembre	1743
— — — — —	2 novembre	1745
— — — — —	18 février	1748
— — — — —	29 décembre	1754
Paix et commerce.....	16 janvier	1764
Concessions d'Afrique.....	23 mai	1767
Renouvellement. Concessions d'Afrique.....	10 juin	1768
Paix et commerce.....	29 mars	1790
Renouvellement. Concessions d'Afrique }		
Concessions d'Afrique.....	23 juin	1790
Renouvellement { Paix et commerce.... }	1 juillet	1791
Concessions d'Afrique.....		
— <i>et reconnaissance de la Rep. Fr.</i>	20 mai	1793
Prêt de 200 000 p. par la Régence au Directoire. . .	9 messidor, an IV	1796
Armistice illimité.....	19 juillet	1800
Paix et commerce.....	30 septembre	1800
— — — — —	29 décembre	1801
Renouvellement { Paix et commerce.... }	26 décembre	1805
Concessions d'Afrique.....		
— — — — —	7 novembre	1808
Renouvellement. Paix et commerce.....	11 juillet	1814
— — — — —	30 mars	1815
— — — — —	16 avril	1815
Concessions d'Afrique.....	15 mars	1817
— — — — —	26 octobre	1817
Renouvellement. Paix et commerce....	29 mars	1818
Déclaration (Créances algériennes).....	23 décembre	1819
Concessions d'Afrique.....	24 juillet	1820
Cession d'Alger.....	5 juillet	1830

E. Plantet.

الشكل رقم : (192) ب

والمعاهدات أهمها : وهى تجديد الداي حسن المصادقة على المعاهدات السابقة بين الجزائر وفرنسا - بطلب هذه الأخيرة - ، والاعتراف بالجمهورية الفرنسية الأتلى ، يوم 20 مايو 1793 ، وقد أوردنا الوثائق الخاصة بها فى ذكر سلسلة المعاهدات .

وإذا ما أردنا الآن توزيع هذه المعاهدات حسب تعاقب الأزمان والعهود ، وقصدنا أن نقول « لأصدقائنا » الفرنسيين ما قاله مؤمن بن سعيد الأندلسى :

ما كل ما قيل كما قىلا

فقد باشر الناس الأباطىلا !

كان علينا أن نوزع ترتيب تعاقب المعاهدات حسب عهودهم هم ... لىراجعوا تاريخهم فى مصادرهم ... ولىعرفوا ، كلما ذكروا اسم ملك من أغلب ملوكهم منذ أواخر القرن الثانى عشر، من كان يقابله على الضفة الأخرى للبحر الأبيض المتوسط من جهة الجزائر ؛ وكان التوزيع حسب عهودهم هم ، لأنهم هم الذين أنكروا تاريخنا ولا يزالون ينكرونه ، كالتالى :

فى عهد حكومة مرسللىا ، (مع ملك بجاية ، خالد بن زكرىام) : 01

فى عهد فرانسوة الأول سنة 1534 : مع خىر الدين وسلىمان

القانونى (المعاهدة الثلاثىة أو معاهدة شاتىلرو) 01

فى عهد لوىس الثالث عشر : 04

فى عهد لوىس الرابع عشر : 23

فى عهد لوىس الخامس عشر : 17

فى عهد لوىس السادس عشر : 04

02 في عهد الثورة (الحكومة الثورية للجمهورية الفرنسية الأولى)

03 في عهد نابليون بونابارت قنصلا أول للجمهورية الفرنسية (أى رئيسها الفعلى بدون اللقب) :

04 في عهد نابليون الأول ، أمبراطور الفرنسيين ، (بعد إلغائه الجمهورية وتنصيب نفسه أمبراطورا) :

06 في عهد لويس الثامن عشر :

01 في عهد شارل العاشر :

66 = فيكون المجموع :

هذه حتى 1830 ، كما هو عنوان الدراسة .

وإذا ما أردنا أن نشمّل المدة حتى 1962 ،

باسترجاع الاستقلال والسيادة ، أضفنا :

في عهد لويس فيليب :

(67) معاهدة دى ميشيل (325) (le Traité Desmichel)

بين الأمير عبد القادر والجنرال دى ميشيل ،

01 يوم 16 فبراير 1834 :

(68) - ومعاهدة التافنا بين الأمير عبد القادر (326) والجنرال

بيجو يوم 30 مايو 1837 ، وقد صادق عليهما الملك

01 الفرنسى لويس فيليب :

(325) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Algérie Contemporaine, p. 104.

(326) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Algérie Contemporaine, p. 136.

ومعاهدة أخرى بينهما وهى :

(69) - معاهدة ثالثة بين الأمير عبد القادر (327) ، رئيس الدولة الجزائرية ، ولويس فيليب (328) ، ملك الفرنسيين (هذا هو لقبه الرسمى) ، أمضاها عنه الجنرال لاموريسيير ، بموافقة ومصادقة ابن الملك ، الدوق دومال (le Duc d'Aumale) « الحاكم العام الفرنسى بالجزائر » (l'Algérie) ، يوم 23 ديسمبر 1847 ... ومصادقة حكومة لويس فيليب :

وهى معاهدة ... وضع الأمير بموجبها السلاح ، ولكنها ، على كل ، معاهدة ، حسب العرف الدبلوماسى الدولى .

وقد كان ذلك بعد خمس عشرة سنة من الكفاح الدائب ، وبعث الدولة الجزائرية بإقامة دولة خلفت سابقتها بعد أقل من سنتين من سقوطها ؛ وبعد إلحاق هزائم فادحة بأكبر جيش أوروبى إذ ذاك (الجيش الذى دوح به نابليون أوروباً) ، خاصة منها فى معركة المقطع ، (« la bataille de la Macta ») ، سنة 1835 ، ومعركة سيدى إبراهيم فى سبتمبر 1845 ؛ وبعد فرض معاهدتين على إحدى كبريات الدول فى العالم إذ ذاك !

ولئن فرضت عليه هى ، فرنسا ، فى الأخير ، المعاهدة الثالثة - التى كانت على الأقل التاسعة والستين (69) بين الجزائر وفرنسا حتى ذلك اليوم - ، فلم يكن الأول - ولا الأخير - الذى غلب فى تاريخ الحروب !

(327) انظر الشكل رقم : 193 .

(328) انظر الشكل رقم : 193 مكرر .



الأمير عبد القادر

B) ROCHES (L.). — L'ÉMIR ABD EL-KADER, 1836.

الشكل رقم : (193)



لويس فيليب

الشكل رقم : (193) مكرر

فكم من مرة غلبت أنكلترا ؟ وكم من مرة هزمت ألمانيا ؟ أما فرنسا ، فحدث عنها ولا حرج ، وكم أحدثت انهزاماتها من هرج ! وما كارثة 1940 عنا ببعيدة !

وحسب المؤرخ الفرنسى ديطايور - شانترين ، « فقد طلب الأمير عبد القادر من الدوق دومال أن ينقل إلى اسطنبول ، أو عكا ، أو الإسكندرية ، (هكذا ، بهذا الترتيب) . ولكن الدوق دومال رفض له اسطنبول ، وقال له إنه سيرسل إلى الإسكندرية » . (329)

ومن هنا لا نجد ذكرا فى المعاهدة لعاصمة الخلافة العثمانية : اسطنبول ، ولم يرد فيها إلا اسما عكا والإسكندرية .

وها هى الصيغة التى أوردها محمد بن الأمير عبد القادر ، ابنه الأكبر ، رفيق سلاحه ، إذ يقول :

« إن ذلك العهد والميثاق (أى نص تلك المعاهدة) يتضمن شروطا ، منها :

- 1) أن يحملوه ، مع جميع عائلته ، إلى عكا أو الإسكندرية .
- 2) وألا يتعرضوا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر.
- 3) وأن الذى يبقى منهم فى الوطن يكون آمنا على نفسه وماله » . (330) و (331)

(329) Philippe d'Estailleur - Chanteraine : Abdelkader, l'Europe et l'Islam au XIX^e siècle, pp. 241-242. J.B. Janin (Collection d'études historiques, Roue de Fortune, Janin-Editeur, Paris 1947).

(330) محمد بن الأمير عبد القادر : تحفة الزائر فى تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، ص 500 .
(331) انظر الشكل رقم : 194 .

بكمال الاعتقاد ؛ من أن جلالكم ، والحكومة تصادقون عليه ، ما دام
عبد القادر ؛ اعتمد على : قولي وخطتي ... وبعث البريد إلى الدوك « دوما ،
ابن الملك ، حاكم الجزائر . فارتاح لذلك . وركب - من حينه - بارجة .
وجاء إلى مرسى « جامع الغزوات » . ولأول وصوله إليها ؛ بعث إلى الجنرال
يخبّره : أنه قد وافقه ، على قبول ، ما اشترطه الأمير . وأمره أن يزيده ، في ذلك
تأكيداً . ويعطيه ميثاقاً غليظاً ؛ يطمئن به قلبه . والأمير - وإن كان في حالة
يأس - إلا أنه ، لقوة جأشه ، وصبره ؛ لم يظهر اليأس والجزع . وأظهر غاية
التربص والتأني . ولذلك ؛ ترددت الرسل ، بينه وبين الجنرال ، في : ربط
الميثاق ، وإحكام العهد ، ثلاثة أيام بلياليها . وبعد أن تم الأمر بينهما ، على

شروط منها :

أن يحملوه ، مع جميع عائلته ، إلى عكا أو الاسكندرية .
وأن لا يتعرضوا ، لمن يريد السفر معه ، من الضباط والعساكر .
وأن الذي يبقى منهم في الوطن ؛ يكون آمناً على نفسه وماله .

كفالة

ثم سار الأمير بأهله ، وخاصته ، واتباعه ، من « تفجيرات » قاصداً المرسى .
حيث أن ابن الملك ، والجنرال لامورسيير ، والجنرال كفتياك ؛ ينتظرونه فيها .
وعندما وصل - في طريقه - إلى مقام الم رابط ، سيدي إبراهيم . وهو الموضع
الذي كان الأمير « انتصر فيه على جنود فرنسا ، وأوقع بهم ، الواقعة الشهيرة
منذ ستين ، قبل ذلك ؛ وجد الكولونيل « مونتان » في خمسة فارس ،
ينتظرونه . فواجه الأمير ؛ بكل اعتبار واحتفال . وبعد أن نزل الأمير ، وصلى
- في المقام - ركعات ؛ ركب . وسار في ذلك الموكب ؛ إلى أن قرب من
مرسى « الغزوات » . فاستقبله ابن الملك ، وفي معيته ؛ الجنرال « لامورسيير »
وغیره ، من القواد والأعيان ، في الأبهة والاحترام .

مرکز
سیدر
وغيره
1847

وبعد أن استقر بهم المجلس ؛ قال الأمير لابن الملك :

هذه الساعة ، التي قدّر الله - تعالى - أن يكون فيها ، مانحن فيه الآن

ويضيف ، بخصوص هذه المعاهدة ، أنها كانت « على شروط موقع عليها من الجانبين » . (332) و (333)

أما المؤلف الأنكليزي تشرشل ، فيقول عن هذه المعاهدة :

« وقد اضطر الجنرال لاموريسير أن يدافع عن نفسه في البرلمان الفرنسي أمام هجمات عنيفة على السماح للأمير عبد القادر بهذا المخرج ، وأنه ارتكب خطأ فادحا بمقد تلك الوثيقة معه ، بينما كان يجب عليه أن يجعل منه مجرد أسير مستسلم لا غير - اضطر الجنرال لاموريسير أن يبرر سلوكه ، ويحدد موقفه ، ويعرض الأسباب التي دفعته إلى إمضاء المعاهدة التي كانت موضوع تلك التهكمات :

« les motifs qui l'avaient amené à signer le traité qui faisait l'objet de ces sarcasmes » (334).

فواضح إذن - ونكرر - أنها كانت معاهدة بالمعنى المتعارف عليه دوليا .

ويقول نفس المؤرخ الفرنسي ، الذى ذكرناه منذ حين ، عن مصادقة ملك الفرنسيين ، لويس فيليب ، على هذه المعاهدة :

« وعى هامش رسالة من الدوق دومال (ابن ملك الفرنسيين ، لويس فيليب) إلى باريس ، بتاريخ 25 ديسمبر (أى يومين بعد الإمضاء) عن الاتفاق المرقع بين الأمير عبد القادر والجنرال لاموريسير ، بموافقته ومصادقته (أى الدوق دومال) ، كتب رئيس ديوان وزير الحربية (الفرنسية) ما يلى :

(332) نفس المرجع المذكور ، ص 502 .

(333) انظر الشكل رقم : 195 .

(334) Charles-Henri Churchill : La vie d'Abd'kader, p. 273. (Introduction, traduction et notes de Michel Habart (Sned 1971).

قال بعض مؤرخيهم : إنما يوجب الحيرة ، ويستحق التعجب ؛ أن عسكر الأمير عبد القادر ، كاد أن يصل عدده : إلى ألفين من الحيلة . وعشرة آلاف من المشاة . وقد قاوم به ، جيشاً عظيماً ، من جيوش أكبر دولة ، من دول أوروبا ، يبلغ عدده : مائة ألف ، وستة آلاف ، ما بين فارس وراجل ، مدة ست عشرة سنة !! وأعجب من ذلك ؛ أنهم كانوا يدخلون في معسكرنا . ويقاتلوننا : من ورائنا ، ومن ميمنتنا ، وميسرتنا ، ويهربون ؛ في الوقت الذي نتصور فيه ، القبض عليهم ، باليد !! والعجب كل العجب : أنهم كانوا يتعبون عسكرنا ، بتجاوزاتهم انداثه . ويظهرون بالأمنية التامة ، غير مبالين بما كان . ولا مهتمين ؛ بما سيكون . فليت شعري !! بماذا يجاب ؟ مَنْ سأل : عن الفرق ، بيننا وبينهم ؟! وَمَنْ الذي يستحق المدح ، منا ومنهم ؟ آه ..

قال الأديب ، صاحب الجامعة ، بعد ذكر ترجمة الأمير ، في مشاهير المتقدمين والمتأخرين : « فلا يسع المؤرخ الشرقي ؛ غير الوقوف ، بإزاء عظمته ، متفكراً . وبأسباب سقوطها ، معتبراً . لأن الصراع ، بينه وبين الجنود الفرنساوية ؛ كان بين مبدئين ، لا بين قوتين حرييتين . أحدهما ؛ استقلال الممالك الشرقية . والثاني ؛ أطماع أوروبا الاستعمارية . غير أن قوة الطمع ؛ زعزعت استقلال الشرق . واستشر أهله : أنهم مطحونون برحاه . فازداد بأسهم . ولو قوي المبدأ الأول ؛ لقوي رجاؤهم . وزاد بأسهم . وليت شعري !! ما يقول المؤرخ الغربي ، بعد إمعان النظر ؛ في دولة ، أحكم أساسها منذ ألف وأربعمائة سنة . فقد استولت ؛ على مستعمرات أمير ، عمر دولته ؛ سنة . (بعد أن قهر رجالها . وأباد أبطالها . وشغلها خمسة عشر عاماً . إلى أن أراد الله ، إنفاذ ما قدره وقضاء . عاضداً أقرانه . وساعداً عليه جيوانه ، فاستلم قضاء مولاة . وسلم إليها ، نفسه ، برضاه . على شروط ، موقع عليها من الجانبين . وهذا ؛ هو سبب انهدام ملكه . فليت شعري !! مَنْ يُمدح ؟ ومن الذي يطعن فيه ويندح ؟! وينبغي لكل شرقي ، وقف بقبر هذا الأمير ؛ أن يخضع لعظمته .

« هذه البرقية وصلت يوم أول يناير 1848 . وقد قال لي الوزير بشأنها إن الحكومة صادقت على شروط وضع الأمير عبد القادر سلاحه » ، أى على المعاهدة . (335)

ويضيف نفس المؤرخ أن أصل هذه الرسالة - مع التعليق على المصادقة عليها - محفوظ في قسم الوثائق بمتحف كوندى فى شانتىي ، بضواحي باريس :
(Archives du Musée Condé à Chantilly) (336).

كما يعلق عليها المؤرخ التونسى التميمي بقوله :

« وينص أحد بنود هذه المعاهدة على أن السلطة الفرنسية قد قبلت السماح للأمير باختيار نقلته إلى أحد البلدين الإسلاميين : سوريا ، أو مصر » . (337).

وبعد سبع عجاف فى فرنسا انتقل إلى « دار الخلافة الإسلامية » (338) و (339) .

« ولم يسرحه نابليون الثالث إلى بروسة ، فى تركيا ، إلا بكفالة السلطان عبد المجيد ، بتدخل من شيخ الإسلام فى الخلافة العثمانية ، عارف حكمت ، على إثر مجلس خاص عقده الخليفة لذلك ، لإنقاذه من الأسر » (340) .

وقد قال الأمير نفسه ، لدى الوصول إلى بروسة ، لواليتها ، صهر الخليفة :

(335) Philippe d'Estailleur-Chanteraine : *ibid*, p. 236.

(336) Philippe d'Estailleur-Chanteraine : *ibid*, p. 236.

(337) د. عبد الجليل التميمي : *المجلة التاريخية المغربية* ، مستخرج من العدد 15 - 16 جويلية 1979 ، ص 5 .

(338) محمد بن الأمير عبد القادر : نفس المرجع : ص 575 .

(339) انظر الشكل رقم : 195 مكرر .

(340) محمد بن الأمير عبد القادر : نفس المرجع : ص 578 .



ABD EL KADER PAR MAXIME DAVID

الأمير عبد القادر

الشكل رقم : (195) مكرر

« إنه لولا كفالة مولانا المعظم السلطان لدى نابليون الثالث ما خرجنا من قبضة الأسر » (341) .

ثم انتقل منها ، إثر زلزال شديد ، إلى دمشق (342) ، حيث توفي ، رحمه الله ، ليلة السبت التاسع عشر من رجب سنة 1300 هـ (24 مايو 1883 م) .

وفي عهد الجمهورية الخامسة :

(70) اتفاقيات إيفيان les Accords d'Evian يوم 18 مارس 1962 ، 01 بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والجنرال دوغول ، رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة . ويكون مجموع النذى وجدناه من الاتفاقيات والمعاهدات المعقودة بين الجزائر وفرنسا حتى 1962 : سبعين : 70 .

والله درك يا شاعرنا الأندلسى مؤمن بن سعيد مرة أخرى :

ما كل ما قيل كما قيل
فقد باشر الناس الأباطيلا !

ولنمد إلى وثيقة الاحتلال سنة 1830 ، معاهدة تسليم الجزائر العاصمة ، لنذكر مرة أخرى ببيت مقدى فى استفهامه الإنكارى :

« أبوتان : هل سيدى فرج
- وإن طال ليل - أقر « النظاما » ؟

أى « النظام الاستدمارى » : (« l'ordre colonial ») .

ولئن بدأ استغلال البلاد واستدمار العباد يوم 05 يوليو 1830م ؛ ولئن فقد الشعب الجزائرى فى مقاومته الطويلة المتواصلة عدة

(341) محمد بن الأمير عبد القادر : نفس المرجع : ص 581 .

(342) محمد بن الأمير عبد القادر : نفس المرجع : ص 594 .

ملايين من آبناؤه وبناته ، فلقد استرجع استقلاله ، واستعاد سيادته ، وتبوأ من جديد مكانته بين الأمم ، كأمة حرة ، من جديد ، مستقلة ، من جديد ، ذات سيادة ، من جديد ، عزيزة الجانب ، موفورة الكرامة ، من جديد ، « وعاش الحديد يفل الحديد » !

تشكيكات وتشككات سخيقة :

دولة جزائرية أم ولاية تركية ؟

١) أول المآخذ التي يأخذها بعض «الناس» على أولئك الدايات أنهم « وإن كانوا حقا أبطالاً مغاوير ، وسادة عظاماً قماقم ، فلم يكونوا جزائريين » !

الجزء الأول من هذا الكلام حق : فقد كان الدايات حقا أسودا ، وغيرهم الذئاب والشعالب ، وكانوا فعلا نسورا وصقورا ، والمستفزون لهم بغاث الطير :

فكانوا البغاة وكننا المنايا

وكانوا البغاث فكنا الكواسر !

كما يقول مفدى !

وكانت القصبة الخالدة عرين الأسود ، وعش العقبان والصقور الكواسر ، لا تقل في مناعتها فعالية ورمزية عن جبالنا في الشمال والجنوب ، ولا عن أعماق صحرائنا ، إذ كانت مع هذه وتلك حصننا الحصين !

إيه ، قصبتنا الخالدة ، إنك حقا لخالدة ، وينبغى أن تبقى خالدة خلود الإنسان !

يقول أبو الطيب المتنبي :

وليس يصح فى الأذهان شىء
إذا احتاج النهار إلى دليل !

وإذا كان من العبث أن يستدل على طلوع الشمس فى رابعة
النهار ، فليس من العبث كله ، بل إن ذلك الاستدلال أحيانا
ضرورى ، ومن الضرورى جدا !

وكما قال الإمام علي ، كرم الله وجهه ، لأصحابه ، ذات يوم ،
ما معناه :

« ما بال أقوام لا يملون من قول الباطل وفعله ، وأنتم
تكلون من الدفاع عن الحق ؟ » (343) >

يقول الكثير ، ويكتبون هناك ، وأحيانا أيضا هنا ، بدون
كلل ولا ملل ، إلى اليوم ، إن تلك الدولة التى حكمت الجزائر
أثناء القرون الثلاثة الأخيرة قبل العدوان الفرنسى ، سنة 1830م ،
ولئن كانت عظيمة ، أو كانت لها جوانب من العظمة ، - أو مهما
كانت - فليست جزائرية حقا ، بل هى « ولاية تركية » ، جزء
من الأمبراطورية العثمانية ... وفى أحسن الأحوال ، عند
أصحاب أطيب النوايا ، : هى « دولة تركية » ، « إيالة عثمانية » ،
« جزء لا يتجزأ من الخلافة العثمانية » ... حسب نوعية
الثرثارين والمخربشين ، هناك ثم هنا !

وكان ليس لنا من كيان ذاتى ، لعجز فطرى ، أو خلقى
- (بكسر الخاء ، أى بحكم خلقتنا - ولد معنا) على إقامة كيان
ذاتى ، وإنشاء دولة وطنية ! وبعضهم لم يتردد أمام الجزم ،

(343) الإمام علي : نهج البلاغة .

وقالها بالحرف ، مثل غوتيه ، الذى استعمل صيغة معناها
«العجز الفطرى» ، أو الخلقى (بكسر الخاء) ، « الحتمى » (344) !
! (« inaptitude congénitale »)

وكانه حكم علينا - ومن الحكم ؟ - أو قدر علينا ، ألا يكون
لنا من كيان ذاتى ، بل أن نكون دوما جزءا من شيء آخر ، من
كيان آخر ، غيرنا ، وفوقنا ، لا من ذاتنا : فبالأمس البعيد كنا
« جزءا لا يتجزأ من الأمبراطورية البونيقية (الفينيقيّة) » ؛
ثم « جزءا لا يتجزأ من الأمبراطورية الرومانية » ؛ وفى العصر
الحديث « ولاية (جزء لا يتجزأ) من الأمبراطورية العثمانية ... »
إلى أن « جاءت البنت البكر لروما : فرنسا ، فاستلمت المشعل
من أمها ، وتولت الإرث ، بأسلم الطرق « الشرعية » الممكنة ،
واستأنفت إدارة الجزائر ، بل إلحاقها بها ، تبعا لأمها روما ...
وكل ما خلاها باطل ، وكل ما قبلها - عدا روما - زائل !

إن هؤلاء الثرثارين والمخربشين لا يكلون إلى اليوم - من
تكرار هذه السخافات ، ولا يملون ولا يتخرجون حتى الآن من
معارضة الحقائق ، حتى التى فى وثائقهم ومصادرههم الرسمية
- وآخر غراب نعق بذلك السخف صحافى فرنسى فى جريدة
« يومية باريس » أخيرا ، ردا على حديث للمناضل سعدى
ياسف (345) ، منذ بضعة أشهر ، عن فيلمه « معركة الجزائر
(La Bataille d'Alger) » ، الذى قال :

(344) E.T. Gautier : Le passé de l'Afrique du Nord (Les siècles obscurs du Maghreb),
p. 10.

(345) هذا هو الترتيب الصحيح السليم لاسميه - الشخصى والعائلى - « سعدى
ياسف » - ، ولكل اسم فى أى بلد من القارات الخمس ، وليس كما
نعوج نحن فى الجزائر - وفى الجزائر وحدها فى الدنيا - ترتيب الأسماء ،
ونعكس الوضع المتعارف عليه عالميا ! فالاسم الشخصى يجب أن يكون
قبل الاسم العائلى !

« إننى لو كان علي أن أعيد ما قمت به أثناء الكفاح التحريرى المسلح ، لأعدته ، لأن بلادى كانت ضحية عدوان غزاها سنة 1830 ... » .

فعلق عليه صحافى فرنسى عنصرى ، حاقدا حتى اليوم ، مخربشا :

« إنها لجملة سخيفة هذه ... حيث إن الجزائر قبل 1830 م كانت جزائر تركية ، ولم تكن مستقلة إطلاقا » (346) وهذا فى آخر سنة 1982 م ! لهذا كله فعلينا نحن ألا نكل من دحض تلك الأباطيل والمزاعم ، وألا نمل من تصحيح ذلك التزييف للتاريخ !

وذلك أن « دولة الجزائريين » ، التى نبعثها بابا عزوج ، بهذا الاسم ، سنة 1516 م ، لم تكن « إيالة » ولا عيالة ، ولا خيالة ، ولا ذيالة ، ولا سيالة ، ولا شيالة (حمالة) ، لأحد ، ولا جزء منه ، ولا تابعة له ، ولا ملحقة به ! هى دولة جزائرية خالصة ، ولم تكن إلا حلقة فى السلسلة الطويلة من الدول الجزائرية السابقة – عدا العهد الأول بعد الفتح الإسلامى – واللاحقة ، من الدولة النوميديّة ؛ إلى الرستمية ؛ إلى الزيرية – الحمادية ؛ إلى الزيانية ؛ إلى الجمهورية الجزائرية الحديثة ، التى نحن بصدها ؛ إلى دولة الأمير عبد القادر ؛ إلى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ؛ ثم أخيرا إلى الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية !

وإن رسائل لويس الرابع عشر ، وغيره من ملوك ورؤساء دولة فرنسا فيما بعد ، إلى دايات الجزائر (347) ، والمعاهدات التى

(346) Jean-Marc Kalfèche in : Le Quotidien de Paris n° 878, mercredi 22 sept. 1982.

(347) Plantet : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France pp. 33, 34, 35.

وغيرها كثيرة ، فى كتاب من مجلدين ضخمين فى حوالى ألف ومائتى صفحة (1179 بالضبط !) .

عقدتها هؤلاء معهم ومع غيرهم من ملوك ورؤساء دول أخرى ، مثل هولاندا ، وأنكلترا ، والأمبراطورية الألمانية (النمسا) ؛ وهامبورغ ، والسويد ، والدانمارك ، الخ - فلتراجع القائمة الاستعمارية المفصلة التي أوردناها - لتذكر صيغة « **جمهورية الجزائر** » ، أو « **الجمهورية الجزائرية** » ، وبخصوص فرنسا : فنكتفى بذكر عدد المرات التي ذكرت فيها صيغة « **داى ومملكة الجزائر** » فى معاهدة واحدة - كمثل فقط - :

ففى معاهدة الداى شعبان مع لويس الرابع عشر ، يوم 19 سبتمبر 1689 م ، كان عنوان - أو براءة استهلال - المعاهدة هكذا :

« معاهدة بين الملك المسيحى جدا ، الأمير لويس ، الرابع عشر بالاسم ، أمبراطور فرنسا ونبرة (Navarre) ، مع الأمجد المشهور جدا (le Très Illustre) الداى شعبان ، داى مدينة ومملكة الجزائر (Dey de la ville et Royaume d'Alger) . وكانت مادتها الثالثة هكذا :

« ستسود السلم فى المستقبل بين أمبراطور فرنسا والأمجد المشهور جدا داى مدينة ومملكة الجزائر ، ستسود السلم والتجارة المتبادلة بين رعايا المملكتين » (348). وقد ذكرت صيغة مملكة الجزائر فى هذه المعاهدة وحدها خمس عشرة (15) مرة !

وإن الرسائل التى بعث بها لويس الرابع عشر وغيره من ملوك فرنسا وقادة جمهوريتها الأولى إلى دايات الجزائر لتطفيح بصيغ مثل « **جمهورية الجزائر** » و « **جمهوريةكم** » ، فلتراجع فى المصدر المذكور (349) .

(348) Devoulx : ibid, p. 10.

(349) Plantet : ibid, 2 vol.

ثم إن جميع المعاهدات التى عقدتها الجزائر طوال تلك القرون الثلاثة لم تعقدها إلا باسمها ، ولا ذكر فيها للدولة العثمانية ، ولا لاسطنبول ، ولا الآستانة ، ولا الباب العالى ... ، أو الخليفة ، ولا للسلطان ، وما على الإنسان المتشكك إلا الرجوع إليها للتأكد منها بنفسه !

بل نجد أبلغ من ذلك فى الدلالة : فكثيرا ما كانت سياسة الجزائر وسياسة الباب العالى تتعارضان : ولنكتف هنا بمثل واحد فى سياق العلاقات الجزائرية الفرنسية ، والعلاقات العثمانية الفرنسية ، بالضبط : فبينما كانت الجزائر أول دولة اعترفت بالجمهورية الفرنسية ، وأمدتها ، وزيادة على هذا التأييد الدبلوماسى ، بما أمدتها به - كما ذكرنا - من عون مادى ، ومالى ، واستراتيجى ، كانت الخلافة العثمانية طرفا فى بعض تلك التكتلات السبعة ضد الثورة الفرنسية وجمهوريةها ، وبالتالى فلم تعترف بها إلا بعد أن اعترفت بها الجزائر !

ويقول دوغرامون :

« ولقد كان الديوان (أى مجلس الجمهورية الجزائرية المتكون من الداي ، والخزناجى (أى الوزير الأول) ، وقائد الحرس ، (أى جيش المشاة والفرسان) ، وأمير البحر ، (أى رئيس « الرياس » البحريين أو قادة البحرية) ، والمفتيين (الحنفى والمالكي) سيدا مطلقا فى الحل والربط لدى إعلان الحرب ، وعقد السلم ، والأحلاف ، والمعاهدات ، ولم يكن يهتم إلا قليلا بمعرفة ما إذا كان قراره ذلك يطابق أم يعارض سياسة الباب العالى » (350) .

(350) De Grammont : ibid, p. 126.

ويعزز بلانطى هذا الرأي فيقول :

« لقد أخذ الجزائريون (*Les Algériens*) ، ابتداء من سنة 1671 م ، ينهضون بأنفسهم رئيس دولتهم ، مدشنيين بذلك عهد الدايات ، بدون إذن من الباب العالي . ولم يعودوا يتركون لمبعوثى السلطان إلا وظائف شرفية (وهو لقب الباشا الذى ألغى فيما بعد ، وطرد آخر باشا ، ووضع فى سفينة إلى اسطنبول) .

« وقد رأينا من وثائق سنة 1688 م كيف لم يسمح (الداى شعبان) للباشا إسماعيل ، بمبعوث السلطان ، حتى بالنزول من السفينة فى ميناء الجزائر .

« ثم ، ابتداء من سنة 1710 م ، أخذ الداى ومساعدوه يطردون بالقوة ممثلى الباب العالي ، تاركين للدايات وحدهم السيادة المطلقة فى السلطة .

« وفى الوقت الذى نحن بصده ، كان على مبعوثى السلطان (الباب العالي) إلى الجزائر أن يعتبروا أنفسهم سمداء إذا ما استقبلوا بقدر من الاحترام ، بدون أى بصيص من أمل إطلاقاً فى أى نجاح للمهمات التى يأتون من أجلها إلى الجزائر مبعوثين من السلطان » (351) و (352) .

بل ونجد نفس المؤرخ يجسم هذا الاستقلال من الدايات عن السلطان العثمانى ، أو هذا العجز من السلطان العثمانى أمام دايات الجزائر ، بتعبير فكاهى أورده فى مقدمة كتابه :

يقول فيه عن دايات الجزائر :

« وماذا تستطيع الدول الأوروبية أمام هؤلاء الناس (*ces gens*) الذين ينتفون لى مبعوثى السلطان (العثمانى) ويمزقون

(351) انظر الشكل رقم : 196 أ ، 196 ب .

(352) Plantet : ibid, pp. 333-334.

sans se fier aux lettres de cet Intendant, ait voulu envoyer en ce pays pour s'informer de la vérité, il a impunément attaqué toute la terre. Lorsque nous avons écrit des lettres, il les a changées, et plusieurs fois il a fait écrire des lettres en Turc, par des renégats des galères, sous notre nom, auxquelles il faisait appliquer un cachet comme le nôtre qu'il avait fait graver et contrefaire, et il trompait ainsi l'un et l'autre parti¹. Ce sont là des actions iniques et nous en sommes très bien informé, avec toutes les circonstances, tant par les esclaves qui sont de retour ici que par vos propres sujets. Il est vrai que nous sommes resté dans l'étonnement de voir que l'on puisse confier les affaires de l'État et même l'Intendance d'un port à des gens si scélérats. C'est un homme qui fait ses efforts pour vous rendre ennemi toute la terre.

Nous vous dirons donc, ô notre très sincère ami, comme il est marqué ci-dessus, que toute la Milice et les Seigneurs du Divan se sont assemblés dans la persuasion et la connaissance qu'ils ont de votre sagesse, prudence, équité et justice, et de l'aversion que vous avez pour les gens qui ne marchent pas droit; ils vous prient tous d'une voix d'avoir la bonté d'envoyer ici les biens de Ben Choukir, afin qu'ils lui soient remis publiquement entre les mains, comme il est juste.

C'est pour ce sujet que nous avons écrit cette lettre et que nous l'envoyons à votre Excellence. Faites donc exécuter la justice en cette occasion comme Dieu l'ordonne. Et, à l'égard des affaires que vous pourrez avoir à Tunis et quelque dessein que vous ayez de ce côté-là, sachez que les recommandations d'Algor y sont plus exactement suivies et qu'elles y ont plus de force et de crédit que les paroles du Capidji Bachi qui y a été envoyé par la Porte ottomane², que vos affaires présentes

1. La fermeté de M. de Vauvray à l'égard des Algériens lui valut ces injurieuses imputations. La contrefaçon dont on l'accusait ici était, comme on l'a vu p. 474, le fait de Mercadier, l'ancien Consul de la nation française, révoqué le 8 février 1690. (Voy. la note 1, p. 209.)

2. Les Algériens avaient commencé par être eux-mêmes, en 1671, le chef de la régence, inaugurant ainsi le régime des Deys sans l'autorisation de la Porte ottomane et ne laissant aux Pachas triennaux, délégués du Sultan, que des fonctions honorifiques. En 1688, nous avons lu les plaintes du Pacha Ismail, envoyé par le Grand Seigneur pour remplacer Hadji Hussein, et mis par ce dernier dans l'impossibilité de débarquer à Alger. (Voy. p. 139.) A partir de 1710, on verra les Deys repousser de vive force les représentants de la Porte et attribuer aux Deys seule la souveraineté absolue du pouvoir. A l'époque où nous nous trouvons, les Capidjis du Grand Seigneur devaient s'estimer heureux d'être encore accueillis avec quelque respect, sans pouvoir espérer d'ailleurs aucun succès dans leurs missions.

1. Archives de la Marine. (Levant et Barbarie, B¹ 214 et 215.)

y seront terminées et qu'on vous y fera justice par notre moyen, parce que nos trois États sont comme trois frères dont Alger est l'ainé. Les conseils et les paroles que nous nous donnerons seront exécutés réciproquement. Notre intention en ceci n'étant que de vous témoigner de l'amitié et de rendre service à l'Empereur de France, faites une sérieuse réflexion à tout ce que j'ai le bien de vous dire, pendant que le sieur Dusault, votre serviteur, est encore en ce pays. Comme c'est un homme judicieux et prudent, nous lui avons-d'abord fait connaître nos intentions dans toute cette affaire, et ensuite nous vous les avons écrites dans cette lettre. Nous ne la ferons pas plus longue, pour prier Dieu qu'il prolonge vos jours et qu'il augmente votre puissance et votre affection pour nous.

Écrit le 3^e jour de la lune de Zillidjé, l'an 1202, qui est le 27 août 1691.

(Sceau)

CHABAN,
Dey d'Alger.

الشكل رقم : (196) ب

أوامره ؟ » (353) « وأمام هذه الجمهورية (« cette République ») ،
التي قاومت هجمات النصرانية (la Chrétienté) (أى الدول المسيحية
أو الأوروبية) طيلة أكثر من ثلاثة قرون متوالية ؟ » (354) و
(355).
تبقى حقيقتان :

(1) إحداهما أن الدولة العثمانية ساعدتنا في الأول ، لدى
المنطلق ، عندما طلب منها ذلك عروج وخير الدين اللذان
استقدمناهما ، وطلبناهما ، ولم يأتيا غازيين ، محتلين (356) و (357)
(مع شقيقيهما إلياس وإسحاق) ، بل بطلب منا ، أمام المد
الصليبي الجارف ، إثر سقوط غرناطة ، الذى شمل أغلب مدن
سواحلنا - وسواحل المغرب ، وتونس ، وليبيا - ، وأمام تبعثر
السلطة فى الجزائر إلى عشرين أميرة (بضم الألف المهموزة
وتصغير الاسم) ، بعد تفتت بقايا دولة إيغمراسن بن زيان ،
البطل الصنديد .

(2) والثانية أن العصر كان عصر تكتل الدول النصرانية
كلها تحت السلطة «الروحية» - بل والسلطة السياسية المباشرة ،

(353) Plantet : ibid, p. LXI (Introduction).

(354) Plantet : ibid, p. XV (Introduction).

(355) ويذكر « جمهورية الجزائر » هذه مرارا أخرى فى المقدمة ، خاصة فى
صفحات : 7 ، و 14 ، و 15 هكذا : « la République d'Alger » . بل ويزيد
على ذلك خطوة ، فى لحظة انفلات القلم بما تخفى الصدور - مصداقا
لقوله تعالى : « قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ،
- فقال : « هذه الجمهورية الغريبة (cette étrange République) » فى الصفحة
7 من المقدمة .

وعلى كل : جمهورية غريبة ، أو عجيبة ... فقد سبقت الجمهورية
الفرنسية بأكثر من قرن ... واعترفت بها ... وساعدتها ...
وأسعفتها ، بل أنقذتها ، وهم الذين يقولون هذا ، ويعترفون به !
(356) ذكرنا جزم أحمد بن أبى الضياف ، المؤرخ التونسي ، بهذا ، ويدعمه
مؤرخ فرنسى هو :

(357) Galibert : ibid, p. 189.

فى كثير من الأحيان - للبابا ، فى أوروبا كلها (التى كانت الكاثوليكية هى السائدة فيها ، بل وحدها فى الميدان ، والفرق الأرثوذكسية الضعيفة المبعثرة ، خاصة فى شرق أوروبا ، كانت متحالفة معها ، والبروتستانتية لم توجد بعد !) .

وقد ازدادت سيطرة الكنيسة ، مع الزمن ، على الحكم والحكام فى أعقاب الحروب الصليبية ، التى لا يحدد عددها بتسع أو عشر ، بل هى أكثر - كما يقولون هم أنفسهم - . إن تلك الحروب الصليبية قادها ملوك فرنسا ، وأنكلترا ، وألمانيا ، وغيرهم ... وتكفى نظرة خاطفة الى الألقاب الرسمية لأغلب ملوك أوروبا ، حتى فى عصور متأخرة جدا ، للتأكد من صحة ما نقول :

- الأمبراطورية الألمانية الرومانية المقدسة :

Das *Heilige* Deutsch-Roemische Reich

(فيينا ، ثم مدريد ، ثم فيينا من جديد) .

Sa Majesté l'Impératrice d'Autriche, Reine *Apostolique* de Hongrie et de Bohème :

- جلالة أمبراطورة النمسا ، الملكة الرسولية للمجر وبوهيميا (تشيكوسلوفاكيا) .

Le Roi de la Grande Bretagne, par la grâce de Dieu, défenseur de la foi :

- ملك بريطانيا ، المدافع عن الدين بحمد الله .

الملك المسيحى جدا ، فرانسوا الأول ، ملك فرنسا :

Le Roi très-Chrétien François 1^{er}, Roi de France.

صاحب الجلالة المسيحية جدا لويس الرابع عشر ، ملك فرنسا ونبرة :

Sa Majesté très-Chrétienne Louis XIV, roi de France et de Navarre.

جلالة الوفية جدا (للدين) (البرتغال):

Sa Majesté très-fidèle (Portugal)

جلالته الكاثوليكية (اسبانيا)

Sa Majesté Catholique (Espagne)

وهؤلاء كلهم ، مع استقلالهم كملوك ، وأباطرة ، كانوا خاضعين للسلطة الروحية للبابا ، وتحت سلطته المباشرة في ظروف الشدة ، كقوة متراصة ، موحدة . وما غارة شارلكان ، الأمبراطور الألماني ، ملك اسبانيا ، وأمريكا اللاتينية ، وهولاندا ، ... و ... ، - بأمر من البابا وبإصدار مرسوم منه بذلك يعلنها صليبية - ، وبقوات من ألمانيا ، وفرنسا ، واسبانيا ، وإيطاليا ، وبلجيكا ، ومالطا ، وغيرها ، سنة 1541 م ، على الجزائر إلا أكبر دليل على ذلك !

ومن هنا كانت الخلافة العثمانية تمثل العقد الذى تنتظم فيه البلاد الإسلامية ودولها ، فى ظروف الشدة ، فى مواجهة تكتل النصرانية تحت إشراف البابا (358) و (359) و (360) .

ولم يكن للجزائر من تبعية للخلافة العثمانية ، ولا من جزئية منها ، إلا بهذا المعنى ، كأغلب البلدان والدول الإسلامية الأخرى : طاعة روحية ، وتضامن عسكرى ، أمام الدول النصرانية المنضوية تحت السلطة الروحية للبابا !

وقد قلنا إن الجزائر تمتاز عن أغلب تلك البلدان الإسلامية الأخرى بأنها كانت تملن الحرب ، وتمضى السلم ، وتعقد المعاهدات ، وتقيم التحالفات ، بمطلق سيادتها ، وحرية تصرفها،

(358) انظر الشكل رقم : 197 .

(359) انظر الشكل رقم : 198 .

(360) انظر الشكل رقم : 199 .

النمط رقم : (197)



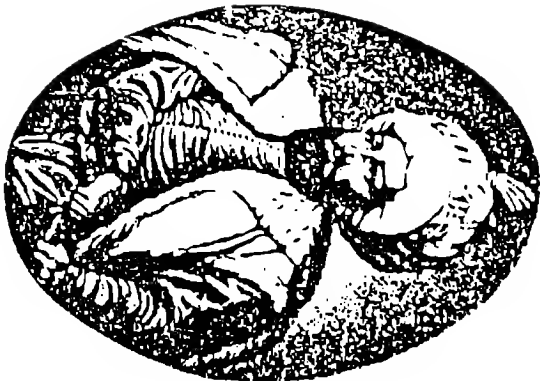
السلطان الناصر
عثمان خان الأول⁽¹⁾

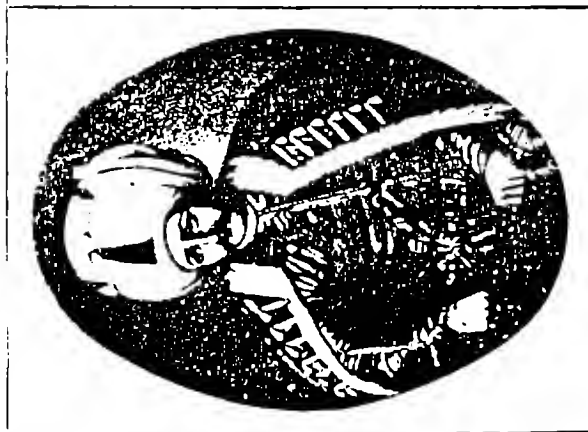
(مؤسس الدولة العثمانية ،
سنة 996 هـ 1300 م)

الشكل رقم : (198)

السلطان الغساني
محمد الثاني الفاتح

فاتح السلطنة ، يوم 20
جمادى الأولى 857 هـ (29 مايو 1453 م)





الشكل رقم : (199)

السلطان

سليم الأول الغازي
الملقب بـ "بوز اي قاطع"

مؤسس الخلافة العثمانية
يوم 8 محرم 923 هـ (21 يناير 1518 م)

وليس بتفويض من الخلافة ، بل وأنها كثيرا ما عارضت سياستها !

فنحن نعتز بإذن بجميل الخلافة العثمانية ، ولكننا لم نكن إيالة لها ، ولا جزءا منها ، ولا تابعين لها ، وإنما ساعدتنا وساعدناها ، كما ذكرنا لذلك أمثلة عدة : لم يكن إلا هذا ، ولا شيء غير هذا إطلاقا وألبتة !

ومن هنا صدق المرحوم مفدى ، مرة أخرى ، إذ يقول فى إلياذته ، إلياذتنا جميعا ، إلياذة الجزائر :

« وأزرنا الترك حتى انتصرنا ولم يخفر الترك ماضى العهود وقمنا نسوس البلاد بمعدل ونسدى الجميل ونرعى الحدود ولم نك للترك بالتابعين ، وإن عززوا سعيننا بالجهود ونحن أناس نعد الجميل ، ونرعى ذمام الصديق الودود » (361).
استبداد ، وإقطاع ، وشره ، وبذخ ، وعدم اكتراث

أم

شورى وديمقراطية ، وبساطة فى العيش ، بل تقشف وحرمان ،
مع روح وطنية وفداء ؟

(2) والمآخذ الثانى الذى يأخذه بعضهم « هناك » ، وآخرون هنا ، أيضا ، مع الأسف ، على الدولة الجزائرية فى العهد العثمانى ، يتمثل فى زعمهم « أن نظام حكمها إقطاعى ، مستبد ؛ وأن رؤساءها مستغلون للجزائر ، يهتمهم ما يأخذونه منها بسرعة ؛ يعيشون فى ترف وبذخ ؛ ثم لا يهتمهم بعد ذلك من أمر البلاد ومصير العباد شيء إطلاقا » !

(361) مفدى زكرياء : إلياذة الجزائر ، ج 1 من كتاب الملتقى السادس للفكر الإسلامى ، ص 60 .

ولكننا إذ نستقي معلوماتنا من مصادر أوروبية ، وبالدرجة الأولى فرنسية ، نجد عكس ذلك ، تماما ، أحيانا بين السطور ، وكان تلك الحقائق انفلتت منهم بدون قصد ، وانزلق بها القلم كما ينزلق اللسان ... وأحيانا أخرى بصريح العبارة ، ونفضل أن نعد هذا الجانب الثانى لصالح انتفاضات روح النزاهة العلمية ، والموضوعية ، والصدق عند العلماء من حين لآخر !

فالإقطاع والاستبداد ، إن كانا - وقد كانا ! - لم تنفرد الجزائر بهما ، بل كانا ظاهرة عالمية ، سائدة فى أوروبا بالذات ، وحتى اسمهما فهو أوروبى بحت ، والاسم يوجد دوما بعد المسمى ، كما هو معلوم !

أفلم تقم الثورة الفرنسية ، وثورات أخرى بعدها بكثير ، بالدرجة الأولى ضد الإقطاع والاستبداد ؟

على أننا نسجل لأولئك الدايات - لصالحهم - معتمدين فى ذلك على المراجع المشار إليها - أنهم لم يكونوا كلهم كذلك ، والذين كانوا لم يكونوه دائما ؛ بل لم يكونوه إطلاقا ، أو لم يكونوه إلا فى النادر القليل ، كالاستثناءات النحوية ، والصرفية ، والبلاغية ... وغيرها ، التى تؤكد صحة القاعدة ، والقاعدة أنهم كانوا نزهاء ، مخلصين للدفاع عن البلاد ، يحيون حياة تقشف ، بل وزهد ، بروح أدام رسالة : رسالة الدفاع ، والجهاد ، فى دار الجهاد ، عن شرف الأمة الجزائرية ، ضد الغزو الأجنبى ، أو على الأصح : عن الإسلام ضد المد الصليبي والصليبيين ، أو ضد الكفار ، كما يقول الداى عمر ، مثلا !
نعم !

نذكر كلنا كيف استشهد إلیاس فى بجاية فى الجهاد لطرد الإسبان ؛ وكيف فقد عروج ذراعه فى نفس المعركة ، ثم قهر

ديغو دى فيرا فى الجزائر العاصمة ، وطرده منها والإسبان ، ثم قارعهم فى تلمسان ، حتى استشهد ؛ وكيف استشهد شقيقهم الثالث : إسحاق ، فى مقارعة الإسبان فى قلعة بنى راشد ؛ ثلاثة منهم استشهدوا على أديم هذه البلاد ، دفاعا عن دينها وشرفها !

وكيف دحر خير الدين ، وهو رابعهم وآخرهم ، هوغو دى منكادا فى الجزائر ، وطرده منها ؛ ثم غزا الإسبان فى عقر دارهم ، من حيث أنقذ مئات الآلاف (جولييان يذكر أكثر من سبعين ألفا ، وآخرون يذكرون حوالى المليون !) من الأندلسيين إلى الجزائر ، كما يشهد على ذلك حىي الثغرين عندنا فى العاصمة وبقاياهم فى وهران ، وتلمسان ، وشرشال ، وتنس ، وبنى حواء (برشك) ، والقليلة ، والعاصمة ، والبليدة ، ودلس ، وبجاية ، وجيجل ، وقسنطينة ، وعنابة ، وتونس ...

ونذكر كيف قاد أمثال صالح رايس ، وحسن بن خير الدين ، معركة تحرير بجاية ، بالنسبة للأول ، ومستفانم ، بالنسبة للثاني ، وحرراهما ؛ ونذكر كيف قاد حسن آغا بنفسه المعركة ضد غارة شارلكان على الجزائر العاصمة سنة 1541 ، وكيف دحره ، وردده منكوصا ؛ وكيف ذهب علي قلش من الجزائر حتى تونس فحررها ؛ وكيف جابه الحاج حسين (ميزومورتو) الحملات الفرنسية ، وجرح فى رأسه ، ولكنه طاردها وطردها ؛ وكيف قابل شعبان حملات أخرى حتى من بلدان شقيقة ، ورددها منكوصة على أعقابها ؛ وكيف أكد المؤرخ السويدي ريفتيلوس على « حرص الدايات ، الذى لم يهدأ » ، على تحرير وهران بعد أن كان قد تركز الإسبان فيها قبل وصول عروج وخير الدين وأخويهما ، حتى نجح محمد بكداش وبايه فى معسكر ، مصطفى أبو سلاغم ، فى طردهم للمرة الأولى ؛ وكيف مات محمد كور

عبدى حزنا وغما - وقد تجاوز الثمانين - من مباغته الإسبان بأيه على وهران ، وكيف أرسل بابنه فداء إليها ؛ وكيف قابل محمد عثمان - وهو شيخ قد تجاوز الثمانين ! - حملات الإسبان سنتى 1783 و 1784 على العاصمة ، وهزمهم ، ثم طاردهم فى وهران ، هو ، ثم خلفه الداي حسن وبايهما على معسكر ، محمد ابن عثمان الكبير ، وخرج الإسبان نهائيا بالصفة التى رأيناها ؛ وكيف استشهد الرايس حميدو فى مقارعة الأمريكان فى البحر ؛ وكيف واجه الداي عمر بنفسه - مثل سابقيه - قنابل الأنكليز والهولانديين ، حتى جرح فى رأسه ؛ ورأينا ورأينا كيف وكيف ... !

هذا عن « عدم الاهتمام بأمر البلاد ومصير العباد » .

أما عن حياة البذخ ، والترف ، والشره فى جمع المال ، فيجبنا عن الموضوع مؤرخون من فرنسا نفسها ، وأمريكا ، والسويد ، وألمانيا ، بعكس هذا تماما ، وقد أوردنا لذلك نصوصا : عن الشره على جمع المال بالضبط ، وكيف أنهم كانوا يشترطون فى نصوص المعاهدات ، بل وحتى قبل عقد المعاهدات ، أن تكون الإتاوات لا بالمال ، بل ، بالدرجة الأولى ، بالعتاد الحربى ، والسفن ، ومختلف التجهيزات البحرية والحربية ، ولنكتف هنا بالتذكير بثلاثة أمثلة فقط :

1) الداي محمد عثمان ، الذى قال سنة 1786 م للقنصل البريطانى Logie : « إني لا اعقد معاهدة سلم مع أمريكا بالمال » ، ورفض استقبال الوفد الأمريكى الرسمى (362) .

2) الداي حسن ، الذى رفض أن يعقد معاهدة سلم مع المبعوث الخاص لجورج واشنطن ، نفس الرئيس الأول للولايات

(362) Barnbay : ibid, p. 74.

المتحدة الأمريكية ، إذ قال سنة 1792 م لرجل الأعمال السويدي شولدوبراند (363) Skjoeldebrand ، شقيق القنصل السويدي في الجزائر ، : « إنه (الداي حسن) لن يتفاوض مع أمريكا حتى لو دفعت له كل الملايين » (364) .

(3) الداي الحاج علي ، الذي يقول عنه المؤرخ الأمريكي إروين إنه أعلن حرباً على أمريكا سنة 1813 م لأنها عدلت عن دفع بقية الإتاوة بالعتاد ، واقترحت أن يكون بالدولار ، فرفض الداي الحاج علي وقال إنه « فى غير حاجة إلى « دولاركم » ، وألح على ضرورة تسديد بقية الإتاوة المتفق عليها بالعتاد ، حسب المتفق عليه لدى عقد معاهدة 1795 » (365) .

كان من الأسهل عليه أن يأخذ الدولار ، ويبعث به إلى الخارج ، ولكنه رفض ، وأصر على العتاد الذى يبقى فى البلاد وللبلاد ! أهذه وطنية ، أم شره وتكالب على المال ، لتهريبه مثلاً إلى اسطنبول ، أو أزمير ، أو قونيا ، أو إلى أى مكان آخر فى أرضروم أو الأناضول ؟ بل إننا نجد « أن الدايات لا يستطيعون مجرد زيارة دار الخزينة إلا بحضور الخزانجى ، أى وزير المالية ، الوزير الأول فى الوقت نفسه » (366) .

واختم هذا الفصل بمثلين اثنين عن حياة الدايات : الأول عن داي بعينه ، يعطينا عنه صورة كاملة جليلة وجميلة ، ثم عن الآخرين عموماً ؛ والثانى عن الدايات عموماً ، وبين المؤرخين : السويدي والألماني ، قرنان كاملان وعشرية تامة : 1732 - 1942م ! يقول ريفتيلير (السويدي) عن الداي محمد كور عبدى :

(363) ينطق شولدوبراند ، لا سكولدوبراند ، كما كتبه أحد الإخوة خطأ .

(364) Irwin : ibid, p. 94.

(365) Irwin : ibid, p. 243.

(366) Galibert : ibid, p. 325.

« ارتقى الداي عبدى من القاعدة جميع درجات السلم ، حتى أصبح واليا على جنوب الجزائر ، ثم عين فريقا (جترالا) لجيش الفرسان ، وأخيرا انتخب دايًا رغم أنفه ، وهو فى السبعين .

« وكان مشهورا بالشجاعة ، والكفاءة ، ومثال الاستقامة ، والصرامة ، والغيرة على الوطن » (367) .

« ولقد أثر فيه سقوط وهران بأيدي الإسبان ، بسبب غفلة بايها ، سنة 1732 م .

« وكان تأثير ضياع مثل هذه المدينة : وهران ، وهو فى مثل هذه السن ، عليه من الشدة بحيث انغلق على نفسه ، وانزوى عن الناس ، ومات حزنا وأسى عند منتصف النهار من يوم 23 أوت 1732 م . وقد كان حريصا على صداقته للمكنا ، جلالة فريديريك الأول » (368) .

ثم يقول عن حياته :

« وكان لا يخرج إلا قليلا ، ولكن عندما يخرج فراجلا ، يرافقه عدد من الضباط .

« وكذلك زوجته عندما تخرج فعلى قدميها ، ومعها مرافقات ، ولا تعيش معه ، ولا أولاده يشاركونه الإقامة فى القصر الحكومى .

« وقد استغرقت بساطة العشاء الرسمى الذى أقامه للوفد الرسمى السويدى - وكان لى شرف المشاركة فى ذلك العشاء ، الذى شاركنا هو نفسه فيه - إذ لم يقدم لنا إلا الخبز والجبن ، لا غير !

(367) Reftelius : ibid, t. 2, p. 322.

(368) Reftelius : ibid, t. 2, p. 323.

« ونفس الشيء عن أدوات شربه ، ولباسه ، وسريره :
البساطة التامة ! » (369) .

« ونفس البساطة بالنسبة للدايات عموما : فلباس زوجاتهم
كان البساطة دائما ، ويتجنبون لهن لباس الترف والبذخ .

« وزوجات الدايات لا يسكن مع أزواجهن فى القصر ، ولا
أولادهم . وقلما يتزوج الدايات إذا لم يكونوا متزوجين قبل أن
ينتخبوا . والذى يصبح دايا وهو أعزب ثم يتزوج فلا يصحبها
أيضا إلى قصر الحكومة » (370) .

« ونفس البساطة أيضا بالنسبة للبايات فى الولايات ، فلا
تعيش زوجاتهم ولا أولادهم معهم فى قصور الحكومة .

« ونفس البساطة أيضا لديهم ، كما عند الدايات » (371) .

أما الألمانى سيميونوف ، فهو يصور هذا بصفة تظهر
الدايات كأنهم مشائخ الصوفية ، أمثال عبد الحق بن سبعين ،
أو المرسى ، أو محبى الدين بن العربى ، أو فريد الدين العطار ، أو
جلال الدين الرومى ، وأبى مدين شعيب ، وعبد الرحمن
القشتولى (بوقبرين) ، ومحمد أمزيان بن الحداد (الشيخ
الحداد) قبل 8 أبريل 1871 م (372) ، وأبى حامد الغزالى ، قبل
هؤلاء جميعا ؛ مع امتياز الدايات عن هؤلاء بعدم انقطاعهم عن
شؤون الدولة ، وبابتعادهم عن السلبية ، التى هى إحدى
خصائص الصوفية ، الذين يتركون الأمور تسير سهلا ؛ بل هم
(الدايات) قادة الجيوش ، والنماذج لحب العمل ، والصراع ؛
ومع ذلك كله لم يكونوا متهافتين على تولى المنصب ، بل كانوا
يتجنبونه فى أغلب الأحوال ، ومنهم من فر ليلا من تولى المنصب !

(369) Reftelius : ibid, t. 2, chap. 4, p. 330.

(370) Reftelius : ibid, t. 2, chap. 4, p. 331.

(371) Reftelius : ibid, t. 2, chap. 8, p. 353.

(372) أى فى خلوته ، قبل دخوله معصنة 1871 مع القرانى .

يقول المؤرخ الألماني سيميونوف ، عن نمط حياة الدايات ،
ما يلي ، وهو أبلغ تعبير ، وأجمل صورة من أية لوحة لأى رسام !
يقول إذن :

« كان الدايات يحيون حياة الشكنة ، مع جنودهم ، بنفس
الراتب الذى يأخذه ضباطهم .

« وحتى زواجهم فقد كان خاضعا لرخصة أولئك الضباط
والجنود ، ولرقابتهم » (373) .

إنها حياة عسكرية ، متقشفة ، ضنكة ، صعبة جدا ، مرهقة ،
إذ عليهم أن يكونوا دوما على أهبة الاستعداد للرد على الغارات .
إنها حياة الرباطات !

ويروى سيميونوف عن مؤرخ اسباني ، لم يذكر لنا اسمه ،
يصف حياتهم فيقول :

« إن الداي غنى ، ولكنه ليس المالك المتصرف فى كنوزه ؛
أب ، ولكن بدون أولاد ؛ متزوج ، بدون زوجة ؛ مستبد بدون
حرية ؛ سيد عبيد ، وعبد عبيده » (374) .

هذا أبلغ رد على اتهام الدايات بالشره فى جمع المال وحياة
البذخ والترف !

أما عن الاستبداد، وانعدام الشورى أو الروح الديمقراطية،
كما يقال اليوم ، فقد أوردنا نصا عن كيفية عقد المعاهدات مع
الدول ، مثلا عند اتخاذ القرار بإبرام إحدى المعاهدات بين
الداي شعبان ولويس الرابع عشر ، للمؤرخ الفرنسى دوفو .

(373) Semjonow : ibid, p. 202.

(374) Semjonow : ibid, p. 202.

ونورد هنا ثلاثة نصوص أخرى : أحدها لمؤرخ فرنسي آخر عن إجراءات إعلان الحرب ؛ والثاني لمؤرخ ألماني عن شكل نظام الحكم نفسه : أهو ملكية وراثية لا دخل للانتخاب فيها ، أم هو ديمقراطية أو شبه ديمقراطية ، أو أكثر من الديمقراطية ، في ذلك العهد ، حتى بالنسبة لأوروبا ، التي تتبجح علينا اليوم بصيغ فارغة وشكليات لا محتوى لها عن الإقطاع ، والديمقراطية ، والاستبداد ، والانتخابات ، وحق الاقتراع العام (suffrage universel) ، وتداول الحكم ، والنظام الجمهورى ... الخ ؛ والنص الثالث لمؤرخ أمريكي عن شكل وطريقة نظام الحكم أيضا .

يقول الفرنسي ، غارو :

« وبتاريخ 18 أكتوبر 1681م ، أعلنت الجزائر الحرب على فرنسا بإجماع أعضاء الديوان ، لعدم تطبيق فرنسا اتفاقية تبادل الأسرى (في عهد السداى بابا حسن ولويس الرابع عشر » (375) .

هذا عن إعلان الحرب وعقد السلم . وها هو نص للمؤرخ الألماني سيميونوف عن نظام الحكم نفسه (وقد سبق لنا أن رأينا استعمال كلمة الجمهورية فى المراسلات والمعاهدات) :

« إن دايات الجزائر لم يكونوا ملوكا شرعيين وراثيين ، بل كانوا رؤساء جمهورية عسكرية لم يبق لها فى بداية القرن التاسع عشر إلا مجرد علاقة شكلية باسطنبول » (376) .

والثالث للمؤرخ الأمريكى سبنسر عن نظام « الحكم المفرد » ، أو « الاستبداد » ، المزعومين عند الدايات :

(375) Garrot : ibid, p. 506.

(376) Semjonow : ibid, p. 201.

« ولم تكن هناك أية جهود جادة لربط الدولة الجزائرية
بزعيم منفرد ، وهذا حتى في العهد الذي أقام فيه الدايات
العلاقات الدبلوماسية النشيطة مع أوروبا » (حيث النظام
الملكي المستبد هو السائد ، وكمثل على ذلك : لويس الرابع عشر
الذي كان يقول : أنا الدولة « L'Etat, c'est moi ! »)

ويستمر سبنسر :

« وكما سنرى في الفصول القادمة ، كان الدايات ، عادة ،
لا يقبلون - وليس لهم أى ميل إلى - السلطة المطلقة ، ويفضلون
وصف أنفسهم بـ « أدوات الله » ، أى أنهم مجرد مستخلفين في
الأرض ، ومجرد وسائل لتنفيذ إرادة الله » (377) .

لم يكن نظام الدايات إذن نظاما ملكيا وراثيا ، بل كانوا
رؤساء جمهورية عسكرية ... ينتخبون ، وما أكثرن هذا النظام
اليوم في العالم الثالث : افريقيا ، وآسيا ، وأمريكا اللاتينية ؛
وأیضا حتى اليوم في أوروبا الشرقية ؛ وبالأمس القريب جدا
في أوروبا الغربية أيضا ، ويكفى أن نذكر الجنرال دوغول في
فرنسا ، والجنرال سالازار في البرتغال ، والجنرال فرانكو في
اسبانيا ...

وهل الديوان في الجزائر كان أكثر أو أقل شورى ، أو
ديمقراطية ، وحرية تصرف ، من هذه وتلك الأنظمة في
القارات والجهات التي ذكرناها ... فهذا محل مقارنة ، ونقاش ،
ونظر ... ولكننا نلاحظ فقط أنه بينما كان لويس الرابع عشر
يقول : « الدولة هي أنا » أو : « أنا الدولة » « L'Etat, c'est moi ! » ،
وكان يقرر ما يريد ، بدون أى نقاش من أحد ، كان الدايات
لا يعلنون حربا ، ولا يعقدون سلما أو معاهدة ، إلا بموافقة
الديوان (وقد سبق أن رأينا أنه موسع جدا) .

(377) Spencer : *ibid*, p. 40.

يبقى أن نتساءل : هل كان ذلك النظام كاملا ؟ فنجيب
بتساؤل أو سؤال : وأين النظام الكامل ؟ فى أى بلد ؟ وفى أى
عصر ؟ فالكمال لله ، والإيجابيات أكثر من السلبيات ، ككل
عمل إنسانى قريب من الكمال ، أى مثالى ، نموذجى . أما غيره ...

« ثم: هل الدايات جزائريون ؟ »

« ألم يكونوا أجانب ؟ »

لا، ليسوا أجانب !

والماخذ الثالث الذى يؤخذ على الدايات « أنهم غير جزائريين ،
بل أجانب ... أتراك ، عثمانيون ، أو من شئت ، ولكنهم على
كل ليسوا جزائريين ! » .

يقول المؤرخ الفرنسى إيفرولطو :

« هل ينكر الجنرال دوغول سيادة دايات الجزائر ، بدعوى
أنهم من أصل أجنبى ؟ ولكن مثل هذا التفكير سيؤدى بنا بعيدا ،
مثلا : إلى ضرورة تفسير اسم بلادنا نفسه ، فرنسا ، حيث إن
اسمها هذا انحدر إلينا من تلك القبائل الجرمانية (الفرنكية) ،
التي أتت من الضفة اليمنى لنهر الراين (فى ألمانيا) ، وغزت
غاليا La Gaule = Gallia ، (وهو الاسم القديم الشامل لفرنسا
مع بلدان صغيرة مجاورة فى عهد فرسانجيتوريكس مثلا) .
ومنها خرجت الأسر الأولى التي تولت الملك فى فرنسا (أى من
تلك القبائل الجرمانية) » (378) و (379) .

(378) Egretaud : ibid, p. 42.

(379) انظر الشكل رقم : 200 .

établis entre l'Europe et l'Algérie au cours des siècles de domination turque. Cette propagande feint d'ignorer qu'au xvii^e siècle, la Régence d'Alger signa plusieurs traités avec l'Angleterre et la Hollande, qu'en 1795, les Etats-Unis d'Amérique signèrent avec la Régence un traité de paix et d'amitié. Cette propagande veut surtout cacher que, de toutes les puissances chrétiennes, c'est sans doute la France qui entretint les relations les plus étroites et les plus suivies avec l'Etat algérien. Dès 1561, la France et la Régence échangeaient des ambassadeurs. En 1595, Henri IV fit appel à Alger pour délivrer Marseille des Ligueurs. De Colbert au Directoire, les relations commerciales et diplomatiques entre la France et l'Algérie ne cessèrent de se développer. Le dey consentit même à la République française, pendant les guerres de la Révolution, des prêts sans intérêt en même temps qu'il l'approvisionnait en céréales, ce qui permit d'éviter la disette. Et c'est justement parce que les engagements souscrits par la France en cette occasion ne furent pas tenus, qu'on vit par la suite se nouer les intrigues qui aboutirent paradoxalement à l'expédition d'Alger de 1830 !

/ Le général de Gaulle niera peut-être la souveraineté des deys d'Alger en invoquant leur origine étrangère ? Mais un tel raisonnement pourrait nous mener loin, et par exemple à la nécessité d'expliquer le nom même de notre pays, la France, puisqu'il vient de cette peuplade germanique de la rive droite du Rhin qui envahit la Gaule au vi^e siècle, et d'où sortirent les premières dynasties ayant régné en France. (1)

L'Etat algérien disposait d'une flotte, d'une armée, d'une police, d'un appareil administratif et judiciaire. La Régence était divisée en provinces (Alger, Oran, Médéa, Constantine), gouvernée par des beys et divisée en cantons. L'autorité des beys s'étendait en principe à toute la population de leur province. Notons qu'à l'époque, la fusion arabo-berbère était pratiquement achevée, les divisions administratives de base correspondaient la plupart du temps à l'aire occupée

1) Les Francs : Die Franken
Réalité de la nation algérienne

Marcel Egretaud

(Franken ~ la
Franconie)
(les Mérovingiens et les Carolingiens)

وعند غير فرنسا أيضا .

(1) ففي فرنسا نفسها :

نعم ، ولقد صدق إيفروطو : فالأسرتان الأوليان اللتان أسستا الحكم فى فرنسا ، وفرنسا نفسها بمعنى الدولة ، ووحدة الشعب ، وبوصولهما إلى فرنسا بدأ تاريخ فرنسا الحقيقى ، وهما « الميروفانجيان » les Mérovingiens و « الكارولانجيان » les Carolingiens ، جاءتا فى بداية القرن الخامس (430 و 450) م ، من فرانكن Franken ، بالألمانية ، وبالفرنسية Franconie ، منطقة بين الماين والراين (der Rhein + der Main) ، أى من بين مدينتى فرانكفورت وكولونيا ، فى ألمانيا ، لا تزال حتى اليوم تسمى Franken ، التاريخية Frankenreich (مملكة الفرنكيين) .

ومن اسم هذه الجهة الألمانية وقبائلها الفرنكية جاء اسم فرنسا La France ، والشعب الفرنسى : le peuple français ، واللغة الفرنسية le français ، والفرنك le franc ، وحتى عندما كان دوغول يقول : « تحي فرنسا » (« Vive la France ! ») فقد كان يستعمل اسما ألمانيا لبلاده ، « فرنسا » ، التى يسميها الألمان ، بكل صراحة وفصاحة ، « Frankreich » أى مملكة أو إمبراطورية « الفرنكيين » من الاسم القديم « Frankenreich » الألمانى للألمان ! فما باله إذن ، دوغول ، يقول عن داياتنا إنهم أجانب ، أتراك ، أو عثمانيون ، واقواقيون ؟ فاسم الجزائر ، على الأقل ، ليس أجنبيا ، بل نحتة بلكين بن زيرى منذ أكثر من ألف سنة ، واسم الجزائريين مشتق منه ، وبالعربية ، وليس بالفرنسية ، منا ، ولم نستعمره من غيرنا !

وليس هذا فحسب : بل حتى دوغول نفسه قيل إن أجداده أتوا من منطقة بادن فيرتنبرغ Baden-Wuerttemberg ، فى ألمانيا أيضا !

كما أن نابليون بونابارت ، الذى ولد سنة 1769 م ، فى كورسيكا ، كاد يولد إيطاليا ، إذ كانت إذ ذاك إيطالية ، تابعة لجنوة ، فاشترتها فرنسا اشتراء قبل أن يولد نابليون بونابارت فيها بعامين اثنين فحسب ... وأمه ظلت تتكلم بالإيطالية ، واستقرت فى إيطاليا ، هى وأغلب أبنائها فيما بعد ، وفيها ماتوا ودفنوا جميعا ... أى فى إيطاليا !

فإذا أراد الفرنسيون أن يتخلوا عن اسم بلدهم ، وشعبهم ، ولغتهم ، وستة قرون من تاريخهم - بل وأكثر ، حتى امتزج أولئك الألمان ببقية الفرنسيين ... - ، فنحن مستعدون إذ ذاك أن نتخلى عن القرون الثلاثة للدائيات ... مع أنه لا مجال لإطلاقا للمقارنة ... وهم - أى الفرنسيون - الخاسرون فيها !

وهناك أمثلة مشابهة فى بلدان أوروبية أخرى ، بلجيكا ، لوكسمبورغ ... وغيرهما .

(2) وفى هولندا نجد أن الأسرة المالكة اليوم هى من أصل ألماني ، مثل بريطانيا تماما ، وهذا ... منذ قرون حتى اليوم !

(3) ونفس الشيء بالنسبة لبلجيكا ، منذ أكثر من قرن إلى اليوم !

(4) ونفس الشيء بالنسبة للوكسمبورغ !

(5) وفى السويد : الأسرة المالكة ، منذ أن أسسها المارشال الفرنسى Jean-Baptiste Bernadotte سنة 1818 م ، هى من أصل فرنسى ، إذ أن المارشال برنادوت هذا كان من ضباط نابليون ، ثم تركه وذهب إلى السويد ، حيث اعتلى العرش تحت اسم « كارل الرابع عشر ، ملك السويد والنرويج » ، من سنة 1818 إلى وفاته سنة 1844 . ولد فى Pau فرنسا ومات فى استوكهولم سويدا !

وهكذا ومنذ ذلك الوقت والأسرة التي أسسها هي التي تجلس على عرش مملكة السويد حتى اليوم ... وإن ولية العهد السويدية اليوم ، الأميرة فيكتوريا ، أو أخاها ، الأمير كارل فيليب ، إذا ما جلس أحدهما على عرش السويد غدا ، فستكون - أو سيكون - ابن - أو بنت - الملك غوستاف أدولف السادس عشر ، الفرنسي الأصل ، والملكة سيلفيا ، الألمانية الأصل ، والجنسية ، واللغة ، والثقافة ، حتى الزواج !

6) وأمريكا : فرئيسها فيما سبق ، إيزنهاور ، ألماني الأصل ؛ وكنيدي ، إرلندي الأصل ؛ أما وزيرها ، فيما سبق ، للخارجية ، « العزيز هنري » ، اقصد كيسينغر ، فهو ألماني المولد والأبوين ، مسقط رأسه قرب Fulda ، البلدة الجميلة التي تكلم عنها ابن فضلان في رحلته ، وما أدراك ما رحلة ابن فضلان !

7) وفي اسبانيا : نجد أن الأسرتين اللتين حكمتاها ، وتولتا عرشها أطول عهد ، إلى اليوم ، منذ وفاة إيسابيل ... وقبل وفاة فرناندر ، أجنبيتان :

إحداهما ألمانية ، والثانية فرنسية :

فالأولى ، وهي أسرة شارلكان ، وأولاده ، وأحفاده ، حكمتها منذ أن اعتلى شارلكان ، الإمبراطور الألماني ، عرشها سنة 1516 ، وبقيت في ذريته حتى 1700 ... مدة قرنين تقريبا :

من شارلكان ، إمبراطور ألمانيا ، ملك اسبانيا من 1516 إلى 1556 ؛ ثم ابنه فيليب الثاني ، ملكا لاسبانيا من 1556 إلى 1598 ؛ ثم حفيده ، فيليب الثالث ، ملكا لاسبانيا من 1598 إلى 1621 ؛ ثم ابن حفيده ، فيليب الرابع ، من سنة 1621 إلى

1665 ؛ ثم حفيد حفيده ، كارلوس الثانى ، ملكا لاسبانيا من 1665 إلى 1700 .

والثانية ، الحالية ، فرنسية ، وهى أسرة البوربون ، منذ
أن تولى الملك فيها فيليب دانجو Philippe d'Anjou ، الحفيد المباشر
للويس الرابع عشر الفرنسى ، من ابنه الأكبر le grand Dauphin
الذى مات قبل أن يجلس على العرش سنة 1700 . ولا يزال
العرش الإسبانى فى يد هذه الأسرة الفرنسية الأصل إلى اليوم ،
فى عهد الملك الحالى ، خوان كارلوس دى بربون إلبوربون
Juan Carlos de Bourbon y Bourbon ، مع انقطاع قصير حدث مرتين :
فى عهد نابليون بونابارت (الذى عين أخاه جوزيف بونابارت
ملكاً على اسبانيا من 1808 إلى 1813) ، (وهى ، على كل ،
عائلة الأباطور الفرنسى نابوليون ، أى فرنسية أيضاً) ؛
وفى العهد القصير للجمهورية الإسبانية والحرب الأهلية ، ثم
فى عهد الجنرال فرانكو ، الذى أوصى أمام الكورتيس (البرلمان
الإسبانى) سنة 1969 بإجلاس سليل من أسرة البربون
الفرنسية ، الملك الحالى خوان كالوس دى بوربون ، على العرش
الإسبانى من جديد ، وتم الأمر فعلاً بعد وفاة الجنرال فرانكو
سنة 1975 .

فالأسرة الملكية اليوم فى اسبانيا هى إذن فرنسية الأصل ...
(7) **وفى أنكلترا - وبهذا نكتفى من ذكر الأمثلة ، وفيها أكثر**
من كفاية ! - نجد أن كلا من الشعب - فى غالبيته - واسمه ،
واسم البلاد ، واسم اللغة ، والأسرة الملكية الحالية نفسها ...
كل ذلك من أصل ألمانى مباشر !

(أ) فأما الشعب نفسه ، الذى كان فى الأصل يتكون من
الكلتيين (The celts, die Kelten, les Celtes) — وكان اسم البلاد

التي يسكنها ذلك الشعب الكلتى هو بريتين (Britain)، وباللاتينية بريطانيا Britannia، — فقد غزته فى أواخر القرن الثالث الميلادى موجات من الحملات الجرمانية ، بعضها إسكندناوية ، من يولند (Julland) ، فى الدانمارك ، والأخرى ، وهى أغلبها ، ألمانية ، وبالأخص منها الأنكلز (Angles) ، من منطقة جنوب شليزفيغ Schleswig ، والسكسون (Saxen) ، من منطقة بحر الشمال Nordsee ، فى شمال ألمانيا ، فكونوا من أنفسهم شعبا موحدا تسمى بالأنكلز ساكسن Angles-Saxen ، فى بريطانيا ، وطردوا منها جزءا من شعبها الكلتى إلى المنطقة الغربية من فرنسا ، الأرموريك (L'Armorique) :

ب) فسميت باسمهم بعد وصولهم وأصبحت « بريطانيا (La Bretagne) ، وإن شئت قلت : « بريطانيا الجديدة » ، « وسمح الوافدون الألمان ، وهم الأنكلز والسكسون ، للجزء الآخر من الشعب الكلتى بالبقاء فى الجزيرة ، ولكنهم حصروه وحاصروه فى غرب البلاد ، فى منطقة الكورنواى وبلاد الغال (pays de Galles)؛ ثم غيروا اسم البلاد من بريطانيا (Britain) إلى أرض الأنكليز (Engle-land) ، باسم كبرى السلالتين الجرمانيتين (Angles) ، ثم أدغمت اللام الأولى فى الثانية ، وحذف الحرف الذى بعدها (e) ، فأصبح الاسم England ، أرض الأنكليز ، وبالفرنسية مثلا : Angleterre ، وهى ترجمة حرفية ، وبالألمانية واللغات الجرمانية الأخرى ، الاسكندناوية والهولندية ، مثلما هو بالأنكليزية اليوم : England :

هذا بالنسبة لأصل أغلب سكان أنكلترا اليوم ، وبالنسبة لاسمهم ، واسم لغتهم الجديدة ، English ، وحتى لاسم البلاد نفسها ، الذى تغير فأخذ اسم الشعب الجرمانى الغازى ... England .

ولم يعد اسم بريطانيا إلى الاستعمال إلا بعد ذلك بقرون عديدة ... سنة 1603 ، بعد وفاة إليزابيث الأولى ، بنت هانرى الثامن ، وتولى جيمس الأول ، ملك أنكلترا . ولكن الاستعمال الجارى لاسم تلك البلاد ، بلاد شكسبير ، وبرتランド راسل ، وتشرتشل ... وبلفور ... سواء على المستوى العام العادى ، أو مستوى السياسة الدولية ، ظل ولا يزال ذلك الاسم الذى خلعه عليها غزاتها الجرمان : أنكلترا ، Angleterre, England = أرض الأنكلز = la terre des Angles ، ألا وهم الألمان !

(ج) أما بالنسبة للأسرة الملكية البريطانية اليوم ، فهى أيضا من أصل ألمانى مباشر ، وتسمى فى الأصل أسرة هانوفر ، la Maison de Hanovre ، لأنها جاءت من هانوفر فى ألمانيا ، (وهى المدينة التى يتكلم فيها بأفصح ألمانية ، مثل التورين فى فرنسا ، وفلورانس (فيرنتز) فى إيطاليا) .

بدأ ذلك سنة 1714 ، عندما ورث جورج الأول ، ملك هانوفر ، عرش بريطانيا عن طريق أمه لما مات أبوها ، جيمس الأول ، ملك بريطانيا وإيرلندا ، إذ لم يسمح القانون البريطانى (Act of Settlement) ، الصادر سنة 1701 ، لوارث شرعى كاثوليكي ، بارتقاء العرش البريطانى بعد صدور ذلك القانون ، فكان ذلك لصالح الملك الألمانى البروتستانتى ، جورج الأول ، حتى يحرم الوريث الشرعى البريطانى جيمس ستيوارت James Stuart ، لأنه كاثوليكي ...

وهكذا تولى مكانه جورج الأول الألمانى ، من هانوفر ، الذى ولد فى هانوفر ، فى شمال ألمانيا ، وظل فى هانوفر ملكا لها ، ولبريطانيا وإيرلندا ، - « وكان لا يعرف من أنكلترا ، التى هو ملك لها ، حتى لفتها ، الأنكليزية ، إذ كان لا يتكلم إلا

الألمانية « (380) ! وبقي في هانوفر ، ومات فيها سنة 1727 ،
فخلفه ابنه :

جورج الثاني ، الذى ولد في هانوفر ، هو أيضا ، وورث عن
أبيه عروش هانوفر ، وبريطانيا ، وإيرلندا ، ولكنه ذهب إلى
أنكلترا ، حيث مات في لندن سنة 1760 ، فخلفه ابنه :

جورج الثالث ، الذى ولد في لندن ، وظل ملكا لبريطانيا ،
وإيرلندا ، وهانوفر ، من 1760 إلى أن مات في لندن عام
1820 . وهو الذى عرض على الداي الحاج علي عقد معاهدة
حلف بين الجزائر وبريطانيا ضد أمريكا وفرنسا ، كما سبق أن
ذكرناه في محله ، كما كان على علاقات طيبة جدا مع الداي
محمد عثمان .

ولما توفي جورج الثالث حل محله ابنه :

جورج الرابع ، الذى ولد ومات في لندن ، وتولى عروش
بريطانيا ، وإيرلندا ، وهانوفر ، من 1820 إلى أن مات سنة
1830 ، فجاء مكانه أخوه :

فيلهيلم الرابع ، بالألمانية ، (أو : ويليام ، بالإنكليزية) ،
من 1830 إلى 1837 .

وهؤلاء كلهم كانوا ملوكا لبريطانيا ، وإيرلندا ، وهانوفر .
وفى سنة 1837 ، مات فيلهيلم الرابع ، ولم يترك وريثا ،
فخلفته ابنة أخ له ، حفيدة جورج الثالث :

فكتوريا ، ملكة لبريطانيا وإيرلندا فقط ، « وأمبراطورة
للهند » ، وانفصلت هانوفر نهائيا عن عرش أسرة هانوفر في
لندن ، لأن قانونها البروتستانتي الألماني لا يورث الإناث عرش

(380) Histoire Universelle, Encyclopédie de la Pléiade, vol. 3, p. 246.

البلاد ، ويحرم عليهن ، منذ كلوفيس ، أن يخلفن الذكور على أرض الأسلاف Terra Salica . ولهذا رجع عمها إرنست أغسطس من بريطانيا إلى أرض الأجداد ، ألمانيا ، حيث أصبح ملكا لهانوفر ، على عرش أسلافه ، وبقيت ابنة أخيه ، فيكتوريا ، (المشهورة في تاريخ أنكلترا) ، مواصلة سلسلة ملوك بريطانيا وإيرلندا من أسرة هانوفر الألمانية ، وهى فى لندن ملكة لبريطانيا وإيرلندا فقط ... وعوضت نفسها عن فقدان عرش هانوفر ، مهد أسرتها الألمانية ، بأن لقبّت نفسها « أمبراطورة الهند » ... إلى أن ماتت سنة 1901 ، فى لندن ، فخلفها ابنها من الأمير الألماني ابن عمها ألبرت فون ساكسن كوبورغ غوطا : Albert von Sachsen-Coburg-Gotha ، من منطقة تورينغن Thuringen ، فى ألمانيا الشرقية اليوم ، واسم ابنتها هذا :

إدوارد السابع ، ملكا لبريطانيا ، من 1901 إلى 1910 ، ثم خلفه ابنه الثانى : جورج الخامس ، ملكا لبريطانيا « وأمبراطورا للهند » ، من سنة 1910 إلى 1936 . وهو الذى غير اسم الأسرة المالكة فى بريطانيا من « هانوفر - ساكسن - كوبورغ - غوطا » إلى ويندسور (Windsor) Hannover-Saxen-Cobourg-Gotha . وبعد وفاته خلفه ابنه : سنة 1917 .

إدوارد الثامن ، من يونيو إلى ديسمبر 1936 ، أى أقل من سنة ، لأنه اضطر إلى التنازل عن العرش لمعارضة الكنيسة البريطانية رغبته فى الزواج من أمريكية مطلقة ، فجاء بعده أخوه :

جورج السادس ، من 1936 إلى 1952 . وبعد وفاته ، سنة 1952 ، جلست على العرش البريطانى ابنته :

إليزابيث الثانية ، الملكة الحالية ، التي غيرت سنة 1960 اسم الأسرة من ويندسور Windsor ، الذى كان جدها جورج الخامس أحله سنة 1917 مكان الاسم الذى اختارته الملكة فيكتوريا للأسرة : هانوفر - ساكسن - كوبورغ - غوطا (Hannover-Sachsen-Coburg-Gotha) ، إلى : « ماونتباتن - ويندسور (Mountbatten-Windsor) . وكانت قد تزوجت سنة 1947 بفيليب ماونتباتن ، دوق أدنبره ، الذى هو من سلالة جدتها البعيدة الملكة فيكتوريا ... أى من دم هانوفر أيضا ... الألمانى !

والملكة إليزابيث ، مع إخلاصها طبعاً لبلادها ، وهى ملكتها ، ورئيسة كنيستها ، والمشرقة على منظماتها « الكومونويلث » ، لا تخفى أبداً أصلها ، بل هى متعلقة بمهد أسرتها ، فخورة بمحتدها ، معتزة بمسقط رأس ومنطلق أجدادها : هانوفر فى ألمانيا !

وهكذا لم تتردد ، هى ، وأبوها جورج السادس ، وجدتها الملكة الأم ميري ، عند اختيار الاسم لابنها تشارلز ، ولى العهد الحالى ، والرمز الذى يحمله ختمه ، ويزين خزائنه :

فعند تعميده سنة 1948 وسموه بهذا الشعار - المبين فى الشكل - المكتوب على خزائنه ، وعلمه ، وختمه ، - وباللغة الألمانية ! - :

« إنى فى الخدمة » « Ich dien » ، كما هو واضح فى آخر الأسطر الأربعة بين الصورتين المرفقتين ، ويشير إليه السهمان فى الصورة الأولى . (381)

كما أنها لم تتردد أيضاً طويلاً أمام اختيار الاسم لحفيدها من ابنها تشارلز ، الذى رأى نور الحياة فى يونيو الماضى : فسموه

(381) انظر الشكل رقم : 201 .



Das Wappen des Prinzen von Wales. Unter dem königlichen Löwen und dem Einhorn der Spruch: „Ich dien“



Bef der Taufe von Prinz Charles 1948: Königin Elizabeth, Großvater Georg VI und Urgroßmutter Mary

So bleibt England ewig jung

Das große Fest des kleinen Prinzen. Wie schon sein Vater vor 34 Jahren wird auch der Erstgeborene Prinzessin Dianas, Prinz William, im Musikzimmer des Buckingham-Palastes getauft. Die Feier ist für die Briten mehr als eine kirchliche Zeremonie. Sie ist Teil einer Tradition, die ein stolzes England auch ins nächste Jahrtausend führt

BUNTE

وليام ، وهو اسم أحد أجدادها ، وليام الرابع ، آخر ملك من أسرة هانوفر جمع بين عرش بريطانيا وهانوفر ، المهد الألماني للأسرة ، وعم فيكتوريا ، التي انقطع بها حبل الجمع بين البلدين للسبب الذي ذكرناه !

هل له مغزى ، هل هو رمز ، تعبير عن حنين إلى الأصل البعيد ؟
وإنه لرمز يشرف ملكة بريطانيا حقاً ! (382)

هل شعر الأنكليز ، المعتدون بأنفسهم إلى الحد الذي يعرفه الجميع ، بنوع من الامتناع من الأصل الألماني لأسرتهم الملكية ، ومن هذه الشعارات لولى عهدهم بالألمانية ؟

هل ابتعدنا بهذه « الاستطرادات » عن صميم الموضوع ؟ لا !
إنها ليست استطرادات ، بل هي صميم الموضوع نفسه ! ولو لم أذكر القرون الثلاثة « لدولة الجزائريين » أصلاً ، أو للجزائر في العهد العثماني ، واكتفيت بهذه الأمثلة عن الدول التي ذكرناها ، وخاصة منها فرنسا وأنكلترا ، لكان ذلك أكثر من كاف ، ولأبلغ من كل تعليق ، وأعمق دلالة من كل شرح ، وحاشية ، وتكرار !

فإذا كان هذا هكذا - كما يقول ابن رشد في استخلاصاته المنطقية الفلسفية وبأسلوبه الرائع - بالنسبة لهولاندا ، وبلجيكا ، واللوكسمبورغ ، والسويد ، وأمريكا ، وإسبانيا ،

(382) ولم يفت الألمان أن يسيروا إلى ذلك، ويشيدوا به ، كما نرى من الصورة 201 ، بالنسبة لتعميد ولى العهد تشارلز ، المنشورة في مجلة المانية شهيرة تصدر بهامبورغ !

كما عادوا إلى ذلك ، مرة أخرى ، بمقال طويل عن تعميد ابن ولى العهد ، الوليد الجديد وليام ، بالتواريخ ، والمقارنات ، فى إحدى الجريدتين الألمانييتين الكبيرتين :

Frankfurter Allgemeine Zeitung 29 Juni 1982.

وأنكلترا ، وفرنسا نفسها - فما بال أقوام هناك ، وخاصة هنا - مع الأسف الشديد ! - ، يصرون على إنكار ثلاثة قرون كاملة ، بل وزيادة ، من أمجد عصور تاريخنا العريق وأزهرها ؟

وإذا كنت ادرى ذلك ، بالنسبة للفرنسيين ، بل وللأوروبيين عموما ، والأمريكان ، فإننى لا ادرىه تماما بالنسبة لأنفسنا ، وأتساءل : لماذا لا يزال يصر أيضا - مع الأسف ! - حتى بعض مواطنينا ... على نعت دولة الجزائريين بالدولة التركية ، والعهد التركى ، والسيطرة التركية ، والاحتلال التركى ... ؟

إذا كان منتظرا ، « ومقبولا » ... أن يزور فرنسيون - وغيرهم - تاريخنا ، لنسيان ما حل بهم ، أو مقارنة وضعهم بوضعنا من هذه الوجهة ، - وجهة سيطرة أجنب على قيادة البلاد - ، مع أنه لا وجه هناك للمقارنة إطلاقا ، وإذا ما كان وجه للمقارنة فلصالح الجزائر - فإن الإنسان ليقف محتارا أمام انسياق بعض المواطنين والأشقاء وراءهم فى أكبر عملية تزيف لتاريخ أمة من الأمم ، هى الأمة الجزائرية !

هل هى التبعية الذهنية ، من القوم التبعية ، لأية صيغة تأتى من وراء البحار ... والتعلق بها ، بل والتشبث بخيوطها العنكبوتية الواهية ؟ أم هى المازوخية - هكذا تنطق ، وليس المازوشية ! - التى تدفع بالمصابين إلى تعذيب الذات ، إن كان لجرح إيلام - ولا إيلام ؟

وإن كان يؤلنا أن يعذب بعض مواطنينا أنفسهم ، - حتى لو لم يحسوا بذلك التعذيب - ولا يحسون فعلا ! - ، فإنهم يؤلمونا حقا ، وهم يلوكون تلك السخافات التى تخدش أذاننا ، ويخربشون تلك الترهات التى تجرح أعيننا ، ويشرثرون بتلك الببغاويات التى تستحق الاحتقار ، حقا ، ولكنها مع ذلك تجرح

قلوبنا ، وتصيبنا فى الصميم ، إذ تذكرنا بجهود بغيضة مضت ،
وعقليات كنا نظن أنها اختفت وانقضت ، أم هل خرجت العكرى
من الدار لتمشعش فى بعض المخيمات ؟

هل هى تلك النظرية التى قال بها المرحوم مالك بن نبي ...
نظرية « القابلية للاستعمار » (la colonisabilité) ، التى ناقشته
فيها فى وقتها (سنة 1954) ، فى دار الطلبة الجزائريين بالقاهرة ،
بكل احترام وتجلة ، ولكن أيضا بغاية الحزم ، والانفعال ،
والاندفاع ؟

ولكنى الآن اظن أنه كان له بعض الحق - إن لم يكن كل
الحق - فيها ، رحمه الله ! لا على مستوى الشعب ، طبعا ، ولكن
لدى بعض المخربين والمخربشات ، والثرثارين والثرثارات ،
والمتعلمين والمتعلمات (383) ، لا المثقفين والمثقفات ، وشتان بين
التعليم والثقافة : بل وحتى مجرد الذوق السليم ، فضلا عن
الحس التاريخى الحاد !

هل كانت البلاد مزدهرة

أم تمثل الضعف والإفلاس ؟

4) وماخذ آخر يأخذه « بعضهم » « هناك » ، وأيضا هنا ،
على البدايات ، أنهم « وإن دافعوا عن البلاد ، فلم يفعلوا شيئا
فى المجال الاقتصادى والثقافى ، وكانت البلاد غارقة فى
المستنقعات ، ترسفت فى أغلال وكهوف الجهالة ، ولم تنج من
التعاسة والشظف إلا بفضل ما تدره عليها القرصنة . » ، إذ لم
يكن هناك من عمل ، ولا إنتاج ، فضلا عن « الإنتاجية » ...
هكذا يقولون !

(383) على وزن المتفقيهن والمتفقيها .

ولنبداً بالمجال الثقافي لنقول : إن الدايات ، وإن لم يفعلوا الكثير فى هذا المجال ، حقاً ، لانشغالهم ، فعلاً ، بالدفاع عن البلاد أمام التيار الأمبريالى المبكر ، والمد الصليبي الجارف ، فلم يهملوا إطلاقاً قطاع التعليم والتكوين ، وإن تركوا العبء الأكبر فيه على الشعب بمؤسساته الوقفية ، التى كانوا يعززونها ، ويسهرون عليها ، بل ويشاركون فيها مباشرة ، لا فى تأسيس الجوامع الكبرى ، فقط ، التى كانت فى الوقت نفسه جامعات - ، وقد ذكرنا لذلك أمثلة قليلة ، كنماذج فحسب - ، ولكن أيضاً بإقامة مؤسسات علمية مخصصة لذلك أصلاً ومنشأ . ولنتكف هنا بمثل واحد فقط : القرار الذى اتخذته الداي العالم البطل المغوار ، صاحب السيف والقلم ، محرر وهران للمرة الأولى ، محمد بكداش ، سنة 1119 هـ (نحو 1708 م) ، لفائدة وقف للشيوخ الكتروسي (384) فى مازونة ، وهو معهد علم ، كانت له فيما بعد فعاليته الكبرى ، لا بالنسبة للجزائر وحدها ، بل تجاوز صدها حدود البلاد ، حتى إن كثيراً من الطلبة المغاربة ، خاصة من شرق المغرب ، كانوا يأتون ليدرسوا فيه (385) .

ومما يثلج الصدر أن نرى الأمير عبد القادر ، بحسه التاريخي الحاد ، وروحه المشبعة بمبدأ استمرارية الدولة والأمة ، يجدد هذا الأوقف ، ويستعمل نى الوثيقة عبارة : « وجددنا لهم حكم أوامر المتقدمين » ، وهو يعنى وقت الداي محمد بكداش (386) و (387) .

ولنضف هذا النص للمؤرخ الأمريكى سبنسر :

« إن الجهود الكبيرة التى تم بواسطتها تحويل جزائر القرصنة إلى الجزائر الفرنسية ، بالإضافة إلى القضاء الكلى على دولة

(384) Dr Moulay Belhamissi : Histoire de Mazoune des origines à nos jours, pp. 53-54.

(386) Belhamissi : ibid, p. 73.

(385) انظر الشكل رقم : 202 .

(387) انظر الشكل رقم : 203 .

الحول

۱۰

[illegible]

فصلیہ

[illegible]

محمد دای، عرف بکدانش خوانده
(1708-1707)

Photocopie d'une décision du Dey en faveur de Si Ahmad ibn Khadda al Katrûsi

الجزائر ، لا يجب أن تخفى أبدا الواقع المتمثل فى المساهمات الهامة لتلك الإيالة فى تطور الشمال الإفريقى ومكانته فى البحر الأبيض المتوسط .

« إن الوثائق الرسمية ، الفرنسية والعثمانية بالدرجة الأولى ، تضاف إليها تقارير الزائرين الآخرين ، تعطينا صورة مختلفة للجزائر عما يقال عنها اليوم .

« فكل من شهادات المسيحيين والمسلمين تتفق على إعطاء الدولة الجزائرية علامات مرتفعة (وشهادات عالية) على ما عرفت من الانضباط ، والاستقرار ، واحترام القانون ، والارتباط الاجتماعى ، والمستوى الثقافى الذى بلغته » (388) .

وفى المجال الاقتصادى ، فلئن لم يهتم الدايات كثيرا بمجال الصناعة « الثقيلة » ، معتمدين فى ذلك على ما تقدمه لهم الدول كإتاوة ، إذ كانوا يحرسون على التجهيزات والعتاد البحرى ، مفضلين ذلك على المال - لقد كانت هناك صناعة للحاجات المحلية . ولكنهم اهتموا كل الاهتمام بالزراعة مثلا ، حيث سبق أن رويننا بعض ما ذكره مؤرخون أوروبيون وأمريكان عن تنافس أربع دول على شراء أكبر كمية من القمح الجزائرى ، وهى هولاندا ، واسبانيا ، وأنكلترا ، وفرنسا ... فكنا إذ ذاك نحن الذين نصدر القمح ، والسמיד ... « والفارينة » ... إلى أوروبا ، وليس العكس !

يقول المؤرخ الفرنسى إيفر ووطو :

« ولم تكن الجزائر إذ ذاك (قبل 1830 م) تعطى تلك الصورة التى يحرس البعض على ذكرها عن « فوضى عارمة مطلقة » فيها ، وهو مجرد زعم .

(388) Spencer : ibid, p. 10.

« فقد كانت هناك تقنيات فلاحية متطورة نسبيا ، استمرت
فى الأرياف » (389)

ونعود إلى سبنسر ، الذى هو أوضح وأكمل ، عن الفلاحة ،
والتجارة ، والمالية ، ومستوى المعيشة ، والهندسة المعمارية ،
أو الصناعة التقليدية، أو الحالة الاجتماعية عموما فيقول (390) :

« وقد نتج عن معارك القراصنة امتزاج الأسلوب العثماني
مع المغاربي (الشمال إفريقي) ، والأوروبي ، سواء فيما يتعلق
بالأنماط الاجتماعية ، أو الهندسة المعمارية ، أو المهارات
اليدوية ، وما إليها .

« وإن وجود طريقة منتظمة لجمع الضرائب ، ووجود فلاحه
كفاف فعالة (391)، وكذلك التجارة المنتظمة جدا، وفق القانون،
بالإضافة إلى الفوائد التى كان يجلبها القرصان ، كل ذلك
أدى إلى وجود مستوى عال للمعيشة .

« وأراضيتها ذات تسيير جيد ، وتشكل امتزاجا اجتماعيا
متعاوننا فعالا .

« وهذا كله يخالف تماما الوضعية التى عرفتها البلاد خلال
المائة والثلاثين عاما من المراقبة الفرنسية » (392) و (393) .

ويعود سبنسر إلى موضوع الفلاحة والمالية فيقول :

(389) Egretaud : ibid, p. 43.

(390) ولا نوافقه طبعاً على بعض الألفاظ مثل : إيالة ، قرصنة ، الخ . . .
ولكن نأخذ الإيجابي منه .

(391) وقد رأينا أنها أكثر من « كفاف » : تنافس هولاندا ، وإسبانيا .
وأنكلترا ، وفرنسا على القمح الجزائري مثلا .

(392) Spencer : ibid, p. 12.

(393) من ترجمة الدكتور عبد القادر زبادية .

« ... كانت القوة الجزائرية تعتمد ، زيادة عن نظام حربى فعال ... ، على المؤسسات المالية السليمة .

« ولقد كانت المصادر الطبيعية للدولة تسير فى مثل تلك الطريقة للمحافظة على نظام تجارى مركاتيلى ضمن للجزائر استقرارا فى التوازن التجارى وفى الإنتاج الكافى خلال الفترة السابقة لوصول الأتراك .

« ... وكان هناك فى الوقت نفسه استمرار لتجارة شرعية كانت تقوم على الموانئ الجزائرية لتصدير المنتجات الداخلية إلى الخارج .

« إن مداخل هذه المنتجات الداخلية كانت بالنسبة لازدهار الجزائر فى البحر الأبيض المتوسط فى المقام الأول من الأهمية . وكانت تعتمد على قاعدة من الإنتاج الزراعى الجيد .

« ولقد صمم الحكم « التركى » فى الجزائر ليس فقط على المحافظة على النظام الاقتصادى الذى كان موجودا ، ولكن أيضا على تقويته أكثر .

« وعلى العكس من ذلك كان الاحتلال الفرنسى ، وما تبعه من تهافت الأوروبيين الذين لا أرض لهم ، والحماية غير المستنيرة التى فرضها ، كل ذلك كان يهدف بدقة لتخريب النظام الاقتصادى الذى كان سائدا فى الجزائر قبل 1830 م ، إذ كانت أنظمة استغلال الأرض فعالة ، والإنتاج كافيا لسد حاجات السكان (وأكثر ، كما رأينا) .

« وإن « الركود » الذى اتهم به مؤلفون فرنسيون من عهد متأخر جزائر ما قبل 1830 م ، مثل بوايى (394) ، غير صحيح ،

(394) Boyer : Alger à la veille de l'intervention française.

إذ لم يأخذوا بالاعتبار تلك الغيرة الوطنية والمواظبة على العمل اللتين كانتا لدى الملاكين الجزائريين ، سواء منهم الأتراك ، أو الأهالي .

« أما تحويل الجزائر إلى مستعمرة مرهقة بالديون ، وكل اقتصاصها موجه لصالح فرنسا ، فإنه لم يكن من عمل أولئك الجزائريين ، وإنما هي مهمة ترك إنجازها لفرنسا ...

« إن الحالة المزدهرة التي كانت للزراعة الجزائرية قبل الاحتلال قد شهد بها كثير من الملاحظين .

« فقد علق عليها هايدو Haedo (وهو مؤرخ قسيس اسباني ، كان أسيرا في الجزائر) إثر الذهاب به إلى خارج مدينة الجزائر في إحدى المناسبات ، إذ قال :

« هناك العدد الذي لا يحصى من بساتين الكروم والحدائق المملوءة بأشجار البرتقال ، والليمون ، وبالأزهار من كل نوع ، وعيون الماء الزلال الذي يتدفق بقوة في كل الاتجاهات » (395) و (396) .

كان في الإمكان أن نستغنى عن إيراد جميع هذه النصوص عن ازدهار الاقتصاد الجزائري ، وخاصة منه الفلاحة ، وعن سلامة الوضعية المالية ، بل قوتها ، برمزين اثنين : قمحنا إلى فرنسا ... وقروضنا لها !

ومع ذلك لانتمالك من إيراد مثل آخر ، إلى هذه وغيرها مما لم نذكر ، وهو شعار طالما استعمله الفرنسيون ضدنا ، بل ولا يزالون ، وهو « مستنقعات » متيجة !

(395) Spencer : Ibid, p. 114.

(396) Fray Diego de Haedo : Topographia e Historia general de Argel, Valladolid, España, 1612). بلد الوليد ،

Epitome de los Reyes de Argel

وله كتاب آخر عنوانه :

عن « ملوك الجزائر » (الدايات) .

يقول سبنسر ، راويا عن آخرين :

« إن هذه المنطقة ، التي وصفها العالم الزراعي الفرنسي دى فونتين Desfontaines ، سنة 1873 م ، بأنها « مملوءة بهواء الأمراض المعدية ، وتتخللها في كل الجهات المياه الراكدة ، مكونة بذلك مستنقعات غير صحية ، وأن فرنسا هي التي قامت باستصلاحها » ... كانت في الحقيقة قد تمت زراعتها منذ سنة 1600 م ، من طرف الملاكين الجزائريين ، ... وقد سقيت في كل مكان بعدد من المنابع والسواقي » (397) .

فتن داخلية وحروب أهلية

أم .

تماسك اجتماعي ووحدة وطنية ؟

(5) وآخر مأخذ يسجلونه على جمهورية الجزائر في عهد الدايات أن « عهدهم يتسم بعدم الاستقرار، يسوده الاضطراب، ومملوء بالفتن الداخلية ، بل الحروب الأهلية » !

كيف كانوا ينجزون كل ما أنجزوه ، وكيف كان يمكنهم أن يقابلوا التكتلات والفارات الأوروبية ، التي انضمت إليها فيما بعد حتى الأمريكية ، لو لم يكن الشعب متماسكا ، متحدا ، وراعهم ، ولو لم يسانداهم بكل ما لديه من أرواح وأموال ؟

فلنجنب عن هذا الهراء بهذه الفقرات من سبنسر ، ولنغلق بها باب الاتهامات والمآخذ ، لنأتي على خلاصة هذه الدراسة كلها ، ثم الختام :

(397) Spencer : ibid, p. 115.

يقول المؤرخ الأمريكي المذكور :

« إن قدرة الإيالة (The Regency) الجزائرية على تحدى القانون السياسى (الأوروبي) المتعارف عليه (فى أوروبا ولصالح أوروبا !) مدة تلك العهود الطويلة ، تبين لنا بشكل واضح ليس فقط فعاليتها كدولة ، ولكن أيضا قوة تماسكها الاجتماعى .

« وباستثناء النزول غير المنتظم لقوات اسبانيا على شواطئها فى فترات متقطعة ، فقد ساد الهدوء الداخلى دولة القراصنة ، وظل كذلك قائما طيلة ثلاثة قرون متوالية » (398) .

الخلاصة عن :

شخصية الجزائر الدولية وهبتها العالمية :

بعد أن عرضنا النقاط الأساسية من العنصر الأول لهذه الدراسة ، « شخصية الجزائر الدولية وهبتها العالمية قبل 1830 م » ، وثنيها ، ولكن بتفصيل ، بالعنصر الثانى : « علاقات الجزائر إزاء بالخلافة العثمانية ، وأوروبا ، والولايات المتحدة الأمريكية » ، نود الآن أن نعود ، بإيجاز ، إلى العنصر الأول لنفيه حقه ، ولكن بتلخيص وتركيز ، بقدر الإمكان :

ليس المقصود بهذه الشخصية الدولية ، والهيبة العالمية – ولا بالعنصر الثانى : العلاقات مع الدنيا – أن نبرهن على وجود دولة جزائرية قبل 1830 م ؛ وعلى أنها كانت لها حكومة ... وعلم ؛ وكانت تسك العملة؛ وتقيم العلاقات الدبلوماسية، وتبعث بسفراء إلى دول ، وتتلقى منها آخرين ؛ وتعلن الحرب ، وتعقد السلم ، وتمضى المعاهدات ...

(398) Spencer : ibid, p. 12.

فقد كان للجزائر كل ذلك ، ولكن كل ذلك شيء عادي بالنسبة إلى أية دولة ، وقدر مشترك بين جميع الدول ، الكبرى منها ، والكبيرة ، والمتوسطة ، والصغيرة ... بل والصغرى ، وليس في هذا من تميز دولة عن أخرى ، فضلا عن الامتياز !

الجزائر في قمة الدول العظمى :

فلقد كانوا يميزون إزاء ذلك بين الدول الكبرى أو العظمى (399)، les puissances ، والدول الصغرى أو الثانوية (les Etats secondaires).

والجزائر لم تكن فقط دولة ؛ ولم تكن فحسب دولة عظمى grande puissance ، بين الدول العظمى ؛ بل كانت في قمة الدول العظمى Super-puissance ، وهذا هو ما أردنا بيانه وتأكيد بهذه المحاولة !

وحتى السفراء والمبعوثون الذين يرسلون إلى دايات الجزائر من رؤساء دولهم كانوا يستشعرون ذلك عند بدء مهمتهم ... ويقول المؤرخ الأمريكي بارنبي ، « إن الأمريكيين ، عندما يرسلون مبعوثا أو سفيرا إلى الجزائر ، يهنتونه ، ويملقون فيما بينهم على تلك المهمة بقولهم :

« إنها مهمة سامية حقا ، إنها لسفارة كبرى ، إنه لمنصب رئيسي » « a senior appointment » (400) ، كما يقال اليوم تماما ،

(399) وليس « الأعظم » ، كما يخربش مخربشون ، مقلدين في ذلك محمد حسنين هيكل ... « الدولتان الأعظم » ... لا ، يا عم ! الصحيح أن يقال : « الدولتان العظميان » ، حسب نحائنا العظام والصغار ، من سيبويه ، السيد الأعظم ، في « الكتاب » بحق ، إلى علي الجارم في نحوه الواضح ، والواضح بصدق . وساكون شاكرا لكل من سينبهي إلى أخطائي ، وما أكثرها ، لا شك ، على لغة تمقام آخر : جار الله الزمخشري !

(400) Barnbay : ibid, p. 305.

فى أية وزارة خارجية فى العالم ، لأى سفير يبعث إلى أية عاصمة من عواصم الدول العظمى اليوم ، مهما كان حجم الدول التى تتبعه ، حتى لو كانت دولة عظمى أخرى :

« إنها حقاً لسفارة ! وإنه لمنصب ! » ، أو ، كما يقال فى بعض البلدان الشقيقة : « منصب معتبر ! » مع مد لا بأس به على الباء ، ويهنا السفير المعنى بهذه « الترقية » ، وتلك « الثقة » من رئيس الدولة ، وبذلك « الاعتبار » من الجميع !

فهذه الهيبة العالمية prestige international تكمن وتظهر فى جوانب أخرى أيضا .

وقبل أن نعرض بعض تلك الجوانب ، لابد من ملاحظة منهجية ، مبدئية ، بديهية ، وهى أن الموضوع يشمل جانبين : المقدمات والنتائج ، أو الأسس التى تقوم عليها هذه الهيبة ، والمظاهر التى تتجلى فيها .

وبعض تلك الأسس قد سبق لنا أن عرضناها ، وهى شعور الأمة بالخطر ؛ وازدهار الاقتصاد ، من فلاحه وتجارة ، « بفضل حب العمل والمواظبة » ، كما يقول سبنسر ؛ وصحة الأوضاع المالية ، « بفضل سلامة التسيير المالى ودقة ضبطه » ، كما يقول نفس المؤلف ؛ وقد عرضنا كل ذلك ، وذكرنا صفحات المراجع .

ويضيف سبنسر إلى هذه العناصر كلها ، التى ذكرها هو وغيره ، عناصر أخرى جديدة ، أو معززة لما سبق أن ذكره ، فيقول مثلاً عن عمق الإيمان ، وقوة روح الفداء ، مما جعل من الجزائر ميدان الجهاد ، ومدرسة الاستشهاد ، ممثلاً لذلك بالداى محمد عثمان :

« توفى الداى بابا محمد عن واحد وثمانين عاماً ، بعد حكم هادىء استمر أربعاً وعشرين سنة . وكان فى مراسلاته يشير

بانتظام إلى « مدينة الجزائر ، دار الجهاد المستمر ضد
الكفار » (401)

ثم يقول عن وحدة الأمة وتماسكها ، زيادة عما سبق أن
أوردناه عنهما :

« وقد أظهرت الوقائع المؤكدة أن مختلف الحملات الأوروبية
التي شنت على الجزائر قد أثبتت عجز السياسة الخارجية
الأوروبية (بالمعنى الجماعى) حينما جوبهت بأمة قوية فى
الداخل ، متحدة ، مصممة . وإن فشل حملة شارلكان التخريبية
سنة 1541 لمثل لذلك الفشل الأوروبى » (402)

وأساس آخر من أسس تلك الهيبة والمهابة هى استعمال
التكتيك :

« ... وقد أعطت الجزائر مثالا ممتازا للفعالية فى استعمال
تقنية سياسية هى تفريق الدول الأوروبية ، حين تستعمل هذه
التقنية بصورة دقيقة فى مجال المعاملات الدولية . وهو ما يتمثل
فى قدرتها على مواجهة أعدائها وهم متفرقون ، وكان فى
إمكانهم التغلب عليها فيما لو اتحدوا » (403) . (وقد اتحدوا فى
بعض الأحيان ، وجاءوا متحدين ... ولم تجد محاولاتهم).

ثم يعود سبنسر إلى نجاح الدبلوماسية الجزائرية فيؤكد
ويقول :

« لقد كانت استراتيجية الجزائر تجاه أوروبا هى منع أى
تجمع للمناهضين الأوروبيين الأقوياء حتى لا يتلاقوا ضدها .

(401) Spencer : ibid, p. 179.

(402) Spencer : ibid, p. 149.

(403) Spencer : ibid, p. 12.

« وقد اتبعت هذه الاستراتيجية بمختلف الأشكال ، مثلا بمطالبة بعض الدول بالجزية المنتظمة؛ والمعاملة المتميزة لأخرى فى التدابير المتعلقة بإطلاق سراح الأسرى حسب الجنسية التابعين لها ؛ وباختيار أهداف القرصان ؛ إلى اتفاقيات السلم الرسمية » (404).

ثم يعود أخيرا إلى عاملين حربيين فعالين فى قدرة الجزائر على رد أوروبا ، بل والتغلب عليها ، فيقول :

(1) « وكما يتوقع الإنسان من دولة قوية قد تأكدت مكانتها كدولة بحرية ، فإن تطبيق سياسة خارجية ناجحة كان يعتمد كليا على الأسطول .

» وإنها لحقيقة غريبة أن هذا الأسطول قد مر بتغيرات ضخمة سواء فى حجمه ، أو سلاحه ، أو فعاليته :

« وقد كان واضحا للجميع أن قدرة الجزائر على ضرب أساطيل الأعداء كانت فى غاية الاعتبار » (405).

(2) والعامل الحربى الثانى ، حسب سبنسر ، يوضحه بقوله :

« ولكن مفتاح الدفاع عن الجزائر ، كما كان دائما ، هو استحكاماتها وبنادقها » (406) .

كل هذا : الإيمان ؛ وروح الجهاد والاستشهاد ؛ وقدرة الأسطول على الضرب التى كانت فى غاية الاعتبار . والاستحكامات والبنادق ؛ أسبغ على الجزائر ، كما يقول سبنسر ، « حصانتها الغيبية الشهيرة ، التى خلبت بها الكثيرين جدا من زائريها على مر السنين » (407) .

(404) Spencer : ibid, p. 140.

(405) Spencer : ibid, p. 140.

(406) Spencer : ibid, p. 151.

(407) Spencer : ibid, p. 151.

هذه كانت إذن الأسس التي قامت عليها هيبة الجزائر العالمية. والآن نود أن نعرض بعض جوانب تلك الشخصية الدولية *personnalité internationale* لا بالمعنى القانوني، المتمثل في الدولة، والاعتراف بها من الدول، وتبادل العلاقات الدبلوماسية، وعقد المعاهدات معها... الخ، (مثلا مع أمريكا، التي جاءت متأخرة إلى المنصة الدولية: ثلاث معاهدات؛ ومع أنكلترا: ثماني عشرة معاهدة... ومع فرنسا سبعين معاهدة!)، مما عرضناه في إطاره، وقلنا إنه شيء عادي، وقدر مشترك بين جميع الدول؛ ولكن بمعنى السمعة الدولية؛ بمعنى صدى صوتها، أو تقدير كلمتها قبل أو دون أن تفوه بها؛ وبمعنى قوة الشخصية؛ وبمعنى الوجود المتميز البارز؛ وبمعنى الإشعاع الخارجي الواسع؛ وبصيغة واحدة تستعملها الخاصة، وتفهمها العامة عندنا بمعناها الفصيح، وتفهمها العامة عند غيرنا بلفظها الأوروبي المشترك: الهيبة العالمية *le prestige international*!

إن تلك الهيبة تتجلى في أن الدول الكبرى، في ذلك الوقت، إذ كانت تحيك المؤامرات ضد الجزائر؛ وتحبك المناورات خلفها؛ وتدبر التكتلات ضدها؛ وتقوم بالغارات المفاجئة الفدارة عليها؛ ولا ينفعها ذلك كله، «تبتلع إهاناتهما» لها؛ فتدفع لها الضرائب الباهضة، بل وتحاول التقرب منها أكثر؛ فتخطب ودها وتتودد إليها لتسترضيها؛ وتستنجد بعضها بالأخرى للتوسط لديها؛ وعندما لا ينفعها ذلك؛ تهرع إلى الخلافة العثمانية، علها تتدخل أو تنفع شيئا لديها؛ وعندما لا يجديها ذلك كله - وكان لا يجدي! - ترضخ لإرادتها (إرادة الجزائر)؛ وتقبل بأحكامها؛ وتدفع حتى الضرائب الباهضة لها (408)، مقابل حماية سفنها

la Toscane, Venise et Raguse ne payaient pas de tribut, mais donnaient des présents en numéraire ou en nature, également tous les deux ans, sans compter tous les cadieux de joyeux avènement. On devait en offrir encore au commencement de l'année, aux fêtes du Beïram, et chaque fois qu'il s'agissait de traiter une affaire. La plupart des avances faites aux agents européens n'avaient pas d'autre but que de favoriser les mutations de personnel, afin de participer plus souvent à la curée. Fraissinet, Consul de Hollande, Ulrich, Consul de Danemark, furent mis tous deux à la chaîne pour un léger retard dans l'envoi de leurs cadeaux. Le Chargé d'affaires de Napoléon, Dubois-Thainville, après avoir évité pendant dix ans de se conformer à l'usage, se vit forcé de dépenser 160 000 francs en 1811, suivant une liste fournie par le Dey lui-même. L'évacuation d'Oran coûta 180 000 francs à l'Espagne, la cession de nos anciennes Concessions à l'Angleterre, de 1807 à 1816, 350 000 francs de redevance annuelle. La Sardaigne fut obligée d'acheter un traité de paix 216 000 francs en 1764; la Hollande dut apporter ses munitions de guerre, en 1680, « proprement enjolivées et enrubannées ». Enfin dans la seule année 1807, le Divan extorqua 40 000 piastres au Portugal, 12 000 à l'Espagne, 10 000 à l'Angleterre, 100 000 aux États-Unis, 50 000 à l'Autriche, 40 000 à la Hollande. Les villes hanséatiques s'étaient soumises aussi au régime des présents. Hambourg et Brême envoyaient à Alger des munitions navales et du matériel de guerre. L'Autriche et la Russie, profitant du voisinage de la Turquie, refusèrent toujours le tribut, mais le Gouvernement pontifical, accusé de ne rien donner, dut souvent recourir aux bons offices de la France pour protéger ses marins¹.

L'Europe finit pourtant par se lasser d'un pareil joug. La France éleva la voix la première pour s'y soustraire, et un moment l'on put croire qu'elle s'entendrait avec la Russie pour anéantir les Barbaresques. Montlosier, encore émigré en 1799, avait à cette époque supplié Napoléon « d'effacer cette honte des nations civilisées », et d'Hauterive, du fond de sa « chartreuse des Archives des Affaires étrangères », comme il aimait à désigner son poste, avait compulsé savamment tous les mémoires sur l'esclavage et sur la piraterie, afin de décider

1. Voy. t. II, p. 461.

E. Plantet: Correspondance

من سنن دول أوروبية أخرى في تلك البحار المضطربة الأمواج
أو، بتعبير أدق : تلك المستنقعات الآسنة بالقرصنة الأوروبية...
التي مارسها حتى الثورة الفرنسية - وبمرسوم منها ، كما
رأيناه في محله - !

فلقد كانت « تلك الضرائب السنوية المهيمنة التي كانت
تدفعها ثلاثة أرباع أوروبا ، بل وحتى أمريكا » (409) ، في
الحقيقة والواقع مجرد مساهمة منها في التكاليف التي كانت
الجزائر تتجشّمها لضمان حرية الملاحة في البحار ، بطلب من
تلك الدول نفسها ، وبدافع من روح المسؤوليات الدولية
للجزائر على تلك البحار ، وخاصة منها البحر الأبيض المتوسط ،
بحرها ، عليها حراسته ، والسهر على سلامة الملاحة فيه ، لأنها
منه هوجمت سنة 1505 م ، وظلت تهاجم من الدول المسيحية
وكتلها بنداعات من الباباوات إلى شن حروب صليبية جديدة
متواصلة ضد الجزائر ، وبقية البلدان المغربية الشقيقة ، بل
« وإفريقيا كلها والكفار » (أى المسلمين) ، كما أوصت بذلك
إيسابيل الكاثوليكية !

ويقول بلانطى :

« إنه لا ينبغي اعتبار تلك الضرائب عبئا مفروضا ، بل
كانت ثمن حرية البحر الأبيض المتوسط ، والعامل الرئيسى
على أرباح الملاحة فيه » (410) .

وقد سبق أن رأينا أن الدايات كانوا يحرسون على أن تكون
تلك الضرائب لا بالمال ، بل بالتجهيزات البحرية والعتاد الحربى
فى الدرجة الأولى .

(409) De Grammont : ibid, p. 1 de l'Introduction.

(410) Plantet : Les Consuls français, p. LXI.

وذلك أن الدولة الجزائرية كانت أقوى حتى من الخلافة العثمانية ، التي كانت قد بدأت فى الضعف والترهل - مع الأسف ! - مبكرا ، إلى أن أصبحت فى عهدها الأخير ، بل وحتى قبل الأخير ، تلقب بـ « الرجل المريض » ، بينما الجزائر إذ ذاك - لحسن الحظ - كانت قد بلغت أوج قوتها ، وتسلمت ذروة مجدها ، وتسمنت القمة ، ولذا بقيت مدة هى القوة بالنسبة لكل من الخلافة العثمانية ، وأوروبا المتكتلة ، بل وحتى لأمريكا فى عهدها الأول ، كما ذكرنا .

ويلخص لنا المؤرخ الأمريكى سبنسر ذلك كله فى كتابه الذى استفتحه ، منذ الصفحة الأولى ، بعد المقدمة ، بقوله :

«لم تكن مدينة الجزائر مرعبة للأمم والشعوب المسيحية أكثر من رئيسها الأسمى ، الباب العالى ، فقط ، بل استمرت أيضا توحى بجو من الإجبار ، والرغبة ، والجلال ، خلال الفترة الطويلة لتدهور الخلافة العثمانية .

« إن مدينة الجزائر ، كعاصمة لدولة مستقرة قوية فى شمال إفريقيا ، قد مثلت ، ومعها وإلى جنبها تونس وطرابلس ، القوة الإسلامية العثمانية القاطعة المنهمكة فى مقارعة الصليبية ، كالشفرة الحادة النافذة بعمق فى العالم المسيحى » (411) .

ومن هنا كانت الجزائر فى المصاف الأولى للدول الكبرى ، عزيزة الجانب ، وأدنى خطوة منها لها صداها وأى صدى ، وقولها هو القول الفصل !

وقد كانت كل من الدول الأوروبية وأمريكا تتابع بأقصى العناية وغاية الاهتمام كل ما يجرى بين الجزائر وغيرها من الدول ، إذ كانت الجزائر المقياس للقوة إذ ذاك ، فتصرف الدول

(411) Spencer : ibid, p. 7.

حسب ذلك ... أخذة ذلك. بالاعتبار ، وحاسبة له حسابيه ،
ومقدرة إياه حق قدره .

وها هما مثلان اثنان ، يقول إروين :

« كانت دول الدانمارك ، والبندقية ، وبريطانيا ، وفرنسا ،
تتابع باهتمام مساعي أمريكا لعقد معاهدة سلم وصداقة مع
الجزائر ، فعملت على إحباطها. وذلك لأن الجزائر إذ ذاك ما كانت
تعقد معاهدة سلم مع دولة ما إلا لتتفرغ لشن حرب على دول
أخرى » (412).

ونحن وإن كنا لا نصدق في عدوانية الجزائر ، إلا أن هذا
يعطينا صورة عن هيئة الجزائر وقوتها .

« وقد كتب أوبراين O'Brien ، المبعوث الأمريكي الخاص إلى
الداي حسن سنة 1791، يقول :

« إن شؤون أعدائنا الثلاثة : الفرنسيين ، والإسبان ،
والأنكليز في الجزائر مضطربة ، وبذلك تضعف نفوذهم .

« إن فرنسا كادت تفقد مؤخرًا معاهداتها مع الجزائر . كما
أن شؤون بريطانيا في الجزائر مضطربة للغاية . أما إسبانيا
فستواجهها صعوبات كبيرة في المحافظة على المعاهدة التي عقدتها
مع الجزائر سنة 1786 » (413).

كما ذكرنا عدة أمثلة - وأمثلة فقط ، وليست مستقصية
للموضوع - للنفارات التي قامت بها أوروبا - ثم أمريكا - ،
منفردة حينًا ، أو مجتمعة متكثلة على المستوى الأوروبي ، في
كثير من الأحيان ، وبنداءات ومباركة ، بل ومشاركة أيضا ،

(412) Irwin : ibid, pp. 86-115.

(413) Irwin : ibid, pp. 86-115.

من البابوات - مثل غارة شارلكان ، وغارتى بارثيلو ، وغيرها ، انضمت إليها أمريكا فيما بعد ، مثل الكتلة السباعية : الدانمارك ، وهولاندا ، وبروسيا (ألمانيا) ، وإيطاليا ، واسبانيا ، وروسيا ، وأمريكا ، التي أعلنت مجتمعة حربا بحرية على الجزائر سنة 1814 (414) !

وهذه الدول كلها بحرية قوية ، انضمت إليها انكلترا سنة 1816 !

وهكذا تحقق حلم كثير من هذه الدول الأعضاء فى كتلة السبع الدول ، وخاصة منها أمريكا ، التى كانت تأمرت وناورت مدة طويلة ، وحاولت ، لدى أغلب الدول الأوروبية ، الصغيرة منها ، مثل البندقية ، والدانمارك ؛ والمتوسطة ، مثل إيطاليا ، وهولاندا ؛ والكبيرة ، مثل اسبانيا ، وفرنسا ، وروسيا التى أرسل جورج واشنطن مبعوثه الخاص ، دينا Dana ، إلى عاصمتها إذ ذاك ، سان بيترسبورغ St Petersburg ، (لينينغراد الحالية) ، ليقنع قيصرتها ، كاثرين الثانية ، بالانضمام إلى حلف أوروبى - أمريكى ضدنا (415) !

ثم تلت هذه الحرب - كما نعلم - مؤتمرات - بل مؤامرات فيينا ، وباريس ، وأخن Aix-La-Chapelle ، التى كانت الجزائر فى جميعها على جدول الأعمال !

هل كل هذا أعد ضد بقعة تمحق ، أو نملة تسحق ؟ هل تجتمع الأسود ، والنمرة ، والدببة ... وتضم إلى اتفاقها حتى الذئب ، والثعالب ، والضباع ، والقنافيد ، لتنقض كلها مجتمعة على أرنب أو قط ؟

(414) Irwin : ibid, p. 245.

(415) Dupuy : ibid, p. 17.

هل يمكن أن تتكتل اليوم جميع الدول الكبرى ضد إيسلندا،
أو ليكتنشتاين ، أو أية دولة صغيرة أخرى، ومنها من هي أصغر
من هاتين الدولتين ؟ بل وحتى ضد دولة كبرى مثل أنكلترا ،
وفرنسا ، نفرض هذا جدلا ، طبعاً ؟

إن تحالف الدول الأوروبية الست : إسبانيا ، وإيطاليا ،
وهولاندا ، والدانمارك ، وبروسيا (ألمانيا) ، وروسيا مع
أمريكا ، وهى السابعة ، لشن حرب بحرية سنة 1814 ضد
الجزائر ؛ وتحالف الدول الست عشرة (16) سنة 1818 ضد
الجزائر خاصة (كما يقول دوغرامون ، حيث يقول النص :
« ضد البربروسيين » (أى الجزائريين ، والتونسيين ، والليبيين) ،
ثم يؤكد نصا وتصريحا : « وخاصة ضد الجزائريين » (416)
(417) « en particulier des Algériens ») ، وهى : أنكلترا ، وفرنسا ،
وبروسيا (ألمانيا بالعاصمة برلين) ، وروسيا ، والنمسا ،
وإسبانيا ، والبرتغال ، والدانمارك ، والسويد ، وهولاندا ،
وحدة دون أخرى إيطالية وألمانية قبل وحدة البلدين ، نقرئ
إن هذين التحالفين – أو هاتين الكتلتين الهائلتين – من الدول
ضد الجزائر ليدلان على شئ : يدلان وحدهما على مدى شخصية
الجزائر الدولية وهيبتها العالمية إذ ذاك ! هل هناك أبلغ من
هذين الحدثين على صدق عنوان هذه الدراسة ؟

ما كان ذلك إلا لأن الجزائر كانت من كانت ... كانت
الجزائر ! وكان دأياتها أشجع من الأسود ، رابضين ، مستعصمين
فى رباطهم : القصبه المنيعه الحصينة – أدامها الله ! – ، فى
حالة استنفار دائم ، وباستمرار على أهبة واستعداد ؛ ولأن قادة
بحريتها وجيشها كانوا وراءهم منضبطين ، رمزهم الفداء ،

(416) E. Plantet : Les Consuls de France à Alger avant la conquête (1579-1830),
p. LXXIII.

(417) انظر الشكل رقم : 205 .

qu'il blessât la dignité de la France, à qui sa situation ne permettait pas alors de prétendre au premier rang dans l'association. Il éluda, en conséquence, les propositions de Lord Castlereagh, et demanda qu'on intervint directement auprès de la Porte, pour faire rentrer ses vassales dans les limites du droit des gens.

Les Conférences, suspendues pendant plus d'une année, furent reprises au mois de janvier 1818. L'Angleterre déclara son intention de séparer les deux questions pour s'attacher exclusivement à celle des Barbaresques; la Russie demanda également cette séparation, et fit remettre un mémoire où l'on insistait sur la nécessité d'une expédition navale des Puissances coalisées. Elle demanda qu'on s'assurât au préalable de l'impuissance où se trouvait la Porte de faire prévaloir ses droits de suzeraineté. L'Autriche et la Prusse se rangèrent à cet avis, mais le Cabinet de Londres fit entendre qu'il verrait avec plaisir adopter son projet de ligue.

Quelques mois après, la discussion fut reprise au Congrès d'Aix-la-Chapelle. On reparla du plan élaboré aux Conférences de Londres ¹, et l'on invoqua l'opinion du baron de Humboldt, qui, dans la Diète de Francfort, en décembre 1817, avait réclamé un engagement général de l'Europe contre les agressions des Barbaresques (et en particulier des Algériens). Le duc de Richelieu proposa, au nom de la France, une alliance défensive de toutes les Puissances, et soumit à l'assemblée une nouvelle combinaison d'armée navale formée des contingents des nations intéressées. Les États qui devaient y prendre part étaient l'Angleterre, la France, la Prusse, la Russie, l'Autriche, l'Espagne, le Portugal, Naples, la Toscane, la Sardaigne, les États romains, les villes hanséatiques, le Hanovre, le Danemark, la Suède et les Pays-Bas. Metternich, Ministre d'Autriche, vit des inconvénients à toute expédition ayant un caractère militaire: Le comte Capo d'Istria, au nom de l'Empereur Alexandre, déclara que faire perpétuellement la police dans la Méditerranée n'était pas un résultat proportionné aux désirs du Congrès, et qu'il fallait arriver à mettre les Régences hors d'état de nuire, au premier acte attentatoire aux droits des nations chrétiennes.

¹ Voy. *Projet de ligue contre les Barbaresques* (Archives des Affaires étrangères, Alger). — Voy. aussi *Recherches pour servir à l'histoire et à l'extirpation des pirates barbaresques*, par Azuni (Genève, 1810).

والجهاد ، والاستشهاد ؛ ولأن شعبها كان متحدا ، متماسكا ،
عاملا ، نشيطا ؛ واقتصادها كات مزدهرا قويا ، وكل هذا أضفى
عليها هبة عالمية جعلها مرني الأنظار (418) ، وصوتها مدويا في
كل مكان ، وكلمتها ليست فقط مسموعة ، بل لها وقع وأى وقع ،
بل وحتى صمتها يحسب له ألف حساب !

يقول سبنسر : (419)

« وربما كان مفتاح عظمة الجزائر في عصر القرصنة يكمن
في الوضعية الجذابة الخاصة بها .

« فقد كانت تبرز صورة وحيدة من نوعها في تاريخ البحر
الأبيض المتوسط .

« وقد أعطى أحد نبلاء فرنسا ، دو غرامى ، وهو فى طريقه
سنة 1619 إلى اسطنبول فى مهمة رسمية ، انطبعا حيا عن تلك
الجاذبية التى كانت لمدينة الجزائر فى عز قوتها ، فيقول :

« مدينة الجزائر ، ذلك السوط المسلط على العالم المسيحى !

« إنها رعب أوروبا ، ولجام إيطاليا واسبانيا ، وصاحبة
الأمر فى الجزر » (420) .

ثم يستأنف سبنسر :

(418) يقال عادة محط الأنظار ، وأفضل أن انحت اسم مكان من الفعل رنا يرنو،
أى نظر إلى فوق ، إلى أعلى . . . واشتق اسم المكان من فعل متعد بحرف
جر ، كما يقال مضرب الأمثال ، أى يضرب به المثل .

(419) نكرر ذكره ، ونلح عليه ، لأنه آخر كتاب صدر عن مؤرخ أمريكى فى
الموضوع ووقع بأيدينا ، والفضل يرجع للدكتور زبادية ، الذى أتى به
من أمريكا وترجمه .

(420) Jean-Baptiste de Gramaye : Les cruautés exercées sur les chrétiens en la ville
d'Argier en Barbarie. Paris, 1620.

« وإن عجز الأوروبيين عن النيل من الجزائر بالقنبلة البحرية
قد ساعد المدينة على الاحتفاظ بذلك الحمل العجيب الثقيل
عليهم ، المرهق لهم .

« أما بالنسبة للحكام الأوروبيين ، فإن رؤساء دولة الجزائر
ظلوا دائما : « السادة الأمجاد العظام »

(« Très Illustres et Magnifiques Seigneurs »)

وعاصمتهم « المحروسة جدا » : « Alger la bien gardée » ، و « دار
الجهاد الدائم ضد الكفار » (421) :

« Théâtre de la guerre » ; « l'Imprenable ville
et Royaume d'Alger » ; « la puissante ville et Royaume d'Alger ».

(والصيغ المختلفة – مترجمة فقط ، مع الأسف – المستعملة
في الرسائل والمعاهدات هي :

« Dey de la ville et République d'Alger » .
« A Alger, le centre de la victoire et de la guerre contre les infidèles » ;
« Alger, la bien gardée, place de la guerre » ; « A Alger, la ville des soldats
vrais croyants » ; « Alger la bien gardée, asile de la guerre sainte » ;
« Alger, centre de la guerre » ; « le refuge de la guerre sainte contre les
infidèles, à Alger la bien gardée » ; « Alger, séjour du combat contre les
infidèles » ; « la ville bien gardée d'Alger, le centre de combat » ; « Alger
la bien gardée, séjour de la guerre sainte contre les infidèles » ; « Alger,
le centre de la guerre contre les infidèles » . (422).

وبقيت هذه الصيغ مستعملة ، – وكان الداى محمد عثمان
يستعملها في أول الرسالة وفي آخرها – حتى عهد الداى عمر ،
الذى كان أيضا يستعملها ؛ ولم نجد رسائل الداى علي خوجة ،
ولكن الداى حسين – الأخير – ألفاها جميعها ، وكان لا يستعمل
إلا اسم الجزائر ، بدون أى وصف ، ولا بدل ، ولا عطف بيان ،
ولا « حاجة » ! : وميزان القوى تغير !

ولنضف هنا أن إحدى هذه الصيغ كانت تستعمل أيضا في
خاتمة نصوص المعاهدات .

(421) Spencer : ibid, p. 11.

(422) Pianton : Correspondance.

ومن منطلق القوة هذا ، مع شعور عميق بأداء رسالة ، وعبء
المسئوليات الدولية الملقاة على عاتقها - زيادة عن حماية نفسها -
لحماية الضعيف من القوى ، بل وأحيانا القوى من قوى آخر ،
في ذلك المستنقع الآسن الذى كان يمثل البحر الأبيض المتوسط ،
بل وأحيانا أيضا فى غيره من البحار ، بل والمحيطات ، كانت
الجزائر تعتلى المنصة .

وهكذا يقول لنا سبنسر :

« وأخيرا ، فإن الجزائر ، فى أوج قوتها ، قامت بمبادرات
جديدة فى قضايا البحر الأبيض المتوسط ، سواء بالنسبة
للأوروبيين ، أو للحكومات التابعة للخلافة العثمانية » (423) ، إذ
« لم يكن أى حدث أو حادث يقع فى حوض البحر الأبيض
المتوسط بدون أن تشارك فيه البحرية الجزائرية » :
« Aucun évènement ne se passait dans le bassin méditerranéen sans que
la marine algérienne y prît part ». (424).

نعم ، فلقد حمت الجزائر ، بفضل قوة أسطولها ، وهيبتها
العالمية ، شطوط بلاد شقيقة عديدة ، إذ ردت عنها غارات
وأطماع إسبانيا والبرتغال وهما فى أعز مدهما الصليبي
الأميريالى الجارف ، فحدث بذلك من الخطر ، ومنعت تجدد
مأساة الأندلس فى بلدان المغرب ، بل وإفريقيا الإسلامية أيضا ،
إذا ما لم ننس وصية إيسابيل (بالإسبانية : Isabel)
الكاثوليكية !

عندما بدأت الأندلس تحتضر ، قال عنها الشاعر الأندلسي
الفحل أبو الطيب صالح بن شريف الرندي ، ناعيا إياها بخالدته :
لكل شيء إذا ما تم نقصان ...

(423) Spencer : ibid, p. 12.

(424) Galibert : ibid, p. 198.

ولئن لم تصل الجزائر ، وشقيقاتها فى هذا المغرب الواحد - الأقصى منه ، والأوسط ، والأدنى - ، بل وافريقيا الإسلامية كلها ، إلى هذا الدرك الأسفل من الامحاء والذوبان ، فقد كانت مع ذلك - وأخواتها معها ! - على شفا جرف هار كاد ينهار بها ، عندما « زارها » « الأب » خيمينيث ... سنة 1505 م ... يهددها ، زاعما أنه ملحق إياها بالأندلس ... فدعت الجزائر الإخوة الأربعة : عروجا ، وخير الدين ، وإسحاق ، وإلياس ، الذين التف حولهم الشعب الجزائرى بإيمان ، وحماس ، واندفاع ، فكانت « تلك البادرة المنطلقة من الجزائر هى التى غيرت مجرى التاريخ الافريقى » ، كما سجله بموضوعية وجزالة شارل أندريه جوليان :

(« Ce fut une initiative venue d'Alger qui changea le cour de l'histoire africaine ») (425).

— مثل أول نوفمبر بعد ذلك بقرون !

ثم أعادت الصليبية الكرة مرة تلو المرة ، وخاصة بـ «زيارة» شارلكان سنة 1541 للجزائر العاصمة ، وكانت لاندحاربه فيها نتائج لنا ، ونواجه لهم ، « وأخنت نواجه تلك الحملة - الكارثة بكلكلها طيلة ما يزيد عن ثلاثة قرون على الغرب (أوروبا وأمريكا) » :

(« Les conséquences de cette désastreuse expédition ont pesé pendant plus de trois siècles sur l'Occident ») (426).

وكان الحزم ؛ وكان العزم ؛ وكان الجهاد ، وكان الاستشهاد ، وكان النظام ، وكان العمل ، وكانت النتيجة أن أحبطت الجزائر جميع التكتلات ؛ وأن قهرت المد الصليبي ، والشره الأمبريالى المنبعت ؛ وكانت الجزائر هى الحكم ، وكانت القطب ، وكانت المدار ؛ وكان داياتها السادة الأمجاد العظام ، الذين قهروا

(425) Charles-André Julien : Histoire de l'Afrique du Nord, p. 515, 1^{re} édition.

(426) L. Gaubert : L'Algérie, p. 184.

ذلك الغرب - أوروبا بشقيها ، التي انضمت إليها أمريكا -
مدة ثلاثة قرون متوالية ، وردوا له الكيل كيلين ، « ووقفت
الجزائر مدة ثلاثة قرون عائقا قويا أمام التدخل
الأوروبي » (427) !

« وكانت الدول الأوروبية ، طيلة ثلاثة قرون متوالية ،
تعتبر نفسها سعيدة عندما تعقد السلم مع داي الجزائر ، وتحصل
منه ، حتى بتضحيات فى المال والكرامة ، على أمن نسبي لبحريتها ،
وتبتلع من أجل ذلك سائر الإهانات » :

(« Pendant trois siècles, les Etats européens s'estimaient heureux de faire
la paix avec le Dey d'Alger et d'obtenir, même par des sacrifices d'argent
et de dignité, une sécurité relative pour leur marine. On dévorait tous
les outrages ») (428).

وربما رمز لذلك الاستعزاء على الحدثان ؛ ولروح المقاومة
التي ردت كل باغ عاد ، وطاردته حتى غاره ؛ ولتلك الهبة التي
توحى بالجلال ، إلى جانب جبالها وصحاريها ، ذلك الرباط
الحصين ، تلك القلعة العتيدة ، ذلك الحصن المنيع : القصبة ،
وما أدراك ما القصبة فى تاريخ الجزائر المجيد !

وكم يعجبني هذا الوصف لها من المؤرخ الأمريكى سبنسر :
« إن تصور مدينة الجزائر كحصن للإسلام لا يمكن انتهاك
حرمته ، وهو تحت حماية كل من القوى المرئية وغير المرئية
التي حيرت أوروبا ، قد زاد من قوته وعمقه المنظر الطبيعى
للمدينة .

« ... وكأنه قدر للاقتراب منها من جهة البحر أن يوحى
بالجلال الذى يعود أيضا إلى عظمتها الفريدة من نوعها » (429) .

(427) Spencer : ibid, p. 185.

(428) Augustin Bernard, prof. de colonisation de l'Afrique du Nord en Sorbonne :
L'Algérie, p. 167.

(429) Spencer : ibid, p. 40.

إنها حقاً لمن أجمل العواصم ، لأمة من أمجد الأمم ، ولبلد
من أعرق البلدان !

إياه ، جزائر بلكين ، جزائر خير الدين ، جزائر الأمة (430)
والشعب (431) ، جزائر نوفمبر (432) : إننى كلما عدت إليك ،
وخاصة من جهة الشرق ؛ وواجهتنى القصبية ، رمزك الخالد ،
رمز الكفاح ، والمقاومة ، والكرامة ؛ وقابلتنى مرتفعاتك
المشرفة ، بعزة ، وشمم ، وجلال ، على ديارك البيضاء ، مطلة
على البحر الرابض عند قدميك ؛ ومستشفة ، من وراء الأفق ،
تلك البحار التى جعل منها أساطيلك بحيرات ، إلا وانتشيت
انتشاء أفعمنى ثقة بالنفس واعتداداً ؛ وامتألت فخاراً واعتزازاً
وارتقت بى مشاعر عميقة سامية إلى المدارج العليا من الفكر ،
والخلق ، والحضارة ؛ وجالت بى الذكريات عبر التاريخ فى
مراتع المجد ، والأصالة ، والأثالة ، والعراقة ؛ ورددت للمرة
الألف ، وألف الألف ، وبلا عد ولا حساب ، قول مؤمن بن سعيد
الأندلسى :

ما كل ما قيل كما قيل

فقد باشر الناس الأباطيلاً !

وقلت فى نفسى ، بصوت عال ، فعلاً :

« أهذه هى الجزائر التى قال عنها دوغول - ولا يزالون
يتقولون ، ولا زالوا كاذبين ، ولا زال عنهم الكذب ! (433) - إنها

(430) و (431) حزبي النجم والشعب اللذين مهدا لفتح نوفمبر ٠٠٠ كما
يقول مفدى :

هم الشائرون الألى ولدوا نوفمبر من صلبهم فاستقام !
متى نزلت ثورة من سماء نزول المسيح عليه السلام ؟
(432) 1 نوفمبر 1954 (للقارىء غير الجزائري : انطلاق المرحلة الأخيرة من
الكفاح التحريرى المسلح) ، والأمة كانت جريدة نجم الشمال الإفريقى
(433) لا مع ماضى هذا الفعل تفيد الدعاء .

لم تكن أمة ، ولا دولة ، ولا حتى شعبا فى تاريخها ؟ بل ولم يكن لها أبدا من تاريخ ؟ تسير هكذا سهلا ، عشائر مزركشة متنافرة ، وأخلاطا بمداوات سافرة ، غير متجانسة بل هى متناحرة ؛ ليست بشعب ولكنها أشتات متداخلة (434) ؟ وأنه حتى وإن كانت، هناك دولة ، فهى لأتراك أجنب ، سواء كانوا أسودا أم أرايب (435) ؟

إيه ، جزائر بنى مزغنة ! (436) وإيه ، جزائر افريقيا ! (437) إننى كلما تعمقت فى تاريخك ازددت حبا ، وتعمقا ، وانغراسا فيك ؛ وتعلقا ، وإعجابا ، وافتخارا بك ؛ وإجلالا ، ووفاء لك ؛ وحرصا وسهرا عليك ؛ وسعيا وهروعا إليك ؛ وعجزا وعزوفا عن الابتعاد والسلو عنك ؛ وترنمت ، فى هيام بك ؛ وفى رهبة منك ، وخشوع أمامك ؛ بقول شاعر أناشيدنا وإلياذتنا ، المرحوم مفدى زكرياء :

« فيا أيها الناس هذى بلادى ومعبد حبى وحلم فؤادى
وإيمان قلبى ، وخالص دينى ومبناه ... فى ملتى واعتقادى
بلادى أحبك فوق الظنون واشدو بحبك فى كل نادى
☆☆☆☆ ☆☆☆ ☆☆☆ ☆☆☆
وأوقفت ركب الزمان طويلا أسأله عن ثمود وعباد
وعن قصة المجد من عهد نوح وهل إرم ... هى ذات العماد ؟
فأقسم هذا الزمان يمينا وقال: الجزائر ... دون عناد !

(434) فى خطابه يوم 16 سبتمبر 1959 .

(435) آخر صبيحة كانت من كالفليش ، فى 1982 ، وقد ذكرناه .

(436) هو اسمها الأول، الذى أعطاها إياه مؤسسها، ولكن بن زيرى، حسب ابن خلدون .

(437) كما كان يسميها الدايات .

الأمم بتاريخها ، ونحن أعداء الوثيقة !

وبعد ، فقد يقول قائل ، ويعلق معلق ، ويثرثر ثرثار ،
ويخرش مخرش :

« لم كل هذا التعلق بالأشباح ؟ وما هذا التشبث ، بما...
سحيق ؟ وما هذا الإلحاح على إثبات وجود أمة ... ودولة ... الخ
... ونحن فى 1982 ، والبلاد قد « استقلت » منذ عشرين سنة ! »
ونرد على هذا بما يلى :

أولا : إن البلاد لم تستقل سنة 1962 ، وإنما استرجت
استقلالها ... وبين الصيغتين والمفهومين بون شاسع وأى بون ،
لن لا يرضون بالهون ، فى هذا الكون !

وثانيا : إن مثل هذه المواقف السلبية من تاريخنا ، وعقلية
« ما عlish » هذه ، هى التى تبلبل الشباب ، إلى حد أن جعلت
بعضهم يتظاهرون فى الشوارع ، ويرفعون عقيرتهم ، بكل
سخف وخساسة ، أمام الوزارات ، وما أعلى من الوزارات ، وهم
ينمقون ، كغربان البين : « التاريخ فى المزبلة ! »

« L'Histoire à la poubelle ! »

وثالثا : إن خصومنا « بالأمس » لا يزالون يهاجموننا - وفى
22 سبتمبر 1982 كتب « كالفليش » : « إن الجزائر لم تكن
دولة ، بل كان يحكمها أتراك » ! - ، فما دام هناك هجوم لابد
من رد وصد ، بل ومن هجوم مضاد عند اللزوم ، وهناك لزوم فعلا ،
كما نرى !

سبق لنا ، فى خربشات أخرى (438) ، أن أوردنا أمثلة لاهتمام
الأمم - التى هى فى القمة اليوم فى جميع المجالات ! - بتاريخها

(438) إنية وأصالة ؛ أصالية أم انفصالية ؟ ؛ بعض مآثر فاتح نوفمبر .

وحرصها عليه اليوم أكثر من ذى قبل ؛ وهى التى لم يسبق لها قط أن أهملته ، ولا قصرت فيه ، ولا زوره لها أحد ، ولا أنكر عليها الوجود منكر. وذكرنا بالاسم روسيا، والصين، وفرنسا... كما ذكرنا أيضا أسماء بعض البلدان الشقيقة ، مثل مصر ، والمراق، واليمن الجنوبي ...

ونود أن نضيف إليها اليوم بضعة أسماء أخرى بغاية الإيجاز، بمجرد الذكر ، وعلى سبيل المثل فحسب .

ولنبداً بالبلدان الشقيقة ، ولنكتف منها بالمجاورة ، التى كنا وإياها كم من مرة فى التاريخ بلداً واحداً ، وشعباً واحداً، وأمة واحدة هى نفسها جزء من أمة أكبر وأشمل ، هى التى يقول عنها القرآن : « **إن هذه أمتكم أمة واحدة** » ، وسنمود كذلك، إن شاء الله ، مستأنفين البناء ، حسب المراحل الضرورية المنهجية ، الضامنة للنجاح ، بحرص العباد ، وتوفيق الله . ومبتدئين من شرق هذا المغرب فنقول : إن ليبيا قد اتخذت خطوات رسمية مسرعة فى كتابة تاريخها ، منذ فجره الأول حتى اليوم ، لتدارك ما فاتها فى هذا المجال ، وبدأت فعلاً بإصدار معلمة واسعة .

وتونس ، التى لم تهمل تاريخها قط ، على مر عصوره ، وليس فقط منذ ابنها عبد الرحمن بن خلدون ، لهى اليوم حريصة عليه ، دائبة فى العناية به ، وإصدار أية جزئية عنه ، وأنشأت لذلك رسمياً دارين للنشر ، تتنافسان فى الخير ، أى فى الإنتاج والتوزيع ، فضلاً عن الجهود الفردية الخاصة ، ومبادرات الهيئات الشعبية .

وربما كان المغرب الأقصى أكثر هذه البلدان الشقيقة عملاً فى حقل التاريخ ، وعناية به ، وجمعاً لعناصره ، وصيانة

لسائر وثائقه ، من مادية ، وكتائية ، وذاكرة شعبية ، وإصدار الكل ، إنتاجا ، وتوزيعا .

وآخر إنتاج له فى هذا الميدان هى معلمة من عشرة مجلدات ، عنوانها : « التاريخ الدبلوماسى للمغرب من القرن الثامن قبل الهجرة إلى القرن الرابع عشر ، أو من القرن الثانى قبل الميلاد إلى القرن العشرين » (439) ، لأخيـنا وصديقنا الأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى .

أما عن الأمم الأخرى التى هى اليوم فى القمة فى جميع المجالات ، فأورد بضعة أمثلة عن مواقف وتدابير اتخذت فى السنتين الأخيرتين فى ثلاثة بلدان أوروبية : فرنسا ، وأنكلترا ، وألمانيا الاتحادية (الغربية) :

I) ففى فرنسا — ونذكر عنها ثلاث بوادر رسمية — :

أ) أعلنت سنة 1980 « سنة التراث » : « l'Année du patrimoine » .

وزيادة عن الكتب التى أصدروها بنفس المناسبة وفيما بعد ، والأفلام التى أنتجوها ، إلى غيرها من التدابير لتعزيز حب التراث والتاريخ ، أنشأوا مقاما ضخما للجندى المجهول ، أو الشهيد ، كما نقول نحن ، (Belvédère) ، محاطا بحدائق ، ومشملا على مناظر ... فى المكان الذى جرت فيه المعركة الفاصلة بين يوليوس قيصر وفرسانجيتوريكس ، أليزيا (فى منطقة الأوفرني Auvergne ، مسقط رأس جيسكار ديستان) ، وأسر فيه القائد الرومانى خصمه زعيم مقاومة غاليا (فرنسا القديمة) سنة 46 قبل الميلاد (أى بعد يوغورطا (440) بأربعة وخمسين عاما ، ومات الاثنان أسيرين فى سجن ماميرتينوم Mamertinum بروما؛ يوغورطا

(439) انظر الشكل رقم : 206 ، 1 ، 206 ب .

(440) انظر الشكل رقم : 207 .



التاريخ الدبلوماسي للمغرب

د. محمد بن عبد الله

من القرن الثامن قبل الهجرة إلى القرن الرابع عشر
« من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن العشرين »

يتناول التاريخ الدبلوماسي
علاقات المغرب بمختلف
الدول والشعوب ويقدّم لنا
طائفة كبيرة من السياسيين
والقادة المغاربة الذين
كان لهم دور في صنع
التاريخ... وكونوا
بذلك مدرسة أصيلة
في السلوك الدبلوماسي
الدولي.

تحتوي المؤلف على عشرة
مجلدات من 3000 صفحة
و 1000 وبيقة فيها الخرائط
التاريخية واللوحات والصور
التي رسمت من مناصبها
العالم ومن مختلف المصادر
المكتوبة بكل لسان علاوة
على المستندات التي تم
الوقوف عليها بالخرائن
المغربية.

HISTOIRE DIPLOMATIQUE DU MAROC

THE DIPLOMATIC HISTORY OF MOROCCO

from the 2nd century before
the Christ to the 21st century
A.D. 1950

DR. ABDELHADI MAZAL

HISTOIRE DIPLOMATIQUE DU MAROC

du VI^e S. av. J. C. à l'égire au
XIV^e S. de l'égire
du VI^e S. av. J. C. à 1950

DR. ABDELHADI MAZAL

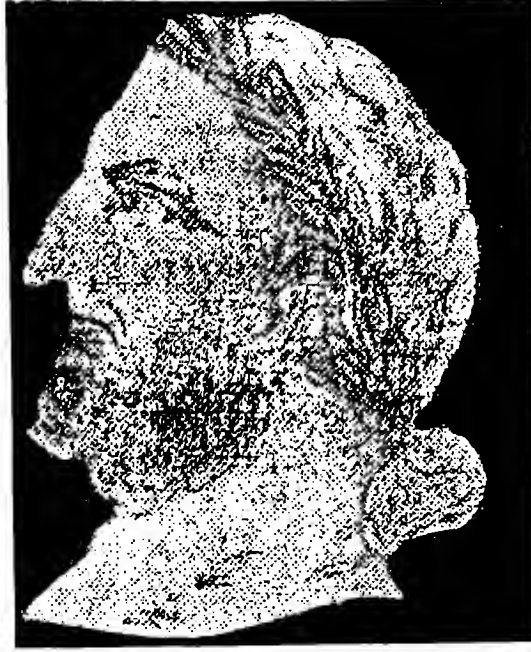
This work consists of ten volumes comprising 3.000 pages and 1.000 charts, maps and graphs (which were derived from sources in different languages).

The Diplomatic History of Morocco studies the relations between Morocco and several nations and peoples and presents us with some of the greatest traditional politicians and diplomats who played an important role in world history.

Cet ouvrage est composé de dix tomes comportant trois mille pages, mille documents, cartes et planches photographiques (ces illustrations ayant été empruntées à une documentation écrite en plusieurs langues).

"L'Histoire Diplomatique du Maroc", étudie les relations que le Maroc a eues avec diverses nations et peuples et nous présente les plus importants et diplomates de la plus haute tradition et qui ont joué un certain rôle dans l'histoire du monde.

يوغورطة بن منستابل ١١٩ - ١٠٤ ق م .



الشكل رقم : (207)

رسم البطل الكبير المخلص الملك يوغورطة

هو يوغورطه بن منستابل بن مصينيسا . وبعض المؤرخين يسميه يوغورطة .
وأنا أختار يوغورطة لأنه أنعم وأليق بشخصيته القوية .

نسبه الكريم
ونشأته
الحسنة

وكان والد يوغورطة هو منستابل . وقد عينه والده مصينيسا وزير اللعدل في دول
مصينيسا . فتوفي في سنة ١٤٥ ق م فترك ابنه يوغورطة في عنفوان الرجولة وفور
الشباب . وكان سن يوغورطة لما توفي والده حوالي سبع وعشرين سنة كما يدل رسما
الذي وضع أيام ملكه . إن رسمة أيام ملكه بنيء بأنه في المقد الخامس أو أكثر ، وفي
آخر أيام الشباب ، وعلى أبواب الكهولة .

وكان يوغورطة قد اعتنى والده بتربيته وتثقيفه ، وعلمه الفروسية ، وفنوز
الحرب ، واعتنى به في كل نواحيه ، ورباه تربية الحكيم الذي يعرف كل مواهب ابنه

عن محمد علي دبور :

تاريخ المغرب الكبير
نشر عيسى الباي الحلبي
القاهرة 1384 هـ (1964 م)

صبرا ، أى جوعا وعطشا ؛ وفرسانجيتوريكس خنقا) ؛ وجددوا
تثبيت تمثاله فى هذا المكان . كتبت لوموند عن هذا كله مقالا
تحت عنوان : « استنطاق الحجارات القديمة » :
(« Faire parler les vieilles pierres ») (441).

ب) ثم أعلنت فرنسا سنة 1981 « سنة التاريخ l'Année de l'Histoire »،
وجندت لتلك الندوات والاحتفالات جميع الشخصيات المتخصصة
والمهمة ، من رؤساء وزراء سابقين وحاليين ؛ إلى مديرى
جامعات ، ومؤرخين ، وأساتذة التاريخ ، الخ ؛ وسائر أجهزة
الإعلام ، والمتاحف ، والقاعات المتخصصة .

ج) ثم فى يوم تنصيب الرئيس الحالى لجمهوريةها ، فرانسوة
ميتران : فبمجرد استلام المهام من الرئيس السابق ، بدون أن
يعود إلى مكتبه ، ويجلس على كرسيه ، فضل أن يباشر أعماله ،
ويدشن رئاسته للجمهورية : بزيارة مقبرة عظماء فرنسا ،
فذهب رأسا من سلم قصر الإليزيه ، راجلا ، ومعه مساعده
الأقربون ، من الحى الثامن إلى الحى الخامس فى باريس ،
والأناشيد تنشد ، والموسيقى تعزف ، إلى أن وصل الموكب إلى
الحى اللاتينى ، وتوجه إلى البانتيون (Panthéon) ، مقبرة عظماء
فرنسا ، قرب السربون . فزار ، ووقف إجلالا للذكرى . وكتبت
جريدة لوموند ، مثلا ، وغيرها أيضا ، طبعا ، ما كتبت . ومما
جاء فى لوموند ، من صيغ ، وتعابير ، وشعارات ، مثل هذه :

« احتفال الذاكرة والذكرى » : « cérémonie de la mémoire » ؛
« وتقديس الماضى » ، « sacre du passé » ؛ « والانفراس فى
التاريخ ، أو الضرب بالجذور فى أعماق الماضى »
(s'enraciner dans l'Histoire) ؛ « وأن يعيد (ميتران) للقيم

(441) Le Monde, 1^{er} août 1981.

الوطنية ولعشرين بطلا من الملحمة الفرنسية ، جوريس وجان
مولان خاصة ، ما يعود لهم » :

(rendre aux vertus nationales, à vingt héros de l'épopée française, à Jean Jaurès et à Jean Moulin, surtout, la part qui leur revient) ;

« للتركيز على شجرة النسب » : « la filiation » ؛

« وعلى ثقل الميراث » : « (le poids de l'héritage) ؛

« ومقاومة فقدان الذاكرة » : « (lutter contre l'amnésie) ؛

« وتمجيد رجال الحرية » : « (rendre hommage aux hommes de la liberté) ؛

وذلك كله بتلك الزيارة الرمزية التي قام بها إلى « مقبرة
عظماء فرنسا ، التي هي صرح الذاكرة الفرنسية »
(au Panthéon, mémorial de la mémoire française).

« في باريس ، مدينة الذكرى والذاكرة » .

(dans Paris, ville de la mémoire)

وكان البعض لهم ماض ، يحتوى على ذكريات ، وذاكرة
تحفظها ... والآخرين ... ليست لهم ذكريات ، ولا ذاكرة
تحفظها ... حيوانات ترعى ، وتروث ، وتمشى هكذا سهلا ،
بدون هدى ، ولا ذكرى ، ولا ذاكرة ، ولا ذكر !

ونحن لا نريد أن نكون من هؤلاء الآخرين ، لأن لنا ، نحن
أيضا ... أبطالا عظاما ، وتاريخا مجيدا ، وبلدا أثيلا تليدا ،
وشعبا قديما جديدا ، ، وأمة عريقة أصيلة !

2) والبلد الأوروبي الثانى الذى نذكره فى هذا الصدد ،
بالنسبة إلى العاميين الآخرين ، هو أنكلترا ، التى بذلت جهودا
جبارة دامت سنوات عديدة (سبعة عشر (17) عاما !) ؛ وأنفقت
أموالا ضخمة (أربعة ملايين من الجنيه الاسترلىنى ، أو سبعة
ملايين من الدولارات) ، لانتشال بقايا الهيكل المتآكل للبارجة

(السفينة الحربية) ميرى روز (Mary Rose) من قاع البحر ،
الذى ظلت فيه مدة تزيد عن أربعة قرون ... إذ صنعت سنة
1510 ، وغرقت سنة 1545 ، فى عهد هانرى الثامن (وخير
الدين ، وفرانسوة الأول ، وشارلكان) ، وهى فى طريقها
لمحاربة الفرنسيين !

لقد أقاموا احتفالات ضخمة للإشادة بانتشالها ؛ وستقام
مهرجانات أعظم منها عند عرضها على الجمهور ، فى الربيع
الحالى ... « كأثر هام لأسرة تيودور (Tudor) ، وكصدر ، لا يقدر
بشئ ، للمعلومات عن الأعوام الأولى للبحرية البريطانية ... »
قبل أن تصبح إحدى سيدات البحار ، ثم سيدتها على الإطلاق،
فيما تلى ذلك من قرون !

3) والمثل الأوروبي الثالث فى هذين العامين الأخيرين عن
الاهتمام بالتاريخ ، وإعطائه ما يستحق من عناية ورعاية فى
حق الأمة ، وفى حياتها ، نسوقه من ألمانيا الاتحادية (الغربية).
أوردته جريدة دى فيلت الألمانية ، تحت عنوان : « ساعة (أى
درس) التاريخ » (Geschichtsstunde) ، عن خطاب رئيس الجمهورية
الاتحادية الألمانية ، كارل كارستنس ، يوم 06 أكتوبر (1982) ،
أمام المؤتمر الرابع والثلاثين للمؤرخين الألمان فى مدينة مونستر
(Muenster) الجامعية العريقة ، « عن أهمية التاريخ لتفهم أى مجتمع
نفسه ، وبالتالي للشعب الألمانى » ، إذ قال ، مما قال :

« لقد ظن بعض الناس فى وقت ما أنهم يستطيعون الاستغناء
عن التاريخ . ولا يزال البعض حتى اليوم على هذا الرأى . فهم
يرون أن التاريخ ليس إلا أخبار الماضى ، الذى لا يجدى فتيلا .
« ولكن الماضى يظل مفعوله مستمرا حتى عندما يرفض البعض
معرفته ، هذا الرفض الذى ينتظر منه البعض أن يحررنا ،

ولكنه فى الحقيقة يضيق الخناق علينا ؛ ويعرضنا لأحداث يومية وتيارات جارفة ، لأننا لا نعرف أسبابها التاريخية ، وتعوزنا المقاييس التاريخية التى يمكننا أن نزنها بها لنفهمها .

« إنه ليس من الحكمة أن ننفلق على معرفة جهود الأجيال السابقة ، ونجاحها أو إخفاقها . وحتى الذى يريد أن يغير ويصلح يحتاج أكثر من غيره إلى تلك المعرفة (للتاريخ) .

« إنه لا يمكن أن يأمل النجاة من أخطاء الماضى إلا من يعرفها . ولكن ليست معرفة الأخطاء فقط هى قصدنا من التاريخ ، بل معرفة الصورة الكاملة للماضى ، معرفة التاريخ كله .

« وهذا التاريخ لا يتمثل فقط فى أخطاء المخطئين ، وفشل الفاشلين . وذلك أن التاريخ يشتمل على النجاح وعلى الفشل، ولكن أيضا على إنجازات كبرى » .

ويختم الرئيس الألمانى كارستنس خطابه بقوله :

« ... وهكذا فإن تاريخ أية أمة من الأمم مفتاح يودى إلى وطن فكرى ، روحى، ويخلق ألفة ، ويضمن أمانا وثقة بالنفس .

« لهذا أرى أن الحس التاريخى ، المرفه ، الذى يفترض معرفة التاريخ ، لمن الأهمية بمكان بالنسبة لكل من الفرد والمجتمع » (442) .

وعلقت على هذا الخطاب الجريدة الألمانية المشهورة فى افتتاحيتها تقول :

« ومن الجدير بالملاحظة تأكيد الرئيس كارستنس بكل جزم أهمية المعرفة التاريخية كتقنية اجتماعية من الدرجة الأولى ،

تفوق بكثير التقنيات الأخرى من نوع ذلك المسبر الاجتماعى
(علم الاجتماع) ، الذى يحبه البعض إلى درجة الهيام .

« ... وهذه الأهمية هى التى يعينها أورتيغا إى غاسيط
(الفيلسوف الإسباني) إذ يقول :

« إن المعرفة التاريخية ضرورية ضرورة مطلقة للمحافظة على
حضارة مكتملة ولاستمراريتها » .

« وإن تذكير الرئيس كارستنس بذلك أمام مؤتمر المؤرخين
ليبعث على الأمل أنه حتى فى مدارسنا أيضا سيجد تدريب
الذاكرة التاريخية قريبا مكانته التى يستحقها » (443) .

ونحن فى الجزائر أيضا نأمل هذا لأنفسنا . ومما يبعث على
هذا الأمل اهتمام الأخ رئيس الجمهورية ، الأمين العام للحزب ،
السيد الشاذلى بن جديد ، بهذا الجانب من نشاطنا الفكرى
وحياتنا القومية ، بتصريحاته ، وتعليماته ، وإشرافه على الندوة
التاريخية عن فاتح نوفمبر .

وفى البوادر المتخذة قبل ذلك ، وخاصة بعد ذلك ، من عدة
أجهزة فى الحزب ، والدولة ، وعلى مستوى الأفراد ، لما يعزز
هذا الأمل ، ويبعث على التفاؤل ، بل والثقة والاطمئنان .

ولقد اتهمنا البعض - وله بعض الحق ، بل كل الحق فى
ذلك ! - بعدم اهتمامنا فى الماضى البعيد ، وفى الماضى القريب ،
بالوثائق ، والآثار ، والتاريخ .

ونسوق هنا مثلين اثنين : أحدهما لمؤرخ فرنسى ، والثانى
لزميل له أنكليزى .

(443) Die Welt, 7 Oktober 1982.

فالأول هو بلانطى ، الذى كتب ، فى بداية مقدمة كتابه عن « مراسلة دايات الجزائر مع ملوك فرنسا » : « أن الجزائريين كانوا دوما غير مكترئين بالمحافظة على الوثائق » :
(« Les Algériens ont toujours été peu soucieux de conserver des archives »)
(444), (445).

والثانى هو أليستير هورن ، الذى يقول :

« إن موقف الجزائريين من تاريخهم يبدو عجيبا للأوروبيين .
« إنهم (الجزائريين) يقولون : « إن الصفحة الآن مقلوبة » .
« وحتى فى صميم حى القصبة ، فإنك لا تجد هناك لافتة ،
ولا أية كتابة ، تدل على المراحل الرئيسية لكفاحهم ضد مظللى
الجنرال ماسو (Massu) : فلا الدار التى كان يختبئ فيها سعدى
ياسف ، ولا التى تمزق فيها علي لابوانت (بالمفرقات) ، تحملان
أثرا يدل عليهما » (446) .

فى هذين القولين جانب كبير من الصحة : فنحن ، حقا ،
« من قديم الزمن وسالف العصور » أعدام الوثائق ، سواء منها
المكتوبة ، كالوريقات ، أو المادية ، كالمعالم ، والآثار ، وكل
ما يمثل شهادة عن الماضى .

« إن الثقافة هى التاريخ » ، كما قال ، أخيرا ، السيد وزير
الثقافة ، الأخ الدكتور عبد المجيد مزيان .

ونحن نضيف أن الأمية نوعان : أمية حرفية وأمية معنوية .
ومن الأمية المعنوية البسيطة جهل الإنسان بقدر معلوم من تاريخ
بلاده ؛ ومن الأمية المعنوية المركبة الادعاء ، واستعمال الصيغ ،
والاصطلاحات ، والمفاهيم المستوردة المعارضة لحقيقة تاريخنا ،

(444) Plantet : Correspondance, p. VII, t. 1.

(445) انظر الشكل رقم : 208 .

(446) Alistair Horne : Histoire de la guerre d'Algérie, p. 579.

jusqu'à la Révolution. Nous devons par conséquent explorer les Archives de la Marine et les Archives coloniales pour tout ce qui concernait, pendant les deux derniers siècles, les négociations algériennes.

Enfin lorsque la direction des Consulats fut confiée par la Convention, le 14 février 1792, au Ministère des Affaires étrangères, le Dépôt des Archives de ce département s'accrut d'une quantité considérable de papiers d'État et notamment de la plus grande partie des dépêches de nos Consuls. Ce fonds s'est peu à peu complété avec les documents modernes, et nous avons été, croyons-nous, le premier à en faire le dépouillement complet pour les trois Régences d'Afrique. Ce travail nous a permis de commenter chacune des lettres des Princes d'Alger, et de les éclairer par des annotations puisées aux sources officielles.

~~Peu de temps après la conquête~~ du général de Bonmont, les Archives du Consulat de France à Alger revinrent au Ministère des Affaires étrangères, et cette nouvelle série de documents historiques, en complétant tous ceux que nous venons de signaler, nous a permis de suivre pas à pas, pour ainsi dire chaque jour, les relations parfois si difficiles de nos Consuls avec les Gouverneurs de cette étrange République. Mais si les trois dépôts que nous venons d'énumérer ont conservé les lettres originales échangées des Potentats barbaresques, les réponses écrites par nos Rois n'ont pas été l'objet des mêmes soins. Les Algériens ont toujours été peu soucieux de conserver des Archives, et, à défaut des originaux perdus, nous avons dû transcrire les minutes élaborées dans les bureaux de Secrétariat d'État.



العلامة الثائر الامام عبد الحميد بن باديس
رائد النهضة الحديثة بالمغرب العربي
وقائد الحركة اصلاحية ومؤسسها بالجزائر

الشكل رقم : (209)

حتى حسب المصادر الأساسية لمصدرى تلك الصيغ، والاصطلاحات،
والمفاهيم ...

إن التاريخ ذاكرة الأمم ، فهو لها « بمثابة العقل للأفراد » ،
كما يقول الفيلسوف الألماني شوبنهاور ؛ « يحب كالإنجيل ،
ويلقن للصغار ، ويدرس للكبار ، بنفس التقديس والإجلال » ،
كما قال فيلسوف ألماني آخر ، فيخته .

وكم يحلو لنا أن نختم هذه النصوص عن أهمية التاريخ بنص
لابن باديس (447) (- وختامها مسك -) ، إذ يكتب في افتتاحية له
في الشهاب تحت عنوان : « الرجل المسلم الجزائري » : متسائلا ،
ومجيبا :

« من هو الجزائري ؟ إنما ينسب للوطن أفراذه الذين ربطتهم
ذكريات الماضي ، ومصالح الحاضر ، وآمال المستقبل .

« والذين يعمرن هذا القطر وتربطهم هذه الروابط هم
الجزائريون .

« والنسبة للوطن توجب علم تاريخه ؛ والقيام بواجباته ،
من نهضة علمية ، واقتصادية ، وعمرانية ؛ والمحافظة على شرف
اسمه ، وسمعة بنييه .

« فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ؛ ولا سمعة لمن
لا سمعة لقومه » (448) .

(447) انظر الشكل رقم : 209 .

(448) ابن باديس : الشهاب ، ص 11 ، ج 10 ، م 5 ، جمادى الثانية 1348 هـ
(نوفمبر 1929 م) . وقد أورد هذا النص كل من الأستاذين الدكتورين :

(1) عمار الطالبي : ابن باديس : حياته وآثاره ، ج 3 ، ص 306 .
(2) وتركي راجح : الشيخ عبد الحميد بن باديس : فلسفته وجهوده في
التربية والتعليم ، ص 272 . ولكنه في « الشهاب » أكمل .

ونود فقط أن نربط عجلتنا بدبابية ابن باديس ، شارحين ، مؤولين ، وبذلك نكون قد ختمنا موضوعنا عن شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 بما بدأناه به : التأكيد على أهمية العناية بالتاريخ ، فنقول :

وذلك أن التاريخ أحد العناصر الأساسية لشخصية أى بلد ؛ ومن أهم مكونات ذاتية أية أمة من الأمم ؛ والعقد الذى تنسلك فيه جميع حلقات المقومات الثلاثة الأخرى لإنيتها (449) وأصالتها، التى هى الدين ، واللغة ، وحب الوطن .

فالأمة بدون هذه المقومات الأربعة لا شيء ، وبها هى !
وفقنا الله لتأكيد الإنية، أو حتى الهوية، ونجانا من الهاوية!

(449) نفضل كلمة الإنية هذه على كلمة « الهوية » ، التى هى ترجمة حرفية

لكلمة identité ، وهى تركيب مزجى من اللاتينية المحدثثة (le bas latin)

من كلمتين : idem ، بمعنى نفس الشيء ، هو هو ، و entitas ،

بمعنى الكيان ، التى هى حالة جر من حالة الرفع : ens .

(فكلمة identité ، إذن ، معناها : نفس الكيان ، نفس الموجود ،

نفسه، عينه، هو هو . ومن هنا نفضل على كلمة الهوية (بضم الهاء، ودون مد، لا كما تنطق خطأ، كالعادة، بفتحها ... مع مد، حتى لو كان خفيفا، أو

« محذوف » ، كما يقال بالرسم القرآنى ، مما يعطى الكلمة معنى مغايرا

تماما للكيان ، بل تصبح دالة على حذف الكيان !) نفضل على كلمة

الهوية ، إذن ، كلمة الإنية ، من إنى ، المؤكدة للذات ، المثبتة للشخصية،

والماخوذة من « الإشارات والتنبيهات » لذلك القمقام الكبير ، الفيلسوف

الطبيب ، الشيخ الرئيس ، الحسين أبى علي بن سينا ، رزقنا الله فى

عصرنا هذا بمثل منه ، وشكرا له ، وليس فقط حمدا !

وإن زادنا نعمة ، فبأمثلة عدة . وقد شكرناه مقدما ، واثقين ممن

استجابة دعائنا ، ولم نشكره على العدم ؛ حتى لا يزيدنا عدما على عدم !

(« لئن شكرتم لأزيدنكم » ، صدق الله العظيم) .

(انظر فى أصل كلمة ومفهوم « الإنية » ، خريشتنا : « إنية وأصالة » ،

أو ، على الأحسن ، الكتاب الجليل المذكور لابن سينا ، قدس الله روحه) .

فهرس صور الاشخاص ، والأحداث ، والوثائق المادية والكتابية للجزء الثانى :

- 14 فرانسوة الاول
- 15 شارلكان (شارل الخامس)
- 16 مانرى الثامن ، ملك أنكلترا
- 24 « استمرارية فكرة غزو الجزائر منذ قرون » : نص فرنسى
- 28 « استمرارية فكرة غزو الجزائر منذ القديم » : نص ألمانى
- عنوان المعاهدة الفرنسية الروسية فى تيلسيت « ومادتها السرية جدا »
- 29 ضد الجزائر
- 33 رحلة بوتان السرية لإعداد غزو الجزائر
- 35 تقرير دوفال عن حكاية « المروحة »
- 37 المشثوم دوفال ، صاحب الحكاية
- 38 الداى حسين يصفغ دوفال بالمروحة
- 43 الدوق دى بوفور
- 44 منظر لمدينة حبل ومينائها إذ ذاك
- 46 الأميرال «توكين» ماريا باحيا سعدة ، وعنقه فوق رأسه «
- عارة الأميرال دوتين مع المركيز دامعريفيل على مدينة الجزائر يوم
- 47 28 اوت 1682
- 48 غارنه الثانية عليها
- 49 الداى البطل الحاج حسين (« ميزومورتو »)
- الداى الحاج حسين (« ميزومورتو ») يضع لوفاشى ، سفير فرنسا ،
- 50 فى قم مدفع ويقذف به السفينة الفرنسية المعتدية على الجزائر
- 51 المريشال دى تورفيل
- 53 المريشال ديستري

- 54 قنبلة الجزائر من طرف المريشال ديستري
- 57 معاهدة تجارة وملاحة بين ملك بجاية ، خالد بن زكرياء ، وحكومة مرسيليا
- رسالة من لويس الرابع عشر إلى ديوان (رئاسة دولة) الجزائر في عهد
- 63 بابا علي مكسيس ، يوم 17 سبتمبر 1666
- رسالة أخرى من لويس الرابع عشر إلى ديوان (رئاسة دولة) الجزائر في
- 64 عهد الداى بابا علي مكسيس يوم 11 مارس 1688
- 65 بقية الرسالة (تتابع الصفحات الفرنسية من اليمين إلى اليسار)
- 67 لويس الرابع عشر ، « لويس الكبير » ، « الملك الشمس »
- 69 رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداى شعبان
- 71 رسالة أخرى من لويس الرابع عشر إلى الداى شعبان
- 72 بقية الرسالة (دائما من اليمين إلى اليسار)
- رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداى الجديد ، الحاج أحمد، يهنئه فيها
- 73 بارتقائه إلى منصب داى جمهورية الجزائر
- رسالة أخرى من لويس الرابع عشر إلى الداى الحاج أحمد يعلمه فيها
- 74 بإرسال مبعوثه الخاص، دوزو، إليه لإزالة بعض سوء التفاهم
- رسالة تهنئة من لويس الرابع عشر إلى الداى الجديد، مصطفى، يخبره فيها
- بأنه علم بأن الداى (مصطفى) قد جدد المصادقة على معاهدة السلم
- 76 الأخيرة بين البلدين
- رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداى مصطفى يشكره فيها على تهنئته
- 77 بوليد لحفيد له
- رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداى مصطفى يهنئه فيها بانتصاره على
- باى تونس ، حسن بن علي ، ويعبر له عن « تقديره له ولجمهورية
- 78 الجزائر »
- رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداى الجديد حسين خوجة يهنئه فيها
- بتوليئه « رئاسة جمهورية الجزائر » ويلتزم فيها بالوفاء « لمعاهدات
- 81 السلم المعقودة مع جمهورية الجزائر »

- رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداي الجديد علي شاوش يؤكد له فيها
83 « أهمية الحفاظ على العلاقات الطيبة مع جمهورية الجزائر »
- استقبال الداي محمد بن حسن للمسمى دوزو ، المبعوث الخاص من
86 لويس الخامس عشر
- رسالة من لويس الخامس عشر إلى الداي محمد بن حسن يؤكد له فيها
87 حرصه « على الحفاظ على جو التفاهم مع جمهورية الجزائر »
- رسالة من لويس الخامس عشر إلى الداي محمد كور عبدى
89
- معاهدة سلم بين الداي بابا علي ولويس الخامس عشر باسم « الأمتين »
91
- رسالة من لويس السادس عشر إلى الداي محمد عثمان (بابا محمد) يعلمه
فيها بوفاة سلفه لويس الخامس عشر وبتوليته مكانه ، ويجدد بها
93 المصادقة على المعاهدات السابقة
- رسالة من لويس السادس عشر إلى الداي محمد عثمان يخبره فيها بأن
حماته « العزيزة قد رزقت بولد ... » ، وهو الذى سيصبح فيما بعد
96 شارل العاشر ، « صاحبنا ... »
- رسالة من الداي محمد عثمان ، من « الجزائر القوية المحروسة » إلى
لويس السادس عشر ، جوابا على الرسالة السابقة ، يهنئها فيها
بالوليد ... ويؤكد له صدق « المودة والتفاهم السائدين بين الأمتين »
97
- رسالة من لويس السادس عشر إلى الداي محمد عثمان يخبره فيها بازدياد
99 ولد له من زوجته « العزيزة »
- رسالة من لويس السادس عشر إلى الداي محمد عثمان يقترح عليه فيها
تعديل بعض بنود « معاهدات سابقة بيننا لتمديد السلم التى نود
99 أن تكون أبدية بين الإمبراطوريتين »
- وثيقة تجديد « الداي محمد عثمان ، حاكم الجزائر المحروسة » ، ولويس
102 السادس عشر ، المعاهدات السابقة بين الجزائر وفرنسا
- جواب من الداي محمد عثمان على رسالة من لويس السادس عشر ، وفيه
104 ذكر « المصادقة على تجديد السلم بين الإمبراطوريتين »

- رسالة من الداي حسن (بابا حسن) إلى لويس السادس عشر بعلمه فيها
 107 بوفاة الداي محمد عثمان وبانتخابه خلفا له
- جواب من لويس السادس عشر إلى « الداي سيدي حسن » يهنئه فيها
 « بالارتقاء إلى المنصب الأسمى : داي الجزائر » ، ويعزیه ، ويعبر
 111 له عن أسفه على وفاة « صديقنا القديم ، سلفكم الأجدد »
- رسالة من المجلس التنفيذي المؤقت للجمهورية الفرنسية « إلى سيدي
 حسن ، داي الجزائر » ، يعلمه فيها بالتغيرات الطارئة في فرنسا
 (إعلان الجمهورية) ، معبرا عن رغبته « في الحفاظ على الانسجام
 113 الجيد السائد لحسن الحظ بين الأمتين »
- جواب الداي حسن معترفا بالجمهورية الفرنسية الأولى ومجددا المصادقة
 على المعاهدات السابقة بين الجمهورية الجزائرية والملكية الفرنسية
 114 لصالح الجمهورية الفرنسية الفتية
- وثيقة المصادقة من الداي حسن على المعاهدات السابقة بطلب من حكومة
 116 الثورة الفرنسية
- كشف أبجدي بأسماء الدول الكبرى ، وفي السطر الثاني من القائمة ذكر
 « اعتراف داي الجزائر بالجمهورية الفرنسية (الأولى) وتجديد
 117 المعاهدات السابقة » بين الدولتين لصالح الجمهورية الفرنسية الفتية
- صفحة الغلاف من الكتاب المذكور ، وهو « سجل معاهدات فرنسا » ،
 118 من تأليف وزير مفوض فرنسي ، ونشر وزير الخارجية الفرنسي نفسه
- رسالة من قادة الجمهورية الفرنسية الأولى إلى الداي سيدي حسن بخبرونه
 فيها بأن « تغيير شكل العلم الفرنسي لن يغير من طبيعة المعاهدات
 123 بين الدولتين التي نتمنى لها الخلود »
- رسالة من قادة الجمهورية الفرنسية الأولى إلى « سيدي حسن ، داي
 الجزائر ، الصديق الحليف القديم للامة الفرنسية » . يعترفون فيها
 « بالقرض (الاقتصادي) والتسهيلات لشراء القمح » ، ويتمنون
 125 « خلود هذه الصداقة »

- رسالة « من قادة الثورة الفرنسية إلى « سيدى حسن ، داي الجزائر ،
الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية » ، يعلمونه فيها بإرسال
مبعوث خاص لطلب مساعدته لحكومة الجمهورية الفرنسية (الأولى) .
ويشكرونه على المساعدات العديدة
- 128 جواب « من سيدى حسن ، داي الجزائر » إلى قادة الجمهورية الفرنسية
الأولى ، ردا على طلبهم للمساعدة عارضا عليهم أصنافا متعددة منها
- 129 رسالة من قادة الجمهورية الفرنسية الأولى إلى « سيدى حسن ، داي الجزائر
الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية » ، يشكرونه فيها على
المساعدات السابقة « والعروض الجديدة للمساعدة بالخيول الجيدة
والمواد الاستهلاكية »
- 132 « وجاعت فرنسا فكنا كراما ... » للفقيه الكبير مفدى زكرياء فى إلياذته
الحاضرة
- 136 نص : الداي حسن يقرض المجلس الأعلى التنفيذى للجمهورية الفرنسية
(الدريكتوار) المبلغ الأول لشراء القمح الجزائرى (أو القرض
الاقتصادى)
- 139 نص اعتراف سفير فرنسا بما قدمته لها الجزائر ...
- 141 القرض الثانى : المالى ، النقدى ، العينى ، الذى قدمته الجزائر لفرنسا :
- 142 خمسة ملايين ذهبية وبدون فائدة
- منظر لمدينة القالة (أحد الموانى التى كان يصدر منها قمحنا وهداياتنا إلى
فرنسا)
- 144 الجزائر تنقذ فرنسا من المجاعة ، والمسغبة ، والمثربة
- 146 نص منح الداي حسن الدريكتوار قرضا مبلغه « خمسة ملايين ذهبية
وبدون فائدة »
- 147 الدريكتوار ينشئ جسرا بحريا لنقل مساعدات الجزائر لفرنسا إلى مرسيليا
- 149 رسالة من الدريكتوار « إلى سيدى حسن ، داي الجزائر ، الصديق
الحليف القديم ... » يعلمه فيه بإنهاء مهام سفيره فى الجزائر ،
فاليير ، وتعيين خلف له
- 151

- رسالة من الدريكتوار إلى الداي سيدي حسن يعبر فيها عن قلقه من إيقاف
تصدير القمح الجزائري إلى فرنسا وعن رغبته « في علاقات أوثق
بين الأمتين » 153
- رسالة من الدريكتوار إلى الداي سيدي حسن يشكره على حسن استقباله
لمبعوثه الخاص « مرقلي » إليه 155
- رسالة من الدريكتوار إلى الداي سيدي حسن تتصل بتبادل الأسرى 157
- رسالة من الداي سيدي حسن إلى الدريكتوار يجيبه فيها بضرورة مراعاة
الدريكتوار مبدأ المعاملة بالمثل : الحسنى بالحسنى ... نحو رعايا
البلدين 159
- جواب من الدريكتوار إلى الداي سيدي حسن يستجيبون فيه لضرورة
نقل ممثلهم الدبلوماسي وتمويضه بآخر « لصالح العلاقات بين
الأمتين » 161
- رسالة من الدريكتوار إلى الداي سيدي حسن يعبرون له فيها عن سرورهم
بوقوف سيد عظيم مثله إلى جنبهم سنداً قوياً ضد أوروبا المتكثلة
ضدهم 163
- رسالة الدريكتوار إلى السفير الفرنسي في الجزائر تعطينا فكرة عن
تصورهم الحقيقي « للتعاون التقني » (في هامش الصفحة) 164
- رسالة من الدريكتوار إلى الداي الجديد، مصطفى باشا ، يلفون فيها ضمناً
صيغة « سيدي » بعد وفاة الداي « سيدي حسن » ... وذلك بعدم
استعمالها ... 166
- رسالة من نابليون بونابارت إلى الداي مصطفى باشا ، عن « العلاقات
السياسية والاقتصادية بين الدولتين » و « بين الشعبين » ، ملفياً
صيغته « الصديق الحليف القديم ... » بعدم استعمالها ... 169
- نابليون بونابارت (فيما بعد : الأول) 170
- تاليران ... 174

- لينسيخ ، نائب الأدميرال الفرنسي ، مبعوثا خاصا الى الداي مصطفى باشا من نابليون
- 178
- الداي مصطفى باشا (جالسا) ، يستقبل الجنرال هولان ، مبعوثا خاصا من نابليون
- 179
- قائمة المبعوثين الخاصين من ملوك فرنسا ومن قادة ثورتها وجمهوريتها الأولى ومن نابليون ولويس الثامن عشر وشارل العاشر إلى دايات الجزائر
- 180
- رسالة من لويس الثامن عشر إلى الداي الحاج علي يخبره فيها بصعوده على العرش ، طالبا تجديد المصادقة على المعاهدات السابقة
- 183
- وثيقة من لويس الثامن عشر إلى الداي الحاج علي يؤكد له فيها تجديد أوراق الاعتماد لسفيرهم في الجزائر
- 184
- « التفويض للسفير الفرنسي دويوة تانفيل بامضاء تجديد المعاهدات السابقة مع الداي أو مع أي شخص مكلف منه بذلك »
- 185
- رسالة من نابليون الأول إلى الداي عمر يخبره فيها بأنه « يسارع إلى التعبير له عن مودته الخاصة بمجرد أن عاد إلى الحكم »
- 187
- الداي علي خوجة
- 188
- لويس الثامن عشر
- 189
- الداي حسين ، آخر دايات الجزائر
- 191
- رسالة من شارل العاشر إلى الداي حسين يخبره فيها بوفاة شقيقه لويس الثامن عشر ، ويجلوسه على العرش خلفا له ، معبرا له عن المودة و« الكونفيونس » (الثقة) ... ومجددا المصادقة على المعاهدات السابقة بين البلدين
- 192
- المشتوم ، نذير الشر ، بيير دوفال ، السبب المباشر ولكن المزعوم للنكبة
- 193
- وزير الحرب الفرنسي يعترف بأن « الداي ليس من رعايا الخليفة العثماني »
- 198
- حصار ميناء عاصمة الجزائر
- 200

- 203 بعض الديون التي على فرنسا لصالح الجزائر
- 206 المبلغ المنهوب من خزانة الجزائر يوم الاحتلال
- 207 أسماء السفن التي نقلت ذهبنا وفضتنا إلى فرنسا
- 212 هانرى الرابع
- 215 سفينة جزائرية تحاصر ميناء سان طروبي قرب طولون
- 218 نص تهديد مجموع الدول الأوروبية للجزائر
- 222 قائمة الدول الأوروبية المستعمرة المتحالفة لغزو بحرى موحد للجزائر
- 224 عند العجز عن « تخريب الجزائر وإبادة الجزائريين » يلجأون الى التفاوض
- 227 تصريح كله حقد وتهديد ضد الجزائر على لسان الكاتب القسيس بوسوي
- الخطبة الفرنسية القديمة لاحتلال الجزائر : « أنظمة الحكم تذهب ،
- 229 والأهداف الوطنية تبقى »
- 233 الجنرال دوبرمون ، قائد حملة احتلال الجزائر
- 234 الأميرال دوييرى ، مساعده
- 235 تجمع الأسطول الفرنسى فى طولون قبيل الإقلاع نحو الجزائر لغزوها
- 236 مغادرة الأسطول الفرنسى ميناء طولون لغزو الجزائر
- 237 إرساء الحملة العدوانية الفرنسية فى خليج سيدي فرج
- 238 مقاومة القوات الجزائرية للغزو الفرنسى
- 239 مشهد من معركة اسطاوالى (24 يونيو 1830)
- 240 هجوم فرنسى على الكدية (قلعة السلطان)
- 241 اقتحام الجيش الفرنسى مدينة الجزائر
- 242 الاستيلاء على عاصمة الجزائر
- 243 تسليم الداى حسين مدينة الجزائر
- اتفاقية تسليم الجزائر بين الداى حسين والجنرال دوبرمون باسم
- 245 شارل العاشر

- 246 شارل العاشر
- 247 الداي حسين يغادر الجزائر نحو المنفى ...
- رسالة من الداي السابق ... حسين إلى لويس فيليب :
- 248 « الدفلى الفرنسية لن تزهر فى التربة الجزائرية » !
- ضبط ما صودر فى مخازن القصبة والبحرية (بعد السلب والنهب من
- 252 الضباط الفرنسيين)
- 254 ضبط الفائض بعد تغطية كل تكاليف حملة العدوان الفرنسى
- 257 نشأة العلاقات الرسمية بين الجزائر وفرنسا
- قائمة بأسماء باشاوات ، وآغاوات ، ودايات الجزائر :
- 259 « عروج بارباروس ، مؤسس جمهورية الجزائر »
- 262 قائمة سفراء ونواب سفراء فرنسا بالجزائر
- قائمة المبعوثين الخاصين من ملوك فرنسا وقادة ثورتها وجمهوريتها الأولى
- 263 وأمبراطورها وملكيها بعده مباشرة إلى دايات الجزائر
- 266 قائمة الاتفاقيات والمعاهدات السبعين المبرمة بين الجزائر وفرنسا
- 269 قائمة أخرى بها
- 274 الأمير عبد القادر
- 275 لويس فيليب
- من شروط المعاهدة بين الأمير عبد القادر والدوق دومال باسم أبيه
- 277 لويس فيليب
- 279 « شروط هذه المعاهدة كان التوقيع عليها من الجانبين »
- 281 الأمير عبد القادر (صورة أخرى له)
- « على مبعوثي الباب العالي إلى الجزائر أن يعتبروا أنفسهم سعداء إذا ما
- استقبلوا بقدر من الاحترام . بدون بضيض أمل إطلاقاً فى نجاح
- 290 المهمة »
- 295 السلطان الغازى عثمان خان الأول ، مؤسس الدولة العثمانية
- 375

- 296 السلطان الغازى محمد (الثانى) الفاتح ، فاتح اسطنبول
- 297 السلطان سليم الاول الغازى ، مؤسس الخلافة العثمانية
- 309 فرنسا والفرنسيون اسمان ألمانيان
- 319 الملكة إليزابيث لا تنكر أصلها الألماني ، وشعار ابنها ولي العهد ألماني !
- قرار الداي محمد بكداش لفائدة وقف على دار علم فى مازونة باسم الشيخ
- 324 الكتروسي
- 325 الأمير عبد القادر يحدد هذا الوقف « لأسلافنا المتقدمين »
- 337 الدول الكبرى تخطب ود جمهورية الجزائر وتقبل بدفع الإتاوة لها بانتظام
- 343 تحالف ست عشرة دولة أوروبية ضد الجزائر سنة 1818
- صورة ترجمة بعض الصيغ المستعملة فى رسائل دايات الجزائر
- 345 ومعاهداتهم مع كبريات الدول .
- صفحة العنوان لمعلمة الدكتور عبد الهادى التازى :
- « التاريخ الدبلوماسى للمغرب من القرن الثامن قبل الهجرة إلى القرن
- 354 الرابع عشر »
- 356 « رسم البطل الكبير المخلص الملك يوغورطة » (صورة أخرى له)
- 363 « الجزائريون كانوا دوما غير مكترئين بالمحافظة على الوثائق »
- 364 « العلامة الثائر الإمام عبد الحميد بن باديس »

فهرس الموضوعات (*)

العلاقات مع فرنسا :

- 7 نشأة العلاقات الجزائرية الفرنسية
- 8 معاهدة تجارة وملاحة بين ملك بجاية وحكومة مرسيليا
- معاهدة شاتيلرو الثلاثية بين الجزائر واسطنبول وباريس وبدء العلاقات
- 9 الدبلوماسية الجزائرية الفرنسية
- فرنسا تطلب من الخليفة العثماني التوسط لدى الجزائر لعقد تحالف
- 11 معها وتتزلف اليها
- 12 مساعدات الجزائر لفرنسا قبل 1830
- 13 المساعدات البحرية العسكرية الجزائرية لفرنسا
- 13 خير الدين ينجد فرانسوة الأول ، بطلب من هذا الأخير
- 17 صالح رايس ينجد هانرى الثانى
- 19 استنجد هانرى الرابع بحيدر
- 19 استنجد لويس الرابع عشر بالدائ شعبان
- 20 النوايا العدوانية الفرنسية ضد الجزائر منذ القرن الثالث عشر
- 21 مشروع لويس التاسع (1270)
- 23 مشروع شارل الثامن
- 26 مشروع لويس الثانى عشر
- 26 مشروع شارل التاسع
- 27 فى عهد هانرى الرابع
- 27 فى عهد لويس الخامس عشر : « مذكرة لتخريب الجزائر »

(*) هذا الفهرس للموضوعات متكامل تكاملا مطلقا مع فهرس الصور والوثائق والأحداث ، وكل منهما لا يعطى إلا صورة ناقصة بتراء بدون الآخر .

- 27 فى عهد لويس السادس عشر
- 27 فى عهد لويس السادس عشر (مرة أخرى)
- 27 فى عهد نابليون بونابارت : خطة لغزو الجزائر
- 29 نابليون بونابارت مرة أخرى : خطة جديدة وخطوتان لتنفيذها
- خطوة نابليون الأولى : « المادة السرية جدا » فى معاهدة تيلسيت الفرنسية
29 الروسية
- خطوة نابليون بونابارت الثانية : مزدوجة :
- 30 أ) إعداد خطة بحرية وبرية فى باريس
- ب) إرسال المهندس العسكرى الرائد بوتان إلى الجزائر لإعداد
31 خطة فى عين المكان
- 32 فى عهد شارل العاشر : استفزاز الداى واختلاق « سبب الحرب »
- 34 فرنسا توغز إلى دوفال ، قنصلها العام فى الجزائر ، باستفزاز الداى
- 34 « ضربة المروحة »
- 39 إعلان فرنسا الحرب على الجزائر
- 41 الغارات الفرنسية (السابقة) على الجزائر
- 41 فى عهد هانرى الرابع : غارة المركيز سافارى دى بريف
- 41 فى عهد ابنه لويس الثالث عشر : ثلاث غارات وحرب
- 41 غارة المغامر الهولاندى شيمون دانسر (فى خدمة فرنسا)
- 41 غارة الأميرال مونتاغو
- 41 غارة الأميرال دى منتيس
- 42 حرب جزائرية فرنسية 1636 - 1643
- 42 وفى عهد ابنه لويس الرابع عشر عشر غارات أهمها :
- 42 غارات الأميرال الدوق دى بوفور
- 45 غارنا الأميرال دوغين

- 45 غارتا المريشال دى تورفيل
- 52 غارة المريشال ديستري
- 52 وفى عهد نابليون الأول (بونابارت) :
- 52 غارة جيروم بونابارت
- 52 غارة الأميرال جوربان دى لاغرافير (فى عهد لويس الثامن عشر)
- 52 وفى عهد شارل العاشر :
- 52 غارة 16 يونيو 1827 وحصار ميناء العاصمة
- 56 المعاهدات السبعون (70) بين الجزائر وفرنسا
- 56 1) معاهدة تجارة وملاحة بين ملك بجاية ، خالد بن زكرياء ، وحكومة مرسيليا فى آخر القرن الثانى عشر
- 58 2) المعاهدة الثلاثية (أو : معاهدة شاتيلرو) بين خير الدين وسليمان القانونى وفرنسوة الأول (سنة 1534)
- 58 3) معاهدة سلم وتجارة بين حسين باشا ولويس الثالث عشر (أو : معاهدة تور) 21 مارس 1619
- 60 4) معاهدة سلم دائمة وتجارة بين حسين باشا ولويس الثالث عشر ، 19 سبتمبر 1628
- 61 5) اتفاقية اقتصادية بين حسين باشا ولويس الثالث عشر يوم 23 سبتمبر 1628
- 61 6) معاهدة سلم وتجارة فى 07 يوليو 1640 بين يوسف باشا ولويس الثالث عشر
- 61 7) اتفاقية تجارية بتاريخ 09 فيفري 1661 بين الأغا إبراهيم ولويس الرابع عشر
- 61 8) اتفاقية تجارية بتاريخ 09 فيفري 1662 بين الأغا شعبان ولويس الرابع عشر
- 61 9) معاهدة سلم وتجارة بتاريخ 17 مايو 1666 بين بابا علي مكسيس ولويس الرابع عشر

- بقية المعاهدات مع نماذج من المراسلات بين رؤساء دولة الجزائر ودايات (رؤساء) جمهوريتها من جهة.. وملوك فرنسا وقادة ثورتها وجمهوريتها الأولى وأباطورها وملوكها الثلاثة الآخرين . من جهة أخرى
- 62 رسالة من لويس الرابع عشر الى ديوان الجزائر (« السادة الأمجاد العظام ») فى عهد الداى بابا علي مكسيس ، يوم 17 سبتمبر 1666 يخبره فيها بان مدينة دانكيرك جزء من مملكته
- 63 رسالة من لويس الرابع عشر إلى ديوان الجزائر (« السادة الأمجاد العظام ») فى عهد الداى بابا علي مكسيس يوم 11 مارس 1668 يعبر له فيها عن « صدق عواطفه » ويخبره بأنه يرسل إليه مبعوثا خاصا .
- 64 10. معاهدة سلم وتجارة فى فيفريى 1670 بين الداى حاجى محمد ولويس الرابع عشر
- 66 11. معاهدة سلم وتجارة فى 11 مارس 1679 بين الداى حاجى محمد ولويس الرابع عشر
- 66 12. معاهدة سلم وتجارة سنة 1681 بين الداى بابا حسن ولويس الرابع عشر
- 66 13. معاهدة سلم وتجارة فى 25 أبريل 1684 بين الداى الحاج حسين (« ميزمورتو ») ولويس الرابع عشر
- 68 14. معاهدة أخرى بينهما سنة 1685
- 68 15. تجديدها بينهما سنة 1686
- 68 16. معاهدة سلم وتجارة يوم 13 مايو 1689 بين الداى شعبان ولويس الرابع عشر
- 68 17. معاهدة سلم لمائة سنة بينهما يوم 1689/9/24
- 68 رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداى شعبان بتاريخ 30 أكتوبر 1689 وفيها يعرض عليه خدماته ...
- 69

- 70 18) اتفاقية اقتصادية بينهما يوم 05 مايو 1690
- 70 19) تجديدها بينهما بتاريخ 27 ديسمبر 1690
- 70 20) تجديدها بينهما أيضا سنة 1692
- 70 21) اتفاقية اقتصادية بينهما أيضا بتاريخ 03 يناير 1694
- 70 22) تجديدها بين الداي الحاج أحمد ولويس الرابع عشر يوم 04 مارس 1698
- رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداي شعبان كلها مودة وعواطف وتقدير
وعروض وكلمة شرف وإعلام بإرسال مبعوث خاص منه إليه
- 71 رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداي الحاج أحمد يهنئه فيها بتوليته
منصب داي « جمهورية الجزائر »
- 73 رسالة أخرى منه إليه يعلمه فيها بإرسال مبعوثه الخاص دوزو لإزالة
بعض سوء التفاهم
- 74 23) تجديد الاتفاقية الاقتصادية بينهما يوم 23 يوليو 1698
- 75 24) اتفاقية اقتصادية في 19 يوليو 1700 بين الداي علي ولويس
الرابع عشر
- 75 25) تجديد معاهدة السلم في نوفمبر 1705 بين الداي مصطفى ولويس
الرابع عشر
- رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداي مصطفى يهنئه فيها بانتخابه دايا
ويعبر عن تمنيه دوام حسن التفاهم بين رعاياه والجزائريين وعن
تقديره « الخاص » له
- 76 رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداي مصطفى يشكره فيها على تهنيئته
إياه بوليد لحفيد له ويعبر له عن تقديره الفائق الدائم له
- 77 رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداي مصطفى يهنئه فيها بانتصاره على
ساي تونس ، حسن بن علي ، ويعبر له عن « تقديره الفائق له
ولجمهورية الجزائر »
- 78

- رسالة من لويس الرابع عشر الى الداى الجديد حسين خوجة يهنئه فيها
بتوليته « رئاسة جمهورية الجزائر » ويلتزم فيها « سادق الوفاء
لمعاهدات السلم المعقودة مع جمهورية الجزائر » 81
- 26) تجديد الاتفاقية الاقتصادية فى 8 مارس 1707 بين الداى محمد
بكداش ولويس الرابع عشر 82
- 27) تجديد الاتفاقية الاقتصادية فى 30 مارس 1710 بين الداى دالى
إبراهيم ولويس الرابع عشر 82
- 28) تجديد الاتفاقية الاقتصادية فى 14 أغسطس 1710 بينهما 82
- 29) اتفاقية اقتصادية فى 15 يوليو 1714 بين الداى بابا علي شاوش
ولويس الرابع عشر 82
- 30) معاهدة سلم بتاريخ 26 يناير 1718 بين الداى محمد بن حسن
ولويس الخامس عشر 82
- 31) تجديد معاهدة السلم والتجارة فى 6 أبريل 1718 بين الداى محمد
ابن حسن ولويس الخامس عشر 82
- 32) تجديد الاتفاقية الاقتصادية فى 26 يوليو 1718 بينهما 82
- رسالة من لويس الرابع عشر إلى الداى بابا علي شاوش يؤكد له فيها
« أهمية الحفاظ من الجانبين على السلم والعلاقات الطيبة مع
جمهورية الجزائر » 83
- لويس الخامس عشر يرسل مبعوثه الخاص ، دوزو ، إلى الداى محمد
ابن حسن 85
- 33) تجديد معاهدة السلم والتجارة فى 07 ديسمبر 1719 بينهما 85
- 34) معاهدة سلم وتجارة يوم 20 فبراير 1720 بينهما 85
- رسالة من لويس الخامس عشر إلى الداى محمد بن حسن يؤكد له فيها
حرصه على « العناية بعلاقات حسن التفاهم مع جمهورية الجزائر » 85
- 35) تجديد الاتفاقية التجارية بتاريخ 20 مارس 1724 بين الداى محمد
كور عبيد ولويس الخامس عشر 85

- 85 رسالة من لويس الخامس عشر إلى الداى محمد كور عبدى
- 85 36) تجديد الاتفاقية بينهما يوم 06 يوليو 1731
- 85 37) معاهدة تجارية يوم 23 سبتمبر 1731 بينهما
- 85 38) معاهدة تجارية يوم 10 يونيو 1732 بينهما
- 39) تجديدها يوم 06 سبتمبر 1732 بين الداى بابا إبراهيم ولويس
- 85 الخامس عشر
- رسالة من لويس الخامس عشر إلى الداى محمد بن حسن يؤكد له فيها
- أنه « حريص كل الحرص على الحفاظ على جو التفاهم مع جمهورية
- 87 الجزائر »
- رسالة من لويس الخامس عشر إلى الداى محمد كور عبدى يعبر له فيها
- عن تقديره « الفائق » له وعن حرصه « الصادق على الحفاظ على السلم
- 89 وحسن التفاهم بين رعايا البلدين »
- 40) تجديد المعاهدة التجارية بين الداى بابا إبراهيم ولويس الخامس عشر
- 90 يوم 15 سبتمبر 1743
- 41) تجديدها يوم 2 نوفمبر 1745 بين الداى ابراهيم الصغير ولويس
- 90 الخامس عشر
- 42) تجديدها يوم 18 فيفري 1748 بين الداى محمد بن بكر ولويس
- 90 الخامس عشر
- 43) تجديدها يوم 29 ديسمبر 1754 بين الداى علي باشا ولويس
- 90 الخامس عشر
- 44) معاهدة سلم وتجارة يوم 12 رجب 1177 هـ الموافق 16 يناير 1764
- بين الداى بابا على ولويس الخامس عشر « لوضع حد للنزاعات بين
- 90 الأمتين »
- 45) معاهدة تجارة يوم 23 مايو 1767 بين الداى محمد عثمان ولويس
- 90 الخامس عشر

- 46) تجديدها يوم 10 يونيو 1768 بين الداي محمد عثمان ولويس
الخامس عشر 90
- رسالة من لويس السادس عشر إلى الداي محمد عثمان يخبره فيها بوفاة
سلفه لويس الخامس عشر وبتوليته مكانه 90
- رسالة من لويس السادس عشر إلى الداي محمد عثمان يخبره فيها بأن
حماته « العزيزة المحبوبة جدا » قد رزقت بولد 90
- جواب من الداي محمد عثمان إلى لويس السادس عشر مهنئا ومؤكدا
« السلم والتفاهم السائدين بين الأمتين » 95
- رسالة من لويس السادس عشر إلى الداي محمد عثمان يخبره بازدياد
ولد له 95
- رسالة من لويس السادس عشر إلى الداي محمد عثمان يقترح عليه فيها
تعديل بعض بنود معاهدات سابقة « لتأييد السلم بين الإمبراطوريتين » 95
- 47) معاهدة سلم وتجارة في فيفريي 1790 بين الداي محمد عثمان
ولويس السادس عشر 101
- 48) تجديد الداي محمد عثمان ولويس السادس عشر المصادقة على
« سائر المعاهدات المعقودة بين الجزائر وفرنسا » وذلك يوم 12 رجب
1204 هـ الموافق 29 مارس 1790 بطلب من فرنسا 101
- جواب من الداي محمد عثمان على رسالة من لويس السادس عشر وفيه
ذكر « المصادقة على تجديد السلم بين الإمبراطوريتين » 101
- 49) اتفاقية تجارية يوم 23 يونيو 1790 بين الداي محمد عثمان ولويس
السادس عشر 101
- 50) تجديد معاهدة السلم والتجارة بين الداي محمد عثمان ولويس
السادس عشر يوم فاتح يوليو 1791 101
- رسالة من الداي الجديد ، حسن (أو بابا حسن ، أو سيدى حسن) إلى
لويس السادس عشر يعلمه فيها بوفاة الداي محمد عثمان وبانتخابه
خلفا له 101

- جواب من لويس السادس عشر إلى « سيدى حسن ، داي الجزائر » يهنئه
 ويعزيه في « صديقنا القديم ، سلفكم الأجدد » 110
- علاقات جمهورية الجزائر بالثورة الفرنسية وجمهوريتها الأولى 110
- رسالة من المجلس التنفيذي المؤقت للجمهورية الفرنسية (الأولى)
 « إلى سيدى حسن ، داي الجزائر » ، يعلمه فيها « بالتغيرات
 الطارئة » ، أى بإعلان الجمهورية ، ويعبر عن رغبته « فى الحفاظ
 على الانسجام الطيب السائد بين الأمتين » 110
- 51) جواب من الداي حسن معترفا بالجمهورية الفرنسية الأولى ومجددا
 المصادقة على المعاهدات السابقة بين الجمهورية الجزائرية والملكية
 الفرنسية لصالح الثورة وبطلب منها ، وهذه الوثيقة نفسها عدت
 معاهدة ، بل هى معاهدة المعاهدات 110
- أنواع المساعدات المقدمة من جمهورية الجزائر لحكومة الثورة الفرنسية 119
- المساعدات الدبلوماسية من الجزائر لفرنسا 119
- بادرة المراسلات جاءت من قيادة الثورة الفرنسية 119
- إذ ذاك كانت الجزائر هى التى تعترف بالناس أو لا تعترف 120
- فك الجزائر الحصار على فرنسا المحاصرة من التكتلات السبعة 120
- المساعدات الاقتصادية من الجزائر لفرنسا 122
- رسالة من قادة الجمهورية الفرنسية الأولى إلى « سيدى حسن ، داي
 الجزائر » يعلمونه بتغيير شكل العلم الفرنسى ويتمنون « خلود
 العلاقات بين الدولتين » 122
- رسالة أخرى منهم إلى « سيدى حسن ، داي الجزائر ، الصديق الحليف
 القديم للأمة الفرنسية » ، يشكرونه فيها على « القرض » لشراء
 القمح الجزائرى 124
- رسالة أخرى منهم « إلى سيدى حسن ، داي الجزائر ، الصديق الحليف
 القديم للأمة الفرنسية » ، يعلمونه فيها بارسال مبعوث خاص منهم
 إليه ويرجون حسن استقباله 124

- 127 حواب من الداي حسن إلى قادة الجمهورية الفرنسية ردا على طلبهم المساعدة ، عارضا عليهم أصنافا متنوعة منها
- رسالة أخرى من قادة الجمهورية الفرنسية إلى « سيدى حسن ، داي الجزائر ، الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية » يشكرونه على العرض الخاص بالحبوب ، والخيول الجيدة ، والمواد الاستهلاكية من سائر الأصناف
- 127 المعاهدات التي عقدت بين جمهورية الجزائر ومختلف أنظمة الحكم فى فرنسا بشأن هذه القروض
- 127 (52) الاتفاقية الاقتصادية بين الداي حسن وقادة الجمهورية الفرنسية الأولى ، وهى اتفاقية قرض من الجزائر لفرنسا لتشتري قمحنا ، أو القرض الاقتصادى
- 134 «وجاعت فرنسا فكنا كراما » ...
- 135 القرض الثانى : المالى ، أى نقدا ، من الجزائر لفرنسا
- 137 رسالة من السفير الفرنسى ، فالير ، إلى باريس عن هذا الإسعاف من الجزائر لفرنسا ، معترفا مشيدا
- 137 المجاعة والمسغبة والمتربة والعجز المالى فى فرنسا
- المؤرخون الفرنسيون يعترفون بمبلغ القرض المالى ، النقدى العينى :
- 140 خمسة ملايين ذهبية ، بدون فائدة ، زيادة على القرض الاقتصادى
- قيادة الجمهورية الفرنسية (الدريكتوار) تنشئ خطا بحريا منتظما لنقل كل تلك البضائع المهداة والمشتراة من الجزائر الى فرنسا
- 145 اسعافات الجزائر لفرنسا الثورة حتى فى المجال البحرى ، أى العسكرى
- 150 رسالة من الدريكتوار إلى « سيدى حسن ، الصديق الحليف القديم للشعب الفرنسى » ، لتغيير سفيرهم
- رسالة أخرى من الدريكتوار « إلى سيدى حسن ، داي الجزائر ، الصديق الحليف القديم للشعب الفرنسى » ، يعبرون فيها عن قلقهم من إيقاف الداي تصدير القمح إلى فرنسا ويعبرون عن رغبتهم فى « علاقات اوثق بين الأمتين »
- 150

- رسالة أخرى من الدريكتوار إلى « سيدى حسن ، داي الجزائر ، الصديق الحليف القديم للشعب الفرنسى » ، يشكرونه فيها على استقباله بمبعوثهم الخاص ، هر كولى ، « والعروض المالية التى استوجبت عرفاننا بالجميل ... » 152
- رسالة أخرى من الدريكتوار الى سيدى حسن ، الخ ، تتصل بتبادل الأسرى جواب من الداي حسن ، مشترطا « ضرورة مراعاة مبدأ المعاملة بالمثل » ... الحسنى بالحسنى ... 152
- رسالة أخرى من الدريكتوار إلى الداي « سيدى حسن » ، الخ ، يجيبون فيها الداي حسن إلى ترضيته ، « لرعاية حسن التفاهم السائد بين الأمتين » 158
- رسالة جديدة من الدريكتوار دائما « إلى سيدى حسن ... الخ » ، يعبرون فيها عن سرورهم « بوقوف سيد عظيم مثلكم إلى جنبنا ... » سندا قويا ضد أوروبا التكتلة ضدهم 158
- رسالة من الدريكتوار إلى سفيرهم فى الجزائر عن تصورهم « للتعاون التقنى ... » 158
- وفاة الداي حسن ومطالبة خلفه ، الداي مصطفى باشا ، الدريكتوار بتسديد الديون المستحقة على فرنسا لصالح الجزائر 158
- الدريكتوار « يعاقبون » الداي مصطفى باشا بحذف صيغة « سيدى » منذ رسالتهم الأولى إليه مع الاحتفاظ بالصيغ التقليدية الأخرى 158
- رسالة من نابليون بونابارت إلى الداي مصطفى باشا بخصوص تبادل الأسرى ، يلغى فيها بالحذف صيغة « الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية » ويؤكد فيها كل ما يكرهه « من عواطف الود والصداقة للجزائر » 167
- الداي مصطفى باشا يعلن الحرب على نابليون من أجل مصر 167
- الأسطول الجزائرى يقوم بنصيب وافر لطرد نابليون من مصر 168

- نابليون بونابارت يرسل مبعوثا خاصا إلى الداي مصطفى باشا ومعه رسالة « لعقد السلم وإعادة العلاقات السياسية والتجارية بين الدولتين » « وبين الشعبين » 168
- نابليون بونابارت يعقد رسالة اعتماد السفير الفرنسي في الجزائر 171
- هل كان الجنرال دوغول يجهل كل هذا ؟ 172
- 53) هدنة غير محدودة بين الداي مصطفى ونابليون بونابارت في 28 صفر 1215 (19 يوليو 1800) لإنهاء « حالة الحرب بين الأمتين » 173
- 54) معاهدة سلم وتجارة بين الداي مصطفى باشا ونابليون بونابارت يوم 30 سبتمبر 1800 م
- اعلان الداي مصطفى باشا الحرب مرة أخرى على نابليون 173
- 55) معاهدة سلم وتجارة بين الداي مصطفى ونابليون يوم 22 شعبان 1216 هـ (29 ديسمبر 1801 م) 175
- 56) تجديد معاهدة السلم والتجارة بين الداي أحمد خوجة والأمبراطور نابليون الأول (بونابارت سابقا) 175
- نابليون الأول يرسل بعدة مبعوثين خاصين إلى الداين مصطفى باشا والحاج علي ، منهم حتى شقيقه جيروم ، الذي أصبح سنتين بعد ذلك ملك فيستفاليا (ألمانيا) 177
- 57) تجديد الاتفاقية الاقتصادية يوم 7 نوفمبر 1808 بين الداي أحمد خوجة ونابليون الأول 177
- نابليون يكلف سفيره في الجزائر بمهمة العمل على « إعادة حسن التفاهم بين الأمتين » 177
- نابليون يرضخ لشروط الداي الحاج علي 181
- الداي الحاج علي يستقبل المبعوث الخاص للويس الثامن عشر 181
- رسالة من لويس الثامن عشر إلى الداي الحاج علي يخبره بعودته إلى العرش بعد عزل نابليون ويطلب فيها « تعزيز الصداقة بين المملكتين » : الجزائرية والفرنسية 182

- 182 وتجديد المصادقة على جميع المعاهدات السابقة بين البلدين
- 58) تجديد المعاهدات السابقة في 11 يوليو 1814 بين الداي الحاج علي ولويس الثامن عشر 182
- 59) تجديد معاهدة السلم والتجارة يوم 30 مارس 1815 بين الداي محمد خسرو ونابليون الأول (بعد عودته إلى العرش لأشهر معدودة) 186
- 60) إعادة تجديد معاهدة السلم والتجارة في 16 أبريل 1815 بين الداي عمر ونابليون الأول ، 186
- رسالة من نابليون الأول إلى الداي عمر يؤكد له فيها مسارعته إلى إخباره بطرد لويس الثامن عشر ورجوعه هو (لمدة قصيرة) إلى الحكم 186
- 61) اتفاقية اقتصادية يوم 15 مارس 1817 بين الداي علي خوجة ولويس الثامن عشر 186
- 62) تجديدها يوم 26 أكتوبر 1817 بينهما 190
- 63) تجديد معاهدة السلم والتجارة في 29 مارس 1818 بين الداي حسين ولويس الثامن عشر 190
- 64) وثيقة اعتراف فرنسا بدين عليها لصالح الجزائر ، يوم 23 ديسمبر 1819 م ، بين الداي حسين ولويس الثامن عشر 190
- 65) اتفاقية اقتصادية يوم 24 يوليو 1820 بين الداي حسين ولويس الثامن عشر 190
- رسالة من شارل العاشر إلى الداي حسين ، يخبره فيها بوفاة شقيقه لويس الثامن عشر وتوليده مكانه 190

العنوان الاستثماري الفرنسي واسبابه :

- 194 النوايا القديمة ، والديون ، و « المروحة » ، !
- 195 حكاية « المروحة » ،
- 195 رواية حمدان خوجة عنها
- 196 النية القديمة المبينة والتعللات لتحقيقها

- 197 « الداي ليس إطلاقاً من رعايا السلطان »
- 199 « ولا الجزائر جزء من الإمبراطورية العثمانية »
- 199 قرار حصار الجزائر
- 201 الديون الجزائرية على فرنسا نوعان :
- 208 اعتراف فرنسا بها رسمياً ثلاث مرات
- 209 جزاء سنمار من فرنسا للجزائر
- 210 « المروحة » لم تكن السبب ، وقد كانت قبلها مراويح !
- 216 السبب الحقيقي : منذ على الأقل 1270 م !
- 216 « مشاريع لتخريب الجزائر »
- فرنسا حشت أوروبا كلها ضدنا في مؤتمر إيكس لاشابيل (آخن) سنة
1818
- 217
- 217 تهديد الدول الأوروبية جميعها للجزائر
- 223 « عند العجز عن تخريب الجزائر وإبادة الجزائريين »
- 225 حقد كتاب وفلاسفة أوروبيين على الجزائر
- 225 « أنظمة الحكم تتعاقب وتمضي ، ولكن أهداف الأمة تبقى »
- 228 تقلب الدول ...
- 228 « حان وقت تصفية الحساب »
- 231 حملة العدوان الفرنسي وسيدى فرج
- 65 غارة الجنرال دوبرمون والأميرال دويبرى في عهد شارل العاشر يوم
14 يونيو 1827
- 232
- 232 معركة سيدى فرج والأسطواالى وبرج الكدية
- 66 اتفاقية تسليم الجزائر العاصمة يوم 05 يوليو 1830 بين الداي حسين
وشارل العاشر
- 232
- نفي الداي حسين ورسالة منه الى لويس فليب :
- 244 « لن نرغم الدفلي الفرنسية في الثرة الجزائرية »

- 244 تنافس الضباط الفرنسيين على السلب والنهب
- 251 « غزو الجزائر في صالح النصرانية كلها ! »
- ما صودر في خزينة الداي من مال وفي مخازن القصبة والبحرية من مواد
واعتاد
- 256 خلاصة العلاقات بين الجزائر وفرنسا قبل 1830
- 256 قدم هذه العلاقات : منذ القرن الثالث عشر الميلادي
- 256 إنجادات الجزائر لفرنسا ومعاهداتها معها
- أسماء الدايات الجزائريين الذين تعاهد معهم ملوك فرنسا وقادة ثورتها
وجمهوريتها الأولى وأباطورها وملوكها الآخرون وتراسلوا معهم
وتبادلوا معهم المبعوثين الخاصين وخاصة من فرنسا إلى الجزائر
- 258 الجزائر العريقة الأثيلة الأصلية المهيبة التاريخية
- عدد وأسماء السفراء الفرنسيين في الجزائر والمبعوثين الخاصين من
ملوك فرنسا وقادة ثورتها وجمهوريتها الأولى وأباطورها وملوكها
الثلاثة الآخرين ، إلى دايات الجزائر
- 261 قائمة المعاهدات السبعين (70) المعقودة بين الجزائر وفرنسا منذ آخر
القرن الثاني عشر الميلادي حتى اتفاقيات إيفيان يوم 18 مارس 1962 : 265
- 67) معاهدة بين الأمير عبد القادر ولويس فيليب ، أمضاها عنه الجنرال
دى ميشيل يوم 16 فبراير 1834 ، (وهي معاهدة دى ميشيل)
- 272 68) معاهدة بين الأمير عبد القادر ولويس فيليب ، أمضاها عنه الجنرال
بيجو يوم 30 مايو 1837 ، (وهي معاهدة التافنا)
- 272 69) معاهدة بين الأمير عبد القادر ولويس فيليب ، أمضاها عنه الجنرال
لاموريسير ، يوم 23 ديسمبر 1847
- 273 70) اتفاقيات إيفيان ، يوم 18 مارس 1962 ، بين الحكومة المؤقتة
للجمهورية الجزائرية والجنرال دوغول ، رئيس الجمهورية
الفرنسية (الخامسة) ، أمضاها عنهما بلقاسم كريم ولويس جوكس
- 282 283 نشيكات وتشككات سخيفة : دولة جزائرية ، أم إيالة تركية ؟

- استبداد ، وإقطاع ، وشره ، وبذخ ، وعدم اكتراث ،
أم
شورى ، وديمقراطية ، وبساطة فى العيش ، بل تقشف وحرمان ،
- 298 مع روح وطنية وفداء ؟
- 308 ثم هل الدايت جزائريون ؟ ألم يكونوا أجنب ؟ لا ، ليسوا أجنب !
- 310 بعض الأمثلة :
- 310 فرنسا نفسها : حتى اسمها ألماني !
- 311 وفي هولاندا ، وبلجيكا ، واللوكسمبرغ ، والسويد
- 312 وفي أمريكا (الولايات المتحدة)
- 312 وفي اسبانيا
- 313 وفي انكلترا : حتى اسمها ألماني !
- عهد تركي ؟ دولة تركية ؟ حكم تركي ؟ صيغ مازوخية ، تبعية ،
- 321 استدمارية ، باباصية !
- 322 هل كانت البلاد مزدهرة ، أم تمثل الضعف والإفلاس ؟
- 323 فى المجال الثقافى التربوى
- 326 فى المجال الاقتصادى : الصناعة والفلاحة
- 327 فى المجال المالى والتجارى والمعمارى
- 328 عودة إلى المجال المالى والفلاحى
- 330 فتن داخلية وحروب أهلية أم تماسك اجتماعى ووحدة وطنية ؟
- 331 الخلاصة عن : شخصية الجزائر الدولية وهيبته العالمية
- 332 الجزائر فى قمة الدول العظمى
- 342 تحالف سبع دول ، على رأسها روسيا وأمريكا ، ضد الجزائر
- 342 تحالف ست عشرة دولة أوروبية ضد الجزائر
- 342 عناصر تلك القوة وأسس تلك الهيبة

- 345 بعض الصيغ المستعملة فى الرسائل والمعاهدات لاسم الجزائر
346 ما كانت الجزائر بقّة تسحق ، ولا نملة تمحق ، بل رعب النصرانية !
347 « بادرة الجزائر غيرت مجرى التاريخ » !
350 « وأوقفت ركب الزمان طويلا » ...
351 الأمم بتاريخها ونحن أعداء الوثيقة !
365 « النسبة الى الوطن توجب علم تاريخه » !
367 فهرس صور الأشخاص والوثائق والأحداث
377 فهرس الموضوعات
395 محاولات أخرى للمخربش



محاولات للمغربش

1 - الجزائر Algerien

(Arabische Liga, Bonn, BRD, 1957)

(بالألمانيه ، نشر مكتب جامعة الدول العربية ، بون ، ألمانيا (1957م))

2 - إنية وأصالة

(نشر وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، مطبعة البعث ، قسنطينة

1395 هـ . (1975 م) .

3 - أصالية أم انفصالية ؟

(فى جزئين ، وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، مطبعة البعث ،

قسنطينة 1400 هـ . (1980 م) .

4 - مآثر فانج نوفمبر

طبع بدار البعث 1403 هـ . (1983 م) .

5 - وهذه ، بين أيدينا : شخصية الجزائر الدولية وهبتها العالمية قبل 1830 ، فى جزئين .

عدا مقالات نشرت فى « المغرب العربى » (الجزائر) 1947 - 1949 م ؛
و « الثمرة الثانية » ، و « الحرية » . و « لسان العرب » (تونس) فيما بين
1947 و 1949 م ؛ و « صوت الشعب » ، و « المنار » (الجزائر) 1951 - 1954 م ،
و « البيان » ، و « الفيحاء » ، و « الزمان » ، و « النصر » (سوريا) 1953 ؛
وكذلك فى مجلة علم النفس (القاهرة) فيما بين 1950 - 1954 م ؛
و « Die Arabische Korrespondenz » فى بون (ألمانيا) 1957 م ؛ وأحاديث
فى تلفزة ألمانيا ، ومحاضرات فى ألمانيا (الغربية) ، والنمسا ، والسويد ،
وفنلندا ، أثناء كفاحنا التحريرى ؛ وفى تلفزة لندن ، والجزائر ، وفى الصحافة
الجزائرية ، ومحاضرات فى الجزائر ، بعد استرجاع الاستقلال ، لم تجمع
ولم تنشر ، ومقالات فى مجلة « الثقافة » ، و « المجاهد » اليومية بالفرنسية .
و « الجزائر الأحداث » ، بالفرنسية أيضا .

منتدى سور الأربعة
www.books4all.net

طباعة دار الأمانة

2007

ص. ب 109 برج الكيفان 16 120 الجزائر

هاتف / فاكس: 04 22 20 021

مولود قاسم نايت يلحاسم

من مواليد 06 جانفي 1927 بقرية بلعجال بمنطقة آيت عباس. دائرة آقيو. ولاية بجاية. و«قاسم» لقب استعارة في مرحلة النضال والجهاد.

تعلم القراءة والكتابة وحفظ جزء من القرآن الكريم في مسجد القرية، ثم انتقل إلى زاوية سيدي يحيى العبدلي بتمقرة. فحفظ القرآن الكريم ونهل من العلوم الشرعية وعلوم اللغة على يد العلامة الشيخ محمد الطاهر آيت علجت. حفظه الله. واصل مشواره الدراسي في مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين بقرية قلعة بني عباس. ثم بجامعة الزيتونة في تونس سنة 1946، والتحق بعدها بجامعة القاهرة سنة 1950 ودرس في قسم الفلسفة ونال شهادة الليسانس بامتياز. وفي سنة 1954 انتقل إلى باريس لتحضير الدكتوراه في الفلسفة حول «الحرية عند المعتزلة». وقد أعد جزء من الرسالة إلا أن ظروف الكفاح المسلح ونشاطه النضالي سببا له مضايقات البوليس الفرنسي، فاضطر إلى التوجه نحو (براغ - عاصمة التشيك)، ثم انتقل إلى بون عاصمة ألمانيا الغربية آنذاك سنة 1957 لإعداد رسالة حول: «مبدأ الحرية عند كائط». لكن ظروف الكفاح والمسؤوليات الملفاة على عاتقه حالت دون إنهاء رسالته. فتوقف عن الدراسة وتفرغ للعمل السياسي والجهادي.

ورغم كثرة المهام وتراكم الأعمال فإنه استطاع أن يجيد عدة لغات: إلى جانب اللغة العربية، الفرنسية، والألمانية، والسويدية. كان يتحدث اليونانية واللاتينية والجرمانية والسلافية والرومانية.

تقلد بعد الاستقلال عدة مسؤوليات: مديرا في وزارة الخارجية. وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية ومستشارا لرئيس الجمهورية، ثم مسؤولا في حزب جبهة التحرير مكلفا بتعميم استعمال اللغة الوطنية، ومع المسؤوليات الثقيلة فقد ألف عدة كتب ونشر مقالات. في الفكر والثقافة والتاريخ. ونظم ملتقيات دولية في الفكر الإسلامي وطبع أعمالها من محاضرات ومناقشات. وأنشأ عشرات المعاهد للتعليم الأصلي. ونظم الحج إلى بيت الله الحرام، ووضع القانون الأساسي للأئمة وعمال السلك الديني. وشرع في إنشاء المراكز الثقافية الإسلامية. وأسّس مجلة الأصالة ذات الشهرة الواسعة. هذا دون أن ننسى جهاده المتواصل في ميدان تعميم استعمال اللغة الوطنية في الإدارة العمومية والمؤسسات. وأسّس، إلى جانب المجلس الإسلامي الأعلى. المجلس الأعلى للغة العربية. وأكاديمية اللغة العربية.

كان مناضلا مخلصا ومجاهدا شجاعا مرابطا. منذ صباه حتى وافاه أجله يوم الخميس 27 أوت 1992، رحمه الله.



МҰЛҰД ҚАСЫМ НҰАЙТ БІЛҚАСЫМ

ISBN 978-996167230-3



9 789961 672303